

جامعة مولود معمري - تيزي - وزو

مخبر الممارسات اللغوية



مجلة

الممارسات اللغوية

العدد الثامن والعشرون (28)

2014

ISSN : 2170-0583

مخبر الممارسات اللغوية

جامعة مولود معمري - تيزي- وزو

الجزائر

الهاتف: 026 41 14 00

الفاكس: 026 41 14 00

البريد الإلكتروني: laboling@yahoo.fr

الهيكل الإداري للمجلة

- المدير الشرفي: أ. د ناصر الدين حناشي؛
- مدير المختبر: أ. د صالح بلعيد؛
- رئيسة التحرير: الجوهر مودر؛
- هيئة التحرير: محمد الأمين خلادي، فتيحة حدّاد، حياة خليفاتي، علجية أيت بوجمعة، عيني بطوش، ريش بوتلجة، علجية أوطالب.
- الهيئة الاستشارية:
- محمد العربي ولد خليفة: رئيس البرلمان الجزائري؛
- أبو عمران الشيخ: رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في الجزائر؛
- عبد الرحمان الحاج صالح: رئيس مجمع اللغة العربية الجزائري؛
- محمود فهمي حجازي: رئيس جامعة نور مبارك في طشقند؛
- محمود أحمد السيد: نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق؛
- سالم شاكور: باحث في المازيغيات في inalco بفرنسا؛
- وفاء كامل فايد: أستاذة اللغويات في جامعة القاهرة؛
- علي القاسمي: خبير في الأسيسكو وباحث في المصطلحات والمعاجم؛
- عبد السلام المسدي: أستاذ كرسي في جامعة تونس؛
- Valérie Orlando, Professor, University of Maryland, U.S.A.
- Kathryn Lafever, Professor, University of Miami, U.S.A.
- Zerar Sabrina, Maitre de conférences, University of Tizi-ouzou, Algiers.
- المدير الفني: أ د صلاح يوسف عبد القادر.

مجلة الممارسات اللغوية

مجلة الممارسات اللغوية مجلة علمية عالمية محكمة

قواعد النشر في المجلة

- 1 – مجلة (الممارسات اللغوية) لسانُ حال المختبر، فتستقبل كلّ الأبحاث والدراسات ذات العلاقة بالممارسات اللغوية؛
- 2 – ترحبُ المجلة بكلّ من يرغب نشر بحثه الذي يدخل في إطار اختصاص المجلة (الممارسات اللغوية)؛
- 3 – تنشر المجلة في طيّ أوراقها ملفات خاصة حول موضوع واحد، كما تنشر موضوعات متخصصة في عنوان مستقل عن المجلة، يصدر في شكل كتاب متخصص؛
- 4 – تُنشر مجلة (الممارسات اللغوية) البحوث المكتبية والدراسات الميدانية والنصوص المحقّقة أو المترجمة أو مراجعات الكتب المتعلقة بالعربية وآدابها؛
- 5 – يقدّم البحث في صورة ورقية، يذكر الباحث: اسمه ولقبه ودرجته العلمية والمؤسسة التي ينتمي إليها، أو المهنة التي يمتنها؛
- 6 – تُنشر المجلة البحوث الأصلية المعدّة أصلاً باللغة العربية، كما تُنشر البحوث المحرّرة باللغات: المازيغية والإنجليزية والإسبانية والفرنسية، شرط أن يتصدّرها ملخصٌ باللغة العربية؛
- 7 – تنشر المجلة البحوث ذات اختصاص المجلة في بُعدها العام؛ بعد أن تخضع للتحكيم ولا تردّ إلى أصحابها سواءً قبلت أم لم تُقبل؛
- 8 – يتولّى تحكيم البحث أعضاء هيئة التحرير؛
- 9 – يُشترط في البحث المقدّم للنشر ألا يكون قد نُشر سلفاً، إلا إذا كان البحث قد أُضيف فيه نسخة مزيّدة ومُنقّحة أو من الأبحاث التي تستحقّ النشر مرّة ثانية؛ على أن يشير صاحبه إلى مكان وتاريخ صدوره؛

10 – كلُّ بحثٍ منشورٍ في مجلة (الممارسات اللغوية) لا يُنشر في قناة أخرى إلاّ بالإشارة إلى أسبقية صدوره في هذه المجلة، ويشير إلى ذلك في صدر القناة التي ظهر فيها؛

11 – يُكافأ صاحبُ البحثِ المنشورِ بخمسٍ (5) نُسخٍ من المجلة التي نُشر فيها بحثُهُ؛

12 – على صاحبِ البحثِ التقيّد بشروط استقبال البحث وهي:

• التقيّد بالمعايير العلمية والأكاديمية المُتعارف عليها من سلامة اللّغة وتوثيق واستخدام للمصادر والرسوم، والتفريق بين التهميش للكتب والتهميش للمجلات، واستعمال علامات الوقف، وكلّ متعلّقات المنهجية...

• كتابة البحث بخط simplified Arabic بينط 13؛

• طول الكتابة 24 بعرض 12؛

• توضع الرسوم والبيانات ضمن إطار 12 x 24؛

• المسافة بين السطور 1.0؛

• الهوامش في آخر البحث متسلسلة ومكتوبة آلياً، بينط 12؛

13 – يلتزم صاحبُ البحثِ بالتعديل حالةً ما أقرّ المحكّمون نشره بشرط

التعديل؛

14 – الأبحاثُ المنشورة في مجلة (الممارسات اللغوية) تعبّر عن رأي

أصحابها، ولا تعكس بالضرّورة توجّهاتِ المختبر أو جامعة مولود معمري، أو

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في الدولة الجزائرية؛

15 – صاحب المقال هو المسؤول علمياً عن المقال؛

16. ترسل الأبحاث في نسخة ورقية مصحوبة بنسخة قُرصية عن طريق

البريد على العنوان التالي: السيد رئيس تحرير مجلة الممارسات اللغوية/ مخبر

الممارسات اللغوية. جامعة مولود معمري. تيزي-وزو. الجمهورية الجزائرية، أو
تُرسل عن طريق بريد المخبر الإلكتروني.

روابط الاتصال:

— البريد الإلكتروني: labeling@yahoo.fr

— الهاتف الثابت: 026213291

— الناسوخ: 026411400

الفهرس

9	تصدير.....
11	النحو العربي بين غموض النشأة ووضوح التصدية د. بن دحمان شريف، جامعة بشار - الجزائر
29	دلالة التكرار التام للجمل في القرآن بين البلاغيين والنحويين -سورة الرحمن نموذجا- أ. مرزوق فاتح، جامعة مولود معمري. تيزي-وزو
59	عوامل التطور اللغوي ومظاهر الثراء في اللغة العربية ربيعة حنيش، جامعة مولود معمري. تيزي-وزو
87	وظائف اللغة بين اللسانيات العامة و اللسانية الاجتماعية أ. دربال بلال، جامعة جامعة الحاج لخضر. باتنة
105	علاقة السيمياء باللسانيات أ. لخضر روجي، جامعة المسيلة
119	المرجع والإحالة في النص الروائي. أ. خليفة عوشاش، جامعة المسيلة.
131	مقاربة سيميولوجية بين المسرح كفن متكامل وخيال الظل (القراقوز) جماليات الفرجة في المسرح التقليدي أ. باية كاهية، جامعة محمد بوضياف. المسيلة
149	مشاكل مهنة التعليم وصعوبات قطاع التربية الوطنية أ. مليكة شارف خوجة، جامعة مولود معمري. تيزي-وزو

167	علاقة الذكاء الانفعالي بكل من تقدير الذات ومستوى الطموح لدى الطالب الجامعي الجزائري. أ. محذب رزيقة، جامعة مولود معمري. تيزي- وزو
191	اضطرابات اللغة النطقية العضوية والوظيفية أ.غازلي نعيمة، جامعة مولود معمري. تيزي-وزو
Thomas Paine and Frantz Fanon Beyond Their Revolutionary Claims GADA Said, Mouloud Mammeri University of Tizi-ouzou, Algeria.	
	1
L'aspect contextuel dans le dictionnaire bilingue français-arabe. Dr. Mohammed Besnaci, Université Lumière Lyon II, France	
	19

تصدير

يسرّنا أن نقدّم للقارئ الكريم العدد الثامن والعشرين من مجلّة الممارسات اللّغوية، وهي مجلّة يصدرها مخبر الممارسات اللّغوية في المجتمع الجزائري، أريد منها أن تكون منبرا لطرح الآراء العلميّة البناءة، ومناقشة القضايا المتعلّقة بواقع اللّغة العربية، بحثا وممارسة، وتضمّ أبحاثا نظريّة تخصّ العلوم اللّغوية من الصّوتيات وعلم التراكيب وعلم الدلالة وعلم الصّرف والمعجمية والنظريات اللّسانية الحديثة، وأبحاثا تطبيقية تخصّ اللّسانيات التطبيقية وتعليميّة اللّغات والترجمة، والمصطلح ... وكلّ الجهود التي من شأنها أن تدفع بالدراسات اللّغوية إلى الأمام، وتعكس جهود الباحثين الذين يولون دراسة قضايا الممارسات اللّغوية أهمية خاصّة.

وإذا كانت انطلاقتنا من واقع الممارسات في المجتمع الجزائري بكلّ شرائحه وفئاته، فذلك على سبيل التمثيل فقط باعتباره عيّنة من عيّنات الوطن العربي، لذلك نسعى من خلال هذه المجلة إلى الاهتمام بالواقع اللّغوي العربي، وأملنا أن تظلّ همزة وصل بين الباحثين والمؤسسات العلميّة المهتمة بقضايا استعمال اللّغة العربية وطنيا وعربيا ودوليا، وتتال دعمهم جميعا.

النحو العربي بين غموض النشأة ووضوح القصيدة

أ . بن دحان شريف

جامعة بشار - الجزائر -

المخلص: يعد النحو العربي من العلوم الجليلة التي يحق للعرب أن يفخروا بها مهما قيل عنه، لأنه العلم الذي يحفظ اللسان من الخطأ، إلا أن المصادر القديمة والحديثة لم تنزل الضبابية عن نشأته، فتعددت الروايات بشأن أول واضع له وانقسمت بين الإمام علي كرم الله وجهه، وأبي الأسود، ونصر بن عاصم، وعبد الرحمن بن هرمز، وهذا الانقسام في ذاته دليل على غموض في النشأة، ومن جانب آخر وجدنا اختلافا فيما يتعلق بأصالة هذا العلم أو تأثره بعلوم الأمم الأخرى، غير أننا لم نجد خلافا فيما يتصل بالأهداف والمقاصد التي توخاها هذا العلم.

العرب كما تذكر كتب تاريخ اللغة والأدب - أمة فصاحة وبيان، وبلاغة لسان تكلموا فأبانوا عن أغراضهم ومقاصدهم، فقد "كانوا ينطقون عن سليقة جبلوا عليها فيتكلمون في شؤونهم بدون إعمال فكر أو رعاية قانون كلامي يخضعون له قانونهم ملكتهم التي خلقت فيهم ومعلمهم بيئتهم"¹ وعن مكانة الشعر بين العرب وقيمته يحدثنا ابن قتيبة قائلاً: "الشعر معدن العرب وسفر حكمتها وديوان أخبارها والشاهد العدل يوم النفار، والحجة القاطعة عند الخصام، من لم يقم عنده على شرفه وما يدعيه لسلفه من المناقب الكريمة والفعال الحميدة بيت منه، شدت مساعيه على مرور الأيام وإن كانت جساما"². فالشعر تظهر واضح للبيان العربي الرصين والأسلوب الجزل القوي والمعاني السامية، الصادرة من إنسان تكلم على الفطرة والطبيعة، إنه رسالة تحمل هموم الناس وأفراحهم وهو الحجة بينهم، وبه رفعت أقوام وحطت أخرى، فهو يضاهي وسائل الإعلام اليوم، لذا كان الاعتناء به كبيراً

وبلغته أكبر، فكتب النقد تقص علينا كيف كان "زهير بن أبي سلمى" يعتني بأشعاره مدة سنة كاملة، ولا تخرج إلى الجمهور إلا بعد تمحص دقيق، مع قدرته على إخراجها وفي وقت أقل.

وظل العرب على هذا القدر العالي من الفصاحة والبيان زمنا طويلاً، يباهون به الأمم بتلك البلاغة القوية المؤثرة، حيث "أكب الشعراء على العربية يتقنونها ويمثلون ملكتها وسليقتها تمثلاً دقيقاً، نافذين بذوقهم المتحضر إلى أسلوب مصفى يجمع حيناً بين الجزالة والرصانة، وحيناً يجمع بين الدقة والعذوبة"³، ومما جعل العرب على هذه الحال - فيما يبدو - بقاء بيئتهم العربية بعيدة عن التأثير بالعنصر الأجنبي، فقد أشار ابن الأثير إلى أنّ اللسان العربي كان محروساً لا يتداخله الخل ولا يتطرق إليه الزلل.⁴

ومما يعكس فصاحة الأقدمين وحرصهم على الطبع السليم عدم روايتهم الشعر الرديء، خشية الاقتداء به وشيوعه بين الناس، وعليه فبقاء الفضاء العربي وصفائه جعلاً من العربي آنذاك، مصدراً للكلام النموذجي الذي رسم على لسان كل من شب في هذه البيئة.

القرآن الكريم وفصاحة العرب: وتجلت حكمة الله تعالى أن شرف العرب بنزول القرآن الكريم، وفي ذلك يقول المولى عز وجل ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾⁵، ولما كان الدين الإسلامي للبشرية كافة لا تحكمه حدود ولا قيود ذاع وانتشر في كافة الأمصار، فانتسعت رقعة الدولة الإسلامية وضمت عدة حضارات، فاختلط العرب بغيرهم من العجم، وكان طبيعياً أن تتأثر لغة الفاتحين بلغات البلدان المفتوحة، فتغيرت أسنتهم، الأمر الذي ضعف السليقة وأذن بتلاشي خيوطها، بعد أن كان العرب حصناً منيعاً أمام الاختلاط، كما تأثر أهل البلاد المفتوحة بلغة القرآن الكريم، وحاولوا مجاراتها لكن خضوع أسنتها وأصواتها لعاداتهم اللغوية السابقة، لم يترك لهم مجالاً لأن يكونوا ذوي عربية خالصة⁶ وكان من أثر هذه الفتوحات اختلاط العرب بغيرهم من الأمم وانصهارهم فيهم

أحيانا لدرجة أنه تكوّن شعب واحد، اجتمعت فيه شعوب وحدها الإسلام، وأذاب بينها فوارق الدين والجنس والوطن، ولما طال الامتزاج تسرب الضعف إلى نحيزة العربي وسليقته⁷، وتولد من هذا كله أن اللغة العربية تسرب إليها اللحن، ووهنت الملاحظة الدقيقة التي تمتاز بها، وهي اختلاف المعاني طوعا لاختلاف شكل آخر الكلمة، فإن هذه الميزة كانت موفورة لديهم وهم بعيدون عن مخالطة سواهم⁸ ونتيجة لهذا الاختلاط ظهر ما يسمى اللحن، وهو كما عرفه ابن فارس (ت 395 هـ) بقوله: "إمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية، يقال لحن لحناء، وهذا عندنا من الكلام المولد، لأن اللحن محدث لم يكن في العرب العاربة الذين تكلموا بطباعهم السليمة"⁹، وهكذا تفشى اللحن شيئا فشيئا، وبدأت الألسنة تبتعد عن الفطرة السليمة، وتجنح إلى الفساد وتزيغ عن الوجه السليم في الاستعمال، وجعل ذلك ينتشر بين المسلمين بعد أن اضطرب كلام العرب ومازجه شيء من المولد، ولم يكن هذا الوباء اللغوي محصورا في الكلام العادي بين الناس، بل امتدت شروره إلى القرآن الكريم، ولم يعد حكرا على الأعاجم، بل قاسمهم في ذلك أبناء العربية الذين جلبوا عليها منذ نعومة أظافرهم، ولم يسلم من هذا الشر حتى خاصة القوم وأشرفهم، حتى أصبح الذين لا يلحنون يعدون على الأصابع، وقصص اللحن كثيرة جدا لا يسعنا المقام لذكرها، وكانت هذه بداية تفكير جادة في إقامة قانون يحفظ القرآن ويقيم اللسان ويصون اللغة العربية، ويعيدها سيرتها الأولى، فوضع ما يسمى بالنحو.

نشأة النحو: يعد النحو القانون الكلامي الذي يضبط كل لسان زائغ عن جادة الصواب، بعدما فشا الفساد في الكلام، وبدأت الحركات الإعرابية تستعمل استعمالاً تعسفياً، نجم عنه تغير في المعاني والدلالات، وقد تهيأت ظروفه بعد مجيء الإسلام ونزول القرآن وانتشاره في أنحاء الجزيرة العربية، ونشأته مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالقرآن، فلولاها لما نشأ هذا العلم الذي تمت له السيطرة فيما بعد على كل علم من علوم العربية¹⁰، ولذلك قد لا يكون اللحن وحده سببا كافيا لإقامة صرح هذا

العلم وبنائه، "نعم لقد كان حفظ القرآن من اللحن سببا من الأسباب، لكنه لم يكن السبب الأول، ولم يكن الغاية من الدراسة، والسبب الحقيقي لنشأة علوم اللغة عند العرب، إنما هو السعي لفهم النص القرآني"¹¹، وكان أول ما اختل من كلام العرب فأحوج إلى التعلم الإعراب¹²، وقد عبر أبو بكر الزبيدي عن هذه الحقيقة خير تعبير فقال: "ولم تزل العرب تنطق على سجيها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها، حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجا وأقبلوا إليه أرسالا، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة ففشا الفساد في اللغة العربية واستبان منه في الإعراب الذي هو حليها، والموضح لمعانيها، فتفطن لذلك من نافر بطباعه سوء أفهام الناطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف من كلام العرب... حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم إلى أن سببوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه، وتقيفها لمن زاغت عنه"¹³.

ونجد من الباحثين المحدثين من يؤيد هذا الطرح، حتى يكاد يتبناه كليا، كما هو الحال بالنسبة للدكتور سعيد الأفغاني الذي يعتبر اللحن مدعاة لجمع اللغة واستنباط قواعدها، "فهو الباعث الأول على تدوين اللغة وجمعها، وعلى استنباط قواعد النحو وتصنيفها"¹⁴، ولهذا دعت الحاجة إلى وضع القواعد التي تصون اللسان من اللحن لحفظ القرآن من آثاره الفاسدة¹⁵.

من وضع علم النحو؟ أورد العلماء روايات مختلفة ومتعددة حول الواضع الأول لعلم النحو، وربما كان اختلاف الروايات نفسه مدعاة للقول بغموض نشأة هذا العلم، وما زاد هذه النشأة غموضا هو اضطراب هذه الروايات في بعض الأحيان، فقد ذكر الزبيدي في الطبقات أن أول مؤصل لعلم النحو "أبو الأسود ظالم بن عمر الدؤلي ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز، فوضعوا للنحو أبوابا وأصلوا له أصولا فذكروا عوامل الرفع والنصب والخفض والجزم، ووضعوا باب الفاعل والمفعول والتعجب والمضاف، وكان لأبي الأسود في ذلك فضل السبق"¹⁶ فمن كلام الزبيدي يتضح أن أبا الأسود هو من سبق الذين ذكر معهم، فكان الرائد

الذي بدأ هذا الفن وواصل أتباعه فيه، وذكر السيرافي غير واحد من الذين تتسب إليهم نشأة النحو، إلا أنه رجح أبا الأسود في الوضع من بين مجموعة من العلماء "فقال قائلون: أبو الأسود، وقال آخرون نصر بن عاصم الدؤلي، ويقال الليثي، وقال آخرون عبد الرحمن بن هرمز، وأكثر الناس على أبي الأسود"¹⁷، كما ذكر ابن سلام (ت 231 هـ) أن أبا الأسود هو من وضع النحو فقال: "كان أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها، ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي"¹⁸.

وقد نقل ابن النديم في الفهرست الروايات التي ساقها أبو سعيد السيرافي، إلا أنه أضاف أنه رأى ما يدل على أن النحو عن أبي الأسود في أربع ورقات ضمت كلاما في الفاعل والمفعول من أبي الأسود بخط يحيى بن يعمر، إلا أن اختفاء تلك الأوراق مع القمطر الذي رآها فيه حرمانا شيئا كثيرا¹⁹، وينص أبو الطيب اللغوي على "أن أبا الأسود وضع النحو ليتعلم بنو زياد"²⁰، أما القفطي فيروي "أن أول من وضع النحو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ويؤكد بأنه رأى بمصر جزءا من أبواب النحو يجمعون على أنها مقدمة علي بن أبي طالب التي أخذها عنه أبو الأسود"²¹، ويسرد علينا ابن الأتباري رواية مختلفة تماما عما سبق فهو يشير إلى "أن أول من وضع علم العربية وأسس قواعده ووضع حدوده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه"²²، ودعم السيوطي (911 هـ) هذه الرواية فقال: "وكان أبو الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه"²³، وعلى هذا أماننا مجموعة من الآراء المختلفة، التي تعكس اضطراب هذه النشأة وغموضها هي كالاتي:

- 1- الرأي الأول: يسند نشأة النحو إلى علي بن أبي طالب.
- 2- الرأي الثاني: يسند نشأة النحو إلى أبي الأسود.
- 3- الرأي الثالث: يسند نشأة النحو إلى أبي الأسود تارة، وإلى نصر بن عاصم تارة أخرى، وإلى عبد الرحمن بن هرمز مرة أخرى، ويحيى بن يعمر²⁴.

وتكاد الروايات تتفق على أن أبا الأسود هو الذي وضع النحو بعد أن أخذه عن علي بن أبي طالب، يقول ابن النديم: "زعم أكثر العلماء أن النحو أخذ عن أبي الاسود الدؤلي، وأن أبا الأسود أخذه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب"²⁵ .

كما رجح الأفغاني سعيد أن يكون أبو الأسود أول واضع لعلم النحو، ولا يستبعد ذلك منه "فالرجل ذو ذكاء نادر وجواب حاضر وبديهة نيرة، ثم هو بعد بليغ أريب مرن الدهن، وحسبك اختراعه للشكل الذي عرف بنقط أبي الأسود للدلالة على الرفع والنصب والجر والتوين، وهو ما أجمعوا عليه قديما وحديثا، ولم يشك فيه حديثا أحد"²⁶، ولم يحدد الباحث الأساس الذي بنى عليه من جاء بعد أبي الأسود ولم يجد ما يشفي الغليل، أما أبواب النحو التي تذكرها الروايات فهي باب الفاعل والمفعول والمضاف، وحروف الجر وحروف النصب: إن و أن ولعل وكأن ولم يذكر أبو الأسود لكن، فقال له علي: لم تركتها فقال: لم أحسبها منها، فقال: هي منها، فزدها فيها "ويذهب ابن الأنباري (577هـ) إلى أنه وضع بابي العطف والنعته ثم باب التعجب والاستفهام، بالإضافة إلى باب حروف النصب، كما تشير الرواية إلى أن أبا الأسود كلما وضع بابا من الأبواب عرضه على علي حتى اكتفى من ذلك وقال: "ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوت فلذلك سمي النحو"²⁷ . ما يفهم من رواية ابن الأنباري أن عليا وأبا الأسود قد وضعوا النحو بمصطلحاته وأقسامه.

ومن الدارسين المحدثين من رد هذه الروايات وكذبها، واعتبر زمن علي وأبي الأسود رافضا للتقسيمات النحوية التي وردت فيها، يصرح بذلك أحمد أمين فيقول: "وكل هذا حديث خرافة، فطبيعة زمن علي وأبي الأسود تأبى هذه التعريفات، وهذه التقاسيم الفلسفية، والعلم الذي ورد إلينا من هذا العصر في كل فرع، علم يتناسب مع الفطرة ليس فيه تعريف ولا تقسيم، إنما هو تفسير آية أو جمع الأحاديث ليس فيها ترتيب ولا تيويب"²⁸ .

وإذا كانت الروايات تضطرب حيناً وتتعارض أحياناً في نشأة النحو الذي يكتنفه الغموض من كل نواحيه، وتتجاذبه الفروض المتقابلة، فإن الاتفاق على أن أبا الأسود هو الذي وضع النقط "هو ما أجمعوا عليه قديماً ولم يشك فيه أحد حديثاً"²⁹، وإذا كنا ألفينا أحمد أمين يرفض التقسيمات النحوية المنسوبة لأبي الأسود، فإنه يعتبر نقطة للمصحف عملاً صادراً عنه، وربما يكون خطوة أولية في سبيل النحو³⁰، وقد نفى شوقي ضيف أن يكون أبو الأسود وضع النحو، بل وضع رسم إعراب القرآن عن طريق النقط ونراه يصرح بهذا في قوله: "وكان هذا الصنيع الخطير الذي سمي باسم رسم العربية سبباً في أن يختلط الأمر فيما بعد على الرواة، فتظن طائفة منهم أن أبا الأسود رسم النحو وشيئاً من أبوابه، وهو إنما رسم إعراب القرآن الكريم عن طريق نقط أواخر الكلمات فيه"³¹.

فبعد هذا الحديث عن الروايات المتحدثة عن أولية وضع النحو، فإن هذه النشأة مازال يكتنفها بعض الغموض، وتختلف فيها الروايات إذ هي "عملية خلق يشترك فيها عادة أكثر من عامل ويسهم فيها أكثر من شخص"³²، ولذا رأينا ينسب في كل مرة إلى واحد من العلماء الذين سبق ذكرهم.

كما لا يمكننا أن نجزم في هذه النشأة وما لابسها، يقول بروكلمان: "إن أوائل علم اللغة العربية ستبقى دائماً محوطة بالغموض والظلام، لأنه لا يكاد ينتظر أن يكشف النقاب عن مصادر جديدة تعين على بحثها ومعرفتها"³³، والحقيقة ذاتها يعرضها أحمد أمين فالنحو العربي عنده غامض، ويفتقر إلى ما يصح أن يفصح عن ارتقائه ونموه، فيقول عن ذلك: "تاريخ النحو في منشئه غامض كل الغموض فإننا نرى فجأة كتاباً ضخماً ناضجاً هو (كتاب سبويه) ولا نرى قبله ما يصح أن يكون نواة تبين ما هو سنة طبيعية من نشوء وارتقاء، وكل ما ذكرناه من هذا القبيل لا يشفي غليلاً"³⁴.

والنحو بمعناه الفني "كان له أن يتأخر قليلاً إلى جيل آخر على رأسهم عيسى بن عمر النخعي، وأبو عمر بن العلاء، وعبد الله بن أبي إسحاق، وهؤلاء رويت عنهم

جميعاً أنظار في النحو تجعلهم أئمة من هذا الفن³⁵، فعيسى بن عمر النخعي ربما هو أول من كتب في العربية والنحو كتابين: الجامع والإكمال، ولكنهما لم يصلا إلينا، إلا أن تلميذه الخليل بن أحمد اطلع عليهما وأعجب بهما، وجعل من صاحبهما مبتكراً في هذا الفن، وينسب ابن النديم في الفهرست في - هذا السياق - بيتين للخليل بن أحمد يذكر فيهما هذين الكتابين وفضلهما على الناس :

ذَهَبَ النَّحْوُ جَمِيعاً كُلَّهُ غَيْرَ مَا أَحَدَثَ عَيْسَى بْنُ عُمَرَ
ذَلِكَ إِكْمَالٌ وَهَذَا جَامِعٌ فَهَمَّا لِلنَّاسِ شَمْسٌ وَ قَمَرٌ³⁶

ففي البيتين - إن كانت نسبتها صحيحة - إقرار ضمني بأن هناك مرحلة غير معروفة من تاريخ النحو، وليس من الطبيعي أن يولد النحو مكتملاً في الكتاب، إذ لا بد من وجود إرهاصات تسبق النضج والاكتمال، وهو ما يبدو مفقوداً في تاريخ النحو العربي ولئن "تكن نسبة البيتين إلى الخليل صحيحة يكن اختفاء هذين الكتابين من أعجب الأمور في تاريخ النحو"³⁷، ولعل الحقيقة تلك التي نجدها عن كل من الدكتور عبد العالي سالم مكرم في كتابه " (الحلقة المفقودة من تاريخ النحو العربي) ومحمد خير الحلواني في كتابه (المفصل في تاريخ النحو العربي) في جزئه الأول الذي يتناول مرحلة ما قبل سيبويه، فقد أشار الباحث الأول في مقدمة كتابه إلى وجود حلقة مفقودة في السلسلة النحوية، وهي الحلقة التي تصل من عصر أبي الأسود إلى عصر الخليل وسيبويه، يقول عن ذلك: "وقد شعرت منذ أن اشتغلت بالنحو العربي بأن هناك مرحلة مفقودة في تاريخ النحو العربي تمتد من عصر أبي الأسود إلى عصر الخليل وسيبويه"³⁸.

كما يذهب الباحث إلى ارتباط نشأة علم النحو بما كان للعرب من معارف في الجاهلية والإسلام، وأن الذي تنسب إليه نشأة أضخم علم يشغل الناس يعد حلقة في سلسلة المعرفة اللغوية إذ "قضية نشأة النحو مرتبطة بالمعارف السابقة للعرب في الجاهلية والعصر الإسلامي وبخاصة في مجالي القراءة والكتابة"³⁹. وأبو الأسود "حلقة في سلسلة المعرفة اللغوية... ولكنه برز في مجالها وزاد نشاطه في حلقتها

فنسبت إليه نشأة أضخم علم شغل الناس قرونا عديدة ومازال يشغلهم في وقتنا الحاضر⁴⁰.

أما الباحث الثاني محمد خير الحلواني فيشير في مقدمة كتابه إلى اعتناؤه بمرحلة غامضة من تاريخ علم النحو، يقول في ذلك: "وقد عنيت في هذا الجزء بالكشف عن نمو النحو في المرحلة الغامضة مرحلة أبي الأسود وتلامذته، وهي مرحلة وقف حيالها الباحثون في الشرق والغرب شاكين حائرين، ونعوتها بأنها مرحلة مظلمة في تاريخ النحو العربي، لا يمكن أن يبلغها البحث العلمي"⁴¹ ويذهب إلى أن نشأته تعود إلى الجذور الإسلامية التي كان القرآن ركيزتها المحورية، "والحق أن نشأة النحو ترتبط بجذور الحياة الإسلامية في ذلك الزمن وترتد إلى ما ترتد إليه نشأة العلوم الأخرى من لغوية ودينية وفلسفية، وكان القرآن الكريم محور هذه الجذور وهو الركيزة الأساسية فيها وإذا فإن نشأة العربية بمعناها الاصطلاحي انطلقت من القرآن"⁴²، مشيراً إلى أن أبا الأسود كان يعلم النحو ووضع أسسه نافياً عنه التأليف فيه.⁴³

مما سبق يتضح أن الآراء بشأن أول من وضع النحو منقسمة بين الاضطراب والاختلاف قديماً وحديثاً، وهو ما جعل إحدى مراحل النحو غير معروفة أو غير واضحة المعالم على الأقل، وهو ما يمكننا الاعتماد عليه في القول: إن بدايات علم النحو الحقيقية لم تصل إليها أيدي الباحثين بصورة وافية، ومن ثم فالسلسلة النحوية بهذه النشأة غير مكتملة، على أن غموض النشأة يمكن أن ننظر إليه من زاوية أخرى وهي زاوية الأصالة والتأثر في الدرس النحوي، "إذ يميل بعض الدارسين المحدثين إلى أن نشأة البحث اللغوي عند العرب كانت خاضعة لتأثير أجنبي ويرجعون التأثير اليوناني الذي أخذ طريقه إلى النحو العربي عن طريق النحو السرياني، وبعضهم يقول بوجود تأثير هندي في عروض الخليل وسيبويه... بيد أن المؤرخين القدامى وبعض المحدثين يؤكدون أن البحث اللغوي عند العرب أصيل

وأنه من نتاج العقلية العربية المحضة⁴⁴، هذا وعرف عن الهنود واليونانيين نشاط لغوي ملحوظ يتناول الجوانب الصوتية والنحوية والدالية في لغاتهم⁴⁵.

لقد وقف العلماء من مسألة الأصالة والتأثر في النحو العربي مواقف مختلفة، إذ وقف بعضهم موقف الحائر المتردد، ووقف آخرون موقف الحذر المتشكك، "ولم تكن هذه الخلافات عند علماء العرب فحسب، بل عند علماء أوروبا أيضا وبخاصة الذين درسوا تراثنا العربي وتاريخه"⁴⁶، ويصور لنا أحمد أمين جانبا من هذا الخلاف على لسان المستشرق ليتمان فيقول: "اختلف العلماء الأوروبيون في أصل هذا العلم، فمنهم من قال: إنه نقل من اليونان إلى بلاد العرب، وقال آخرون ليس كذلك، وإنما نبت كما تنبت الشجرة في أرضها، كذلك نبت علم النحو عند العرب"⁴⁷.

ولعل ما جعل هذا الاضطراب بهذا الشكل -فيما يبدو- تأخر العرب زمنيا عن كثير من الأمم في درس لغتهم، "وكل ما ينسب إليهم في هذا المجال نشأ بعد ظهور الإسلام"⁴⁸، إذ أوليات اللحن جعلت العلماء يقبلون على وضع نظام قواعدي يؤدي إلى قراءة القرآن قراءة صحيحة، ويتوصل به إلى الأحكام الشرعية الصحيحة، لأن "الغرض من وضع القواعد لعلم النحو يتمثل إما في المحافظة على النصوص الدينية مثل القرآن الكريم في العالم الإسلامي، والتوراة بالنسبة لليهود، والفيديا في الهند"⁴⁹ والسؤال المطروح الذي يتردد بين العلماء، والذي يثير جدلا بين المهتمين بالشؤون النحوية هو: من أين أخذ العرب نحوهم؟ من السريانية أم اليونانية؟ أم هو عربي محض؟ وهل أتاحت الظروف الثقافية التي عاش فيها كل من الخليل وسيبويه فرصة الاتصال بالحضارات السابقة، مثل الحضارة اليونانية والحضارات المعاصرة مثل الفارسية والرومانية؟⁵⁰

لقد انقسمت الآراء بشأن هذه النشأة إلى ثلاثة نذكرها كالآتي:

1 - الرأي القائل بالتأثر بالثقافة السريانية: ذهب إلى القول بتأثر العربية بالثقافة السريانية كثير من الباحثين العرب، إذ تتمثل خلاصة موقفهم في أن العربية

قامت على نمط السريانية، ومن القائلين بهذا جرجي زيدان، الذي ذهب إلى أن العرب" لما اضطروا إلى تدوين العلوم، وكانوا قد خالطوا السريان واطلعوا على آدابهم ومؤلفاتهم التي كان النحو في جملتها، نسجوا على منوالهم"⁵¹، ويستدل على هذا بكون العربية والسريانية شقيقتين، إضافة إلى أن أقسام الكلام العربية هي ذاتها في السريانية يقرر ذلك قائلاً: "فلما اضطروا إلى تدوين نحوهم ساروا على منوالهم لأن اللغتين شقيقتان، ويؤيد ذلك أن العرب بوضع النحو وهم في العراق بين السريان والكلدان، وأقسام الكلام في العربية هي نفس أقسامه في السريانية"⁵²، وأيد هذا الطرح وواقفه أحمد أمين، لما أرجع إمكانية اتصال العرب بالسريان وتأثرهم بتقافتهم وبقواعدهم إلى الأصل الواحد للعربية والسريانية، فقد "كانت آداب السريانية في العراق قبل الإسلام، وكان لها قواعد نحوية، فكان من السهل أن توضع قواعد عربية على نمط القواعد السريانية خصوصاً واللغتان من أصل سام واحد".⁵³

كما سار أحمد حسن الزيات على نهج جرجي زيدان وأحمد أمين، وذهب إلى أن عمل أبي الأسود ليس من نفسه، وإنما يرجع إلى أنه كان قد "ألم بالسريانية، وقد وضع نحوها قبل وضع نحو العربية".⁵⁴

2- الرأي القائل بالتأثر باليونانية: صلة العرب باليونان تبدو جلية في التاريخ حيث "لم يقبع العرب في شبه جزيرتهم، بل جابوا البحار والمحيطات التي تحيط بهم طلباً للتجارة وبحثاً عن العلم"⁵⁵، وحاول اليونانيون إقامة بعض الموانئ على الساحل الغربي للبحر الأحمر لتوفر لهم الماء والغذاء ولتمولهم بالبضائع التي يحتاجون إليها وسموها بأسماء يونانية.⁵⁶

كما أن اهتمام المسلمين بالعلوم العربية والعلوم الدخيلة يعزز اتصالهم باليونان وتم هذا بالاتصال المباشر باليونان ومعرفة آرائهم النحوية، وحملت لغة العرب بعض الألفاظ اليونانية، ومازلنا نتداولها حتى الآن دون أن ندري أصلها"⁵⁷، كما تعد الترجمة إحدى وسائل هذا الاتصال، ولاشك في أن الذين كانوا يقومون

بالترجمة كانوا متفهمين في نحو اللغة التي يحاولون النقل منها ومتفهمين في نحو اللغة التي يحاولون النقل إليها، "ومرحلة الترجمة مرحلة أولى في الاستفادة من علوم البشرية"⁵⁸، كما يرى أصحاب هذا الرأي أن النحو العربي اقتبس أصوله من النحو اليوناني، وتوسعوا في بحثهم وتوصلوا إلى أن اللغة اليونانية "حية مرنة تشبه في بعض النواحي العربية، كالحركات وتصريف الأفعال وتعدد الصيغ وتقسيم الكلام"⁵⁹، ويشير الدكتور محمود السمران إلى تأثر النحو العربي بمنطق أرسطو فيقول: "إن النحو العربي في مراحله الأولى تأثر شيئا من التأثر بمنطق أرسطو كما أشار علي أبو المكارم إلى أن بعض المترجمين الذين أعجبوا بالثقافة اليونانية قالوا بهذا التأثير اليوناني في الثقافة العربية"⁶⁰، كما يرى أن المنهج المنطقي اليوناني ترك ظلالات من التأثير في ميادين الدراسة التركيبية والنحوية⁶¹، والإدعاء بأن لا يوجد في كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو والذين تقدموه دعوى عريضة ينقضها التشابه بين المصطلحات العربية واليونانية، مثل اسم وفعل وحرف ومعرفة ونكرة وإسناد ومفرد وجمع ومذكر ومؤنث⁶²، وما أقسام الكلمة في العربية إلا إشارة على تأثر الفكر النحوي ببعض الأفكار اليونانية⁶³، على أن هناك من يرجع التأثير اليوناني في النحو العربي إلى مرحلة متأخرة، ويشير إلى وجود أثر يوناني مباشر أو غير مباشر في مرحلة متأخرة لا تشمل مرحلة النشأة⁶⁴، وإذا كان كارل بروكلمان قد أشار إلى أن النحو العربي غامض النشأة وليست هناك معطيات علمية دقيقة تزيل ظلامية نشأته، فإنه يشير بهذا إلى عدم أصالة هذا العلم، مرجعا بداية التأثير إلى إمام النحاة، حيث يقول: "أن التأثير الأجنبي في علم اللغة العربية بدأ على يد سيبويه الفارسي"⁶⁵.

ومما قد يتشبث به الباحث في القول بالتأثير الأجنبي في الفكر النحوي العربي هو معرفة العرب للغات من أحاط بهم من الشعوب، فقد ذكر يوهان فك أن العرب لم يقصروا معرفتهم على اللغة العربية فحسب، ولكنهم كانوا يعرفون غيرها من اللغات الأجنبية كاليونانية والفارسية، فنجد اللغة اليونانية "في غربي الدولة

والفارسية في شرقها ظللتا قرنا كاملا لسان الحكم والإدارة⁶⁶، كما أن الحضارات تأخذ من بعضها بعضا قديما وحديثا "وليس معنى أن الحضارة العربية أقدم أنها لم تأخذ شيئا من الحضارات السابقة عليها، ولم تؤثر في الحضارات اللاحقة بها ولكن الحضارة نهر عظيم تمده روافد متعددة، ينبع كل منها من مكان مختلف"⁶⁷.

الرأي القائل بأصالة النحو العربي:

ذهب جمهور من العلماء إلى أن وضع علم النحو عربي محض، حيث نشأ بالعراق في صدر الإسلام نشأة عربية على مقتضى الفطرة، للأسباب التي دعت إلى وضعه، وبذلك فهو "عربي النشأة، أصيل الطابع، ظهر بدافع عربي أصيل بعيد كل البعد عن التيارات العلمية التي وجدت في عصر النشأة، ولم يتأثر باليونانية ولا بالسريانية ولا غيرها من اللغات المجاورة"⁶⁸، فقد أشار العقاد إلى أن أقدم الثقافات الثلاث العربية واليونانية والعبرية في التاريخ هي الثقافة العربية، ويرى أن هذه حقيقة من حقائق التاريخ الثابت الذي لا يحتاج إلى عناء طويل في إثباته⁶⁹ فالثقافة العربية في نظره أسبق من اليونانية، فكيف يتأثر السابق باللاحق، والتشابه في الاصطلاحات لا ينهض دليلا لإثبات مثل هذه الدعوى العريضة⁷⁰، ولذلك وجب الإقرار بأصالة علم النحو الذي انبثق من العقلية العربية المحضة⁷¹، وقد صرح ليطمان بأن النحو العربي نحو أصيل لا دخل للثقافات المحيطة به، وأنه عربي النشأة، ولا يوجد في كتاب سيبويه "إلا ما اخترعه هو والذين تقدموه"⁷² ودعوى التأثير هذه مرجعها إلى الآراء الأوربية المسبقة التي ترى في اليونان مصدر كل تجديد، إذ تستبعد هذه الآراء أن تظهر العلوم عند الشعوب خالصة "وليس لدعوى التأثير سند إلا التتابع الذي بموجبه يأتي التطور النحوي اليوناني والسرياني والعربي"⁷³.

وإذا كنا قد وجدنا اضطرابا في نشأة النحو على مستويين، مستوى من وضعه أولا واضطراب الروايات حول ذلك، ومستوى كون هذا العلم خالصا أو متأثرا بالدرس اللغوي عند الأمم المجاورة للعرب، أو نقاء نشأته فإننا لا نجد هذا

الاختلاف على مستوى الأهداف التي قام من أجلها هذا العلم، والتي يبدو أن فيها شيئاً من التدرج بداية بحفظ النص القرآني من الخطأ والتحريف بقراءته قراءة سليمة، مروراً بالتعرف إلى أسرارهِ وحسن استنباط أحكامهِ، وانتهاءً برسم معالم الأداء اللغوي السليم لاتباع سنن العرب في كلامها، ولم نكد نقف على أي خلاف بين العلماء والدارسين بعكس ما وجدناه عندهم في نشأة هذا العلم، فهذا ابن جني (392هـ) يصرح بأن هدف النحو إنما هو مجازاة العرب في كلامها، ورد كل مخالف لذلك، فهو وضع "يلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها"⁷⁴، وهاهو الجاحظ يشير إلى أن الغاية من النحو تحقيق فهم حسن وتعبير دقيق وتبليغ جيد، والهدف كما رسمه "ألا يتجاوز ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه وشعر إن أنشده وشيء إن وصفه"⁷⁵، وقد جمع أبو القاسم الزجاجي هذه الغايات جميعاً، ولخصها في "الوصول إلى التكلم بكلام العرب على الحقيقة صواباً غير مبدل ولا مغير، وتقويم كتاب الله الذي هو أصل الدين والدنيا والمعتمد، ومعرفة أخبار النبي(ص) وإقامة معانيها على الحقيقة"⁷⁶، كما نجد الأفغاني سعيد يربط الهدف بحسن الفهم الديني وبحسن الاستنباط "إذ كانت سلامة أحكامه موقوفة على حسن فهم المستنبط لنصوص القرآن الكريم والحديث الشريف وكان في ضعف العربية تضييع لهذا الفهم"⁷⁷.

وزاد الدكتور محمد عبد العزيز على الأفغاني أن عدد الأهداف ولم يحصرها في الغاية الدينية "فهم النص القرآني الكريم والتعرف على أسرارهِ كان هدفاً يبتغيه كل مسلم، وعلم النحو هو أقرب العلوم اللغوية إلى هذه الغاية الكريمة... كما أن حاجة المسلمين من غير العرب إلى تعلم العربية والتعبد بكتابها الخالص وحرص أولي الأمر على تعليمهم إياها، دعاهم إلى وضع القواعد التي تمثل العربية الصحيحة وجعل نطقها صحيحاً"⁷⁸.

وخلاصة القول فالنحو عند العرب مكسو بغموض يلف نشأته على مستويين: مستوى الواضع الأول له، ومستوى تأثره بالدرس النحوي للأمم التي أحاطت بهم وما اختلاف الآراء حول هذه النشأة إلا دليل على ذلك، وعلى الرغم من تعدد المصادر حول هذه النشأة قديما وحديثا، فإن الحسم في هذه المسألة لم يحصل، مما يؤشر على وجود حلقة مفقودة من تاريخ النحو، وإذا كان هذا حال النشأة فإن الأهداف على العكس من ذلك، إذ تميزت بالوضوح والجلاء، ولم نكد نقف - على اختلاف المصادر - على اختلاف في الغاية، حتى ولو كانت المصادر غير عربية.

الهوامش:

- 1 - نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة. للشيخ محمد الطنطاوي، دار المعارف الطبعة الثانية، 1991 ص 20.
- 2 - عيون الأخبار، ابن قتيبة، دار الكتاب العربي بيروت، ج 5، ص 185 .
- 3 - تاريخ الأدب العربي شوقي ضيف مقدمة الكتاب، دار المعارف، ج3، ص 05.
- 4 - النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، دار الكتاب العربي، ج1، ص03.
- 5 - الزخرف. الآية 03.
- 6 - البحث النحوي عند الأصوليين، السيد مصطفى جمال مركز دراسات فلسفة الدين وعلم الكلام بالتعاون مع دار الهادي للنشر والتوزيع، بيروت ط1 ص39.
- 7 - ينظر نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، الطنطاوي، دار المعارف، ط2 القاهرة، 1991 ص15.
- 8 - المرجع السابق، ص16.
- 9 - مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبد السلام هارون. مادة لحن.
- 10 - القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبد العالي سالم مكرم، مؤسسة علي جراح الصباح، ط2 1978، ص45.
- 11 - فقه اللغة في الكتب العربية. عبده الراجحي، بدون طبعة ص34-35
- 12 - مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي، تقديم وتعليق: الدكتور محمد زينهم محمد عزب، دار الآفاق العربية، د.ط، سنة 2003، ص14

- 13 - طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، د.ت، ص11.
- 14 - من تاريخ النحو، سعيد الأفغاني، دار الفكر، د.ت، ص 08 .
- 15 - كتاب سيبويه مادته ونهجه، محمد حسن عبد العزيز، دار السلام، الطبعة الأولى 2012 ص31.
- 16 - الطبقات، الزبيدي ص 11-12.
- 17 - أخبار النحويين البصريين، السيرافي، تح: عبد المنعم خفاجي، مطبعة بابي الحلبي، مصر ط1، مصر1955، ص10.
- 18 - طبقات فحول الشعراء، ابن سلام، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، د.ت ود.ط، ج1 ص14.
- 19 - الفهرست، ابن النديم، مكتبة خياط، بدون تاريخ. ص 40-41.
- 20 - مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي، ص 8-10.
- 21 - إنباه الرواة، القفطي، تح: محمد أبو الفضل، بيروت، 1986، ج 1/ 4-5.
- 22 - نزهة الألبا، ابن الأنباري، تح: محمد أبو الفضل، القاهرة 1976، ص 4.
- 23 - المزهر - السيوطي، تح: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، القاهرة، د.ت، ج1 ص397.
- 24 - المصطلح النحوي نشأته وتطوره، عوض حمد القوزي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983، ص 27.
- 25 - ينظر الفهرست، ابن النديم ص 45، 46 ونزهة الألبا لابن الأنباري، ص 17 - 23.
- 26 - من تاريخ النحو، الأفغاني، ص 27-28.
- 27 - نزهة الألبا لابن الأنباري، ص 4.5، والفهرست لابن النديم، ص 62 - 63.
- 28 - ضحى الإسلام، أحمد أمين، دار المعارف بمصر ط5، 1983، ج 2، ص285.
- 29 - من تاريخ النحو، الأفغاني، ص 28.
- 30 - ضحى الإسلام، أحمد أمين ج2، ص 286 .
- 31 - المدارس النحوية، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط 5، سنة 1983، ص16.
- 32 - تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، المختار ولد أباه، دار الكتب العلمية، ط2 سنة 2008، ص 43.
- 33 - تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة عبد الحلیم النجار، دار المعارف بمصر ط1 سنة 1961، ج2، ص128.

- 34 - ضحى الإسلام، أحمد أمين، ج2، ص 285.
- 35 - كتاب سيبويه مادته ومنهجه، محمد حسن عبد العزيز، ص 34.
- 36 - ينظر الفهرست، ابن النديم، ص 62.
- 37 - من تاريخ النحو، سعيد الأفغاني، ص 38.
- 38 - الحلقة المفقودة في النحو العربي - عبد العالي سالم مكرم، مصر، طبعة 1977، ص 03.
- 39- نفسه، ص 11.
- 40 - نفسه، ص 16.
- 41 - المفصل في تاريخ النحو، محمد خير الحلواني، بيروت 1979، ج1، ص6.
- 42 - نفسه، ص17.
- 43 - ينظر نفسه، ص 150.
- 44 - كتاب سيبويه، مادته ومنهجه، محمد حسن عبدالعزيز، ص 31.
- 45 - نفسه، ص 31.
- 46 - أبو الأسود ونشأة النحو، فتحي عبد الفتاح الدجني، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1 2002، ص 58 .
- 47 - ضحى الإسلام، أحمد أمين، ج 2، ص 292،
- 48 - كتاب سيبويه، مادته ومنهجه، محمد حسن عبد العزيز، ص 31.
- 49 - النحو بين العرب واليونان، ابراهيم خليفة شعلان، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 1، 2009، ص 51.
- 50 - نفسه، ص 52.
- 51 - المدارس النحوية، خديجة الحديثي، دار الأمل، الأردن، ط3 سنة 2001، ص33.
- 52 - تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، مراجعة شوقي ضيف، القاهرة ج1، ص 388 .
- 53 - فجر الإسلام أحمد أمين، ص183.
- 54 - تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار المعرفة بيروت 2000، ص149.
- 55 - النحو بين العرب واليونان، إبراهيم خليفة شعلان، ص11.
- 56 - تاريخ مصر في عهد البطالمة، نصحي إبراهيم، القاهرة، د.ت، ج2، ص404.
- 57 - النحو بين العرب واليونان، إبراهيم خليفة شعلان، ص 13.
- 58 - ينظر نفسه، ص 15.
- 59 - ينظر تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، ج1، ص 388.

- 60 - علم اللغة العام، محمود السعران، دار المعارف القاهرة، 1962، ص 355.
- 61 - ينظر تقويم الفكر النحوي، ص 355 علي أبو المكارم، بيروت، د.ت، ص 54-55
- 62 - النحو بين العرب واليونان، إبراهيم خليفة شعلان، ص 59.
- 63 - ينظر تقويم الفكر النحوي، علي أبو المكارم، ص 78 - 79 - 92 - 93 .
- 64 - البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، القاهرة، 1967، ص 237.
- 65 - تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ج2، ص 123.
- 66 - العربية، يوهان فك. ترجمة رمضان عبد التواب القاهرة، 1980، ص 24.
- 67 - ينظر: النحو بين العرب واليونان، إبراهيم خليفة شعلان، ص 53.
- 68 - أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو، فتحي عبد الفتاح الدجني، ص 67.
- 69 - الثقافة العربية أسبق من ثقافة العرب واليونان، العقاد، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 1985، ص 05.
- 70 - البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، ص 239.
- 71 - تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ج2، ص 124.
- 72 - تاريخ النحو وأصوله، عبد الحميد السيد، مكتبة الشباب، القاهرة، 1976، ص 24.
- 73 - النحو بين العرب واليونان، إبراهيم خليفة شعلان، ص 58 .
- 74 - الخصائص، ابن جني، تحقيق علي النجار، دار الكتب المصرية، ج1، ص 24.
- 75 - الحيوان، الجاحظ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3 1969، تح عبد السلام هارون، ج1 ص 91.
- 76 - الإيضاح في علل النحو، الزجاجي تحقيق: مازن مبارك، دار النفائس، ط4، 1982 بيروت، ص 95-96.
- 77 - من تاريخ النحو، الأفغاني، ص 19.
- 78 - كتاب سيبويه مادته ومنهجه، محمد حسن عبد العزيز، ص 32.

دلالة التكرار التام للجُملة في القرآن بين البلاغيين والنحويين سورة الرَّحْمَن نمُودجًا

أ. مرزوق فاتح

جامعة مولود معمري. تيزي-وزو

مقدّمة: الحمد لله الذي أنطق لسان الإنسان، فأفصح بعجيب البلاغة وسحر البيان، وأوضح منار البرهان، أحمده حمدَ عبد معتوق بالعجز والتقصير أمّا بعد: لقد فضّل الله اللّغة العربيّة على سائر اللّغات؛ فنزل بها القرآن الكريم أعظم جليس وخير أنيس؛ فحار العرب في نظمه وقوة بيانه، وعجيب أسلوبه وتركيبه؛ فما من كلمة أو جملة إلاّ وقد أخذت موضعها، وأُنزلت منزلتها؛ فكانت نوراً في صدره وسراجاً في محتواه، فلا يوجد شيء ألدّ من تلاوته ولا أرجح من فصاحته ولا أفصح من بلاغته، ولا أحسن من نظمه.

فما من مسألة لغويّة أو نحويّة إلاّ واحتكموا فيها إلى القرآن؛ فقد جعلوا القرآن حكماً على قواعد اللّغة والنحو، لم يجعلوا تلك القواعد حكماً على القرآن. ومن المسائل التي عالجها البلاغيّون والنحويّون مسألة التكرار سواء كانت حرفاً أم كلمة أم جملة خاصّة، وأنّ التكرار ورد في مواطن كثيرة من القرآن الكريم، فما من شيء تعلق بكتاب الله تعالى إلاّ والتمسوا دقائقه، واستخرجوا أسراره وإعجازه.

ومن هذا المنطلق تأتي أهميّة هذا المقال؛ والذي حاولت فيه تسليط الضوء على "التكرار" من منظور قديم في الدّراسة البلاغيّة والنحويّة، وهو التكرار التام للجُملة في القرآن الكريم سواء أكان هذا التكرار متعلقاً بالجُملة الفعلية أم الجُملة الاسميّة وعليه نطرح الإشكال الآتي: هل تكرر الجُملة له دور في كشف قناع المعنى؟ وما دلالة التكرار البلاغيّة؟ ما الروابط الجامعة بين التكرار النحويّ والبلاغيّ؟ وكيف عُولج التكرار من منظور النّحاة والبلاغيين؟

1- مفهوم التكرار

1-1: التعريف اللغوي: جاء في لسان العرب "الكر: الرجوع. يقال: كره وكره بنفسه، يتعدى ولا يتعدى. والكر: مصدر كر عليه يكر كراً وكُروراً وتكراراً: عطف وكر عنه: رجع، وكر على العدو يكره؛ ورجل كرار ومكر، وكذلك الفرس. وكرر الشيء وكركره: أعاد مرة بعد أخرى. والكرة المرة، والجمع الكرات قال أبو سعيد الضريز: قلت لأبي عمرو: ما بين تفعال وتفعال؟ فقال: تفعال اسم وتفعال، بالفتح مصدر. وتكرَكَرَ الرجل في أمره أي تردد. والمُكَّرَرُ من الحروف الراء¹. ومن خلال التعريف اللغوي يتضح أنّ التكرار هو الإعادة لما قد سبق ذكره، وهو يتفق مع المعنى الاصطلاحي؛ فقد ورد تعريفه في كتاب التعريفات للقاضي للجرجاني: ((عِبَارَةٌ عَنِ الْإِثْبَاتِ بِشَيْءٍ مَرَّةً بَعْدَ الْآخَرِ))². فالتكرار من الأساليب المعروفة عند العرب في أقدم أساليبها؛ وأعني بذلك شعرها ونثرها وأسجاعها هذا في كلام العرب، فما بالك بكلام رب البشر؟

ويعتبر محمد بن عبد الله الزركشي التأكيد فائدة من فوائد التكرار فيقول: ((علم أن التكرار أبلغ من التأكيد؛ لأنه وقع في تكرار التأسيس، وهو أبلغ من التأكيد فإن التأكيد يقرّر إرادة الأول وعدم التجوّر))³.

أنواع التكرار: التكرار كظاهرة بلاغية نحوية أخذت حظها الأوفر من لذن البلاغيين والنحويين، والمهتمين بسحر البلاغة ومعانيها ودلائلها الخفية خاصة والتمتع في الكتب القديمة يلمس تقسيم التكرار عند غالب دارسيه إلى قسمين: تكرار في اللفظ والمعنى وتكرار في المعنى دون اللفظ، وإن كان قد ورد عند البعض بأسماء أخرى وتقسيمات متفرعة سنتناولها بدقة عند البلاغيين.

1- التكرار في اللفظ والمعنى: هو ما تكرر فيه اللفظ بعينه دون اختلاف؛ أي: أنّ الكلمة أو العبارة تأتي بالصيغة نفسها. ينبغي إمعان النظر فيه لغموضه ودقة مجاريه. وقد وقع هذا التكرار في القرآن الكريم بمعانٍ جزلة، ومقاصد سنية، ويرد هذا النوع من التكرار مفصلاً في كتاب الله تعالى لقوله تعالى ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: 3-5] فالتكرار الوارد في هذه السورة هو "الجملة الاسمية" دونما تغيير في مركباتها التكوينية وهي مركبة من مسند إليه "أنتم" [مبتدأ] ومسند "عابدون" [خبر]. وهذا التكرار لم يوضع سبّهلة وإمّا فيه مغزى آخر وهو النفي؛

فقد رُوِيَ عن الزركشي في كتابه البرهان: "أن بعض الزنادقة سألوا الحسن بن علي - رضي الله عنه - عن هذه الآية فقال: ((إني أجد في القرآن تكرارا وذكر له ذلك فأجاب الحسن بما حاصله: إن الكفار قالوا: نعبد إلهك شهرا وتعبد آلهتنا شهرا فجاء النفي متوجها إلى ذلك))⁴.

وكذلك التكرار في قوله تعالى ﴿ مَا أَقْرَعُهُ وَمَا أَدْرَنكَ مَا أَقْرَعُهُ ﴾ [القارعة: 2-1] وفي قوله أيضا: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ [الواقعة: 27]. وهذا التكرار الواقع في هذه الآيتين يفيد التعظيم والتهويل؛ فالتكرار قد يخرج عن غرض التأكيد في النص القرآني لأغراض أخرى بالسياق الذي يرد فيه التكرار خاصة وهذا النوع من التكرار يرد في القرآن وقد يرد مفصولا عن الآية نفسها كقوله ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: 09-68-104-122-140-159-175-191].

أما الجملة الفعلية فالتكرار فيها وارد كثيرا في لغة العرب؛ لأن الجملة الفعلية تدل على الحدث كما أنها تفيد الاستمرار التجديدي إذا دلت عليه قرائن، وهذا الاستمرار والحدث ربما يشم بالتكرار وفي هذا يقول ولفنسون: ((إن اللغات السامية في الحقيقة تعتمد على الجمل الفعلية أكثر من اعتمادها على الاسمية فالفعل في اللغات السامية هو كل شيء، فمنه تتكون الجملة، ولم يخضع الفعل للاسم والضمير؛ بل نجد الضمير مسندا إلى الفعل، ومرتبطا به ارتباطا وثيقاً))⁵.

ومما وقع فيه القرآن الكريم من التكرار بالجملة الفعلية قوله: ﴿ يَأْتِيهَا الزَّيْتُ عَامِنًا تَنْفُوا اللَّهُ وَتَنْظُرُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر: 18] فالمأمور في هذه الآية فيهما واحد، كما قاله النحاس والزمخشري والإمام الرّازي، ورجّحوا ذلك على احتمال أن تكون "التقوى" الأولى مصروفة لشيء غير التقوى وقولهم: "إنه: تأكيد فمرادهم تأكيد المأمور به بتكرير الإنشاء"⁶. فالتكرار في القرآن من بدائع القرآن⁷؛ إذ يفيد المبالغة والإبانة؛ حيث يقول مصطفى صادق الرافعي: ((وتكرار الكلام لكل ما يفيد التكرار توكيدا ومبالغة وإبانة وتحقيقا ونحوها، ثم استعمال الترادف في اللفظ والمعنى، ومقابلة الأضداد

وغيرها كما هو في نفسه تكرر آخرَ للمحسنات اللفظية وتحسين للتكرار المعنوي)).⁸

والتكرار الذي يتم على مستوى الجملة الفعلية والاسمية والفعلية يسمى "التكرار التام"؛ وذلك كون الجملة تبقى محافظة على تركيبها دونما أي تغيير، نحو قوله تعالى في سورة الرحمان ((فبأي آلاء ربكما تكذبان)) فقد بقيت الجملة بتركيبها "الاستفهام + المضاف + المضاف إليه + الفعل (تكذب) + الفاعل (الضمير)"

التكرار في المعنى دون اللفظ: وهذا النوع من التكرير لن أتعمق فيه كثيرا؛ لأنه يرد بكثرة في القصص القرآني كقصة آدم عليه السلام، وموسى، ونوح وغيرهم من الأنبياء، قال بعضهم: ذكر الله سيدنا موسى عليه السلام في مائة وعشرين موضعا من كتابه في سورة آل عمران، الآية [28- 30] وهذا النوع من التكرار له فائدة نذكرها في نقطتين:

أحدها: أنه إذا كرر القصة زاد فيها شيئا، ألا ترى أنه ذكر الحية قوله ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ سَتَعَى ﴾ [طه: 20] في عصا موسى عليه السلام، وذكرها في موضع آخر ثعباناً، ففائدته أن ليس كل حية ثعبان لقوله: ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّسِينٌ ﴾ [الأعراف: 107] وقوله ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّسِينٌ ﴾ [الشعراء: 32] وهذه عادة البلغاء أن يكرر أحدهم في آخر خطبته أو قصيدته كلمة لصفة زائدة.⁹

ثانيها: أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود إلى أهله، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل بعد صدور الأولين. وكان أثر من آمن به مهاجريا. فلولا تكرر القصة لوقعت قصة سيدنا موسى على قوم، وقصة عيسى عليه السلام إلى آخرين.

وفي هذا النوع من التكرار يذكر ابن قتيبة إحدى فوائدها فيقول: ((إن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن منجما في ثلاث وعشرين سنة... وكانت وفود العرب ترد على رسول اله - صلى الله عليه وسلم - للإسلام، فيقرئهم المسلمون شيئا من القرآن؛ فيكون ذلك كافيا لهم، وكان يبعث من القبائل المتفرقة بالسور المختلفة فلو لم تكن الأنبياء والقصص مثناة ومكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم وقصة عيسى إلى قوم وقصة نوح إلى قوم وقصة لوط إلى قوم، فأراد الله بلطفه

ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض ويقفيها في كل سمع ويثبتها في كل قلب، ويزيد الحاضرين في الإفهام والتحذير))¹⁰

أما الأستاذ محمد قطب فيرجع هذا التكرار الوارد في القرآن إلى التنويع؛ إذ يقول: ((الظاهرة الحقيقية ليست هي التكرار، وإنما هي التنويع... لا يوجد نصان متماثلان في القرآن كله؛ إنما يوجد تشابه فقط دون تماثل، كالتشابه الذي قد يوجد بين الإخوة والأقارب، لكنه ليس تكراراً بحال من الأحوال إنه مثل ثمار الجنة: "كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا، أتوا به متشابهاً"... وإن التنويع ذاته لجمال فوق أنه يذهب عن نفس الملل))¹¹

ومما نخلص إليه نقول: من المحال أن تجد في القرآن آية مكررة دونما أي قصد، فالتكرار كما أسلفت أنفاً أنه فن أسلوبية، خاصة إذا قرن بأسلوب القرآن؛ أسلوبه العجيب ونظمه البديع، فإذا ما تدبر فيه القارئ وأراد مريد أن يتردد على قوة بيانه، وسحر نظمه، ليذكر الإدراك كله أنه صيغ صياغة عجيبة فتألفت كلماته وتعانقت جملة، فخرت لعظمته جباه أساطين البيان. فأعجزهم فما استطاعوا أن يأتوا بأقصر من مثله. وهذا مرده إلى أن القرآن انفرد بنظمه، وفي هذا يقول مصطفى الرافعي - وهو في معرض حديثه عن روح التركيب في أسلوب القرآن: ((وهذه الروح لم تعرف قط في كلام عربي غير القرآن؛ وبها انفرد نظمه، وخرج مما يطيقه الناس ولولاها لم يكن بحيث هو كأنما وضع جملة واحدة ليس بين أجزائها تفاوت أو تباين؛ إذ تراه ينظر في التركيب إلى نظم الكلمة وتأليفها، ثم إلى تأليف هذا النظم فمن هنا تعلق بعضه ببعض، وخرج في معنى تلك الروح صفة واحدة؛ هي صفة إعجازه في جملة التركيب))¹²

❖ التكرار عند النحويين: إن المتمعن في كتب النحو قديمها وحديثها، يلمح أن التكرار يرد في باب من أبواب هو "التوكيد" وذلك كون التوكيد يمكن الشيء في النفس ويقوي أمره؛ حيث يقول أبو البقاء العكبري: ((التوكيد تمكين المعنى في النفس ويقال: توكيد وتأكيد ووكد وأكد بالواو))¹³، فإن الذي يلطف النظر ويمعن التدبر يلحظ أن أنواع التوكيد هي نفسها الواردة في التكرار، فالتكرار عند النحاة يأخذ منحى الاهتمام بالمعاني الإعرابية، ولعل أول من تظن إلى هذا الأمر هو الإمام عبد القاهر الجرجاني؛ فالتكرار مثلاً عند الجرجاني من معاني النظم التي

تَبَثَّ فِي النَّظْمِ، فَيُسْتَهْمُ فِي الاتِّسَاقِ وَالانْسِجَامِ، وَهَنَّاكَ بَيْتٌ عَلَّقَ عَلَيْهِ الْجِرْجَانِيُّ
وَهُوَ لِلْبَحْتَرِيِّ، فِي قَوْلِهِ:

فَكَالسَيْفِ إِنْ جِنَّتَهُ صَارِخًا * * وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِنَّتَهُ مُسْتَثْبِيًا¹⁴.

يَعْلُقُ الْجِرْجَانِيُّ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ قَائِلًا: ((إِنْ الشَّاعِرُ رَبطَ بِالْعَطْفِ (الفَاءِ) وَكَرَّرَ
الْكَافَ مَعَ حَذْفِهِ الْمَبْتَدَأَ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى هُوَ كَالسَيْفِ، ثُمَّ كَرَّرَ الْكَافَ فِي قَوْلِهِ
"وَكَالْبَحْرِ"، وَهَذَا سَبَبٌ وَاضِحٌ لِمَحَاسِنِ النَّظْمِ فِيهِ، يَضَافُ إِلَى ذَلِكَ تَكَرُّرُهُ لِلشَّرْطِ
الْمُتَضَمِّنِ جَوَابِهِ "إِنْ جِنَّتَهُ صَارِخًا"، "إِنْ جِنَّتَهُ صَارِخًا" وَرَدَا فِي الشُّطْرَيْنِ مِنَ
الْبَيْتِ، رُبَّمَا أَنَّ التَّكَرُّرَ أَنْوَاعَ مِنْهُ الْجَزْئِيَّ مِثْلَمَا مَرَّ وَمِنْهُ الْكَلْبِيُّ، وَهُوَ الَّذِي تَتَكَرَّرُ
فِيهِ جَمَلَتَانِ أَوْ أَكْثَرَ بِاللَّفْظِ وَالْمَعْنَى))¹⁵ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ تَكَرُّرًا فِي الْمَعْنَى لَا فِي
اللَّفْظِ، فَتَكَرُّرُهُ إِنْ جِنَّتَهُ صَارِخًا وَإِنْ جِنَّتَهُ صَارِخًا مُسْتَثْبِيًا فِي اللَّفْظِ وَإِنْ انْفَقَتَا فِي
الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ كِلَيْتَهُمَا مَعْنَاهُمَا "إِنْ جِنَّتَهُ طَالِبًا الْمُسَاعَدَةَ"¹⁶.

فَالظَّاهِرُ مِنْ قَوْلِ الْجِرْجَانِيِّ أَنَّ التَّكَرُّرَ يَعْذُّ أَحَدَ مَعَانِي النَّحْوِ، وَمَا الْمَعْنَى إِلَّا مَا
يُفْهَمُ مِنَ الْكَلِمَاتِ؟ فَيَحْتِمُ عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ: "إِنَّ هَذَا مَبْتَدَأٌ وَهَذَا خَبْرٌ وَهَذَا تَوْكِيدٌ".
وَتَجَدُّرُ بِنَا الْإِشَارَةَ إِلَى أَمْرٍ مَهْمٌ وَهُوَ أَنَّ عَبْدَ الْقَاهِرِ الْجِرْجَانِيَّ قَدْ رَبطَ النَّحْوُ
بِالْبَلَاغَةِ، فَيَسْمَى مِنْهَجُهُ الْمَتَّبِعُ بِـ "النَّظْمِ" وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ فِي مَقْدَمَتِهِ قَائِلًا: ((مَعْلُومٌ
أَنَّ لَيْسَ النَّظْمُ سِوَى تَعْلِيقِ الْكَلِمِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَجَعَلَ بَعْضُهَا بِسَبَبٍ مِنْ
بَعْضٍ))¹⁷ وَبَعْدَ أَنْ فَرَّغَ مِنْ بَيَانِ أَقْسَامِ الْكَلِمِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ قِسْمٍ، رَاحَ يَبِينُ أَهْمِيَّتَهَا
فَيَقُولُ: ((فَهَذِهِ هِيَ الطَّرِيقُ وَالْوُجُوهُ فِي تَعْلُقِ الْكَلِمِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَهِيَ كَمَا تَرَاهَا
مَعَانِي النَّحْوِ وَأَحْكَامُهُ))¹⁸.

وَمِنْ هَذَا الْمُنْطَلِقِ سَأَحْوَلُ أَنْ أَبِينُ التَّكَرُّرَ مِنْ خِلَالِ رَأْيِ النَّحَاةِ؛ حَيْثُ تَتَاوَلَوْهُ
وَهُمْ بِمَعْرُضِ الْحَدِيثِ عَنِ التَّأَكِيدِ، وَكَمَا سَبَقَ الذِّكْرُ أَنَّ النَّحْوَ لَمْ يَكُنْ بِمَعزَلٍ عَنِ
الْمَعْنَى، فَالْحَرَكَاتُ الْإِعْرَابِيَّةُ هِيَ فِي حَدِّ نَفْسِهَا تَعْطِي الْمَعْنَى الْمَرْجُوءَ مِنْ ذَلِكَ
وَلَكِنْ لَا بَدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ مَعْنَى التَّأَكِيدِ حَتَّى نَسْتَطِيعَ فَهْمَ الدَّلَالَةِ الْخَفِيَّةِ مِنْهُ.

التَّوَكِيدُ وَالتَّأَكِيدُ لُغَتَانِ: حَيْثُ يُقَالُ: وَكَدَّ تَوْكِيدًا، وَأَكَّدَ تَأَكِيدًا، وَهُوَ بِالْوَاوِ أَكْثَرَ
فَهُمَا مُصَدَّرَانِ وَضَعَا عَلَى الْأَسْمَاءِ¹⁹.

وَالتَّوَكِيدُ بِمَعْنَاهِ الْإِصْطِلَاحِيِّ: "تَابِعٌ يَقْرُرُ أَمْرَ الْمَتَّبِعِ فِي النِّسْبَةِ أَوْ الشُّمُولِ
وَقِيلَ: عِبَارَةٌ عَنِ إِعَادَةِ الْمَعْنَى الْحَاصِلِ قَبْلَهُ"²⁰.

أما الكوفيون فيطلقون اسم "النعته" على "التأكيد"، ولا يريدون حقيقة النعته؛ لكن التأكيد يعدُّ تكريراً للأول، إمّا باللفظ نفسه، وإمّا بما يزيل الشكَّ في إرادته ذاته، دون غيره أو سببه، وإمّا بما يؤكد الإحاطة به كله، وشمول مدلول لفظه؛ لأنّه لا حصول للإصابة في حيّز الوصول والإصابة.

والتأكيد قد يكون بتكرير اللفظ؛ وقد يكون بتكرير المعنى، ولقد أشار أبو البقاء العكبري إلى هذا التقسيم بقوله: ((فإن قيل فعلى كم ضرباً التوكيد قيل: على ضربين: توكيد بتكرير اللفظ وتوكيد بتكرير المعنى، فأما التوكيد بتكرير اللفظ فنحو قولك: جاعني زيد زيدٌ وجاعني رجل رجل... وأما التوكيد بتكرير المعنى فيكون بتسعة ألفاظ وهي: نفسه وعينه وكله وأجمع وأجمعون وجمعاء وجمع وجمعا وكتلتا))²¹ وقد أشار ابن مالك في ألقيته إلى هذا التقسيم بقوله:

وكلا أذكر في الشمول وكلا * كلتا جميعا بالضمير موصلا

وبعد كل أدوا بأجمعا * جمعاء، أجمعين، تم جمعاً²²

ولقد عني النحاة بالتوكيد اللفظي: وهو تكرار اللفظ الأول بعينه اعتناءً به، نحو: أدرجي أدرجي²³؛ وذلك كونه سنةً من سنن العرب في كلامها. وهذا النوع من التأكيد أشار إليه "العلوي" بعد تقسيمه التأكيد إلى مجريين: عامٍ وهو يتعلق بالمعاني الإعرابية وينقسم إلى لفظي ومعنوي، والتكرير قد يكون اسماً كما يكون حرفاً وفعلاً وحتى جملة.

أما التوكيد الاسم: إذا أردنا توكيد الاسم؛ فإنه يكرّر بلا شرط كقول "مسكين الدرامي"⁽²⁴⁾:

أخاك أخاك إن من لا أخاله * كساع إلى الهيجا بغير سلاح²⁵

"فأخاك" الأولى منصوبة على الإغراء والثانية توكيد²⁶. ومنه قول جرير²⁷:

فهيّهات هيّهات العقيق ومن به * وهيّهات حل بالعقيق نواصله

حيث أكد الشاعر اسم الفعل "هيّهات" توكيداً لفظياً بتكريره؛ ولذلك فإن هيّهات الثانية لا تحتاج إلى فاعل؛ لأنها لم يؤت بها إلا لتأكيد الأول.

كما يمكن تأكيد الجملة، ولكن الجملة إذا أكدت فالأكثر أن تُقرن بحرف العطف "ثم" من ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: 3-4]. حيث تكررت الجملة للتوكيد، وفصل بين الجملتين بحرف العطف (ثم)²⁸.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾
الانفطار: [17-18]، فقد تكررت الجملة وهي جملة اسمية مكوّنة من [استفهام
(ما) + فعل (أدراك) + فاعل (ضمير مستتر) + مفعول به (الكاف) + ما (خبر
مقدم) + مبتدأ مؤخر (يوم)].

كما يؤكد الحرف الجوابي بتكريره بلا شرط، والحرف الجوابي نحو: لا، نعم
إي جبر، بلى، ومنه قول جميل بثينة²⁹:

لا لا أبوح بحبٍ بُئِنَةٌ إنها * أخذت على موائقا وعهودا³⁰

حيث أراد الشاعر تأكيد حرف النفي الجوابي (لا) فكرّره، كما يؤكد الحرف
غير الجوابي تأكيدا لفظيا ومن ثمة يجب أن يعاد معه ما يدخل عليه، كقوله تعالى:
﴿ وَمَا أَلْدِينُ سَعْدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ
مَجْدُوزٍ ﴾ هود: [108]. حيث تكرر حرف الجر (في) على سبيل التوكيد، فأعيد
ضمير ما دخل عليه، فالمؤكد (في الجنة)، والتوكيد (فيها).

كما أنه يؤكد الفعل بلا شرط نحو قول الشاعر:

فأينَ إلى أينَ النجاةُ ببغلتِي * أتاك أتاك اللاحقون أحبس أحبس³¹.

فقد ورد في هذا البيت تكرر الجملة الفعلية توكيدا للفعل، وقد علق "ابن
هشام"⁽³²⁾ على هذا البيت وهو في معرض الحديث عن ضربي التأكيد حيث قال:
"تقدير البيت فأين تذهب إلى أين النجاة ببغلتِي، فحذف الفعل "العامل" في "أين"
الأول، وكرر الفعل والمفعول في قوله أتاك أتاك "واللاحقون" فاعل بأتاك الأول لا
فاعل للثاني؛ لأنه إنما ذكر للتأكيد، لا ليستند إلى شيء"، وقيل: ((إنه فاعل بهما
وذلك لأنهما لما اتحدا لفظا ومعنى نزلا منزلة الكلمة الواحدة))³³.

ثم يواصل "ابن هشام" التعليق على هذا البيت مُبرزا رأيا آخر بقوله: ((وقيل
إنهما منازعا قوله "اللاحقون" ولو كان كذلك لزم أن يضر في أحدهما فكان يقول:
أتوك أتاك اللاحقون على إعمال الثاني وأتاك أتوك على إعمال الأول))³⁴.

وإذ ما انتقلنا إلى النحوي ابن جني (392 هـ)، نجده يفرد التوكيد في باب من
أبواب كتاب الخصائص "الاحتياط" حيث يقول: ((اعلم أنّ العرب إذا أرادت المعنى
مكثته واحتاطت له فمن ذلك التوكيد))³⁵، فابن جني يعتبر التوكيد من السنن التي
سنها العرب في كلامها، كي تمكن المعنى وتقيد به ثم يكمل ابن جني قوله لكي

يبين أضرب التوكيد بقوله: "وهو على ضربين:

أحدهما: تكرير الأول بلفظه: وهو نحو قوله: قام زيد (قام زيد) و(ضربت زيد
ضربت)، وقد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، والله أكبر الله أكبر وقال:

إِذَا التَّيَّارُ نَوَّ العَضَلَاتِ قُنَّا * - * إِلَيْكَ إِلَيْكَ ضَاقَ بِهَا ذِرْعَا.

وقال: **وَإِيَّاكَ إِلَيْكَ المِرَاءَ فَإِنَّهُ * إِلَى الشَّرِّ دَعَاءٌ وَلِلشَّرِّ جَالِبٌ⁽³⁶⁾.**

حيث (احذر) ضمير مبني في محل نصب على التحذير، مفعول به لفعل
محذوف تقديره أحذر أمّا (إِيَّاكَ) الضمير الثاني فهو في محل نصب على التوكيد
اللفظي الأول.

وأما الثاني: فتكرير الأول بمعناه: وهو على ضربين: أحدهما للإحاطة والعموم
والآخر للتثبيت والتمكين³⁷.

أما ما يخصّ التأكيد بتكرير المعنى، فيكون بألفاظ خاصّة في اللغة لإزالة الشكّ
عن المؤكّد بها في نسبة المعنى المسند إليه في الجملة؛ فهو يرفع احتمال إرادة غير
المذكور، أو احتمال عدم شموليته

والتأكيد المعنويّ قد يرد ببرهان يشهد له، وتارة يرد على جهة الغريمة، ومرة
بغير ذلك فهذه وجوه ثلاثة:

أولها: ما يرد ببرهان دال عليه وهذا كقول أبي نواس³⁸:

قُلْ لِلذِّي بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عِيرِنَا * هَلْ عَانَدَ الدَّهْرَ إِلَّا مَنْ لَهْ خَطْرُ

أما ترى البحرَ تَعْلُو فَوْقَهُ جَيْفٌ * وَتَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ الدَّرْرُ!

فقوله "أما ترى البحر" وقوله "وفي السماء نجوم"، فإنما أوردهما على جهة
الاستدلال والتقرير لما أدعاه من معاندة الدهر لذوي الأخطار وأهل المراتب العالية.

ثانيهما: أن يكون ورادا على جهة العزيمة، والاهتمام بأمره، وهذا كقوله ﴿فَلَا

أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَلْأَسْمُ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ الواقعة: [75 - 76]. فقوله

"وأنه أقسم" إنما أورد على جهة التأكيد لقوله (فلا أقسم) على جهة الغريمة لكونه
قسما بالغا عظيما.

ثالثهما: أن يكون ورادا على خلاف هذين الوجهين كقوله:

فَدَعُوا نَزَالَ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ * - * وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ؟

فقوله (فعلام أركبه) وارد على جهة التأكيد لقوله (فكنت أول نازل) بالاستفهام

على جهة التقرير، وكقوله:

ولا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوفَهُمْ * بهن فلول من قراع الكتائب

فقوله (غير أن سيوفهم) إنما ورد على جهة التأكيد المعنوي، لكونهم شجعانا فأورده على صيغة الاستثناء³⁹.

كما نجد هذا النوع من التأكيد يرتبط ببعض الألفاظ لها قواعدها وأحكامها يبني عليها التكرير بالتأكيد، ولقد أشار ابن جني إلى هذا النوع من التكرير، بعد حديثه عن الضرب الأول من التأكيد حيث يقول: ((والثاني تكرير الأول بمعناه، وهو على ضربين: أحدهما للإحاطة والعموم والآخر للتثبيت))

وما يميز التوكيد المعنوي عن غيره أنه يكون للأسماء فحسب، ويكون بألفاظ مخصوصة ويكون التوكيد هو المؤكّد نفسه أو عينه، كما يقول سيبويه⁴⁰: ((لست تريد أن تحليه بصفة لأقرباه كأخيك، ولكنّ النحويين صار ذا عندهم صفة؛ لأنّ حاله كحال الموصوف، كما أنّ حال الطويل وأخيك في الصفة بمنزلة الموصوف في الإجراء، لأنه يلحقها ما يلحق الموصوف من الإعراب))⁴¹.

فالتوكيد مثل "النعّت" في تبعيته فحسب لما قبله، ولكنه يختلف عن النعت في أن المقصود به هو الأول نفسه، فهو تكرير له ولكنه بالمعنى لا باللفظ، والألفاظ التي يؤكد بها الاسم تأكيداً معنوياً، "النفس والعين"، وهما لرفع المجاز عن الذات، "وكل" و"جميع" وهما لرفع احتمال إرادة الخصوص بلفظ العموم⁴².

ونجد في ألفاظ التوكيد ضمير يعود على المؤكّد مطابقاً له، وهو يربط ما يربط التوكيد بالمؤكّد، قال تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: 30].

لكن ابن مالك أجاز إضافة "كل" المؤكدة لاسم ظاهر مثل المؤكّد، فيكون من إعادة الظاهر بنفسه بدلاً من الضمير، واستدل على ذلك بقول عمر بن أبي ربيعة:

كم قد ذكرتك لو أجزى بذكركم * يا أشبه الناس كل الناس بالقمر

وخالفه أبو حيان ورأى أن "كل" هنا تكون نعتاً لا توكيداً، ومعنى "الناس كل الناس" الناس كاملين في الحسن والفضل، وإجازة ابن مالك لذلك مبنية على أن الظاهر مثل الضمير ومساوٍ له⁴³.

أمّا سيبويه فلم يستعمل التكرار وإنما استعمل مصطلح التثنية والإعادة في قوله: ((هذا باب ما يثنى فيه المستقر توكيداً، وإنما هذا كقولك: قد ثبت زيدا أميراً

قد ثبت فأعدت قد ثبت توكيدا ومثله في التوكيد والتنشئة "لقت عمرا عمراً"⁴⁴. فالظاهر من خلال قول سيبويه، أنه لم يقل بالتكرار؛ وهذا راجع إلى أن التنشئة والإعادة عنده ما هي إلا وصف لظاهر العملية كما تجري في اللفظ والتوكيد وصف، وتعيين للأثر المعنوي الحاصل منها على أن سيبويه قد استعمل "التنشئة مرادفة للتوكيد".

فالتأكيد هو التّكثير في اللفظ دون الخارج، كما يعمل في نسبة الحكم إلى الشيء، فيزيد تلك النسبة قوة، ولذلك نجد التوكيد في اصطلاح أهل العربية يطلق على معنيين، أحدهما: التقرير أي جعل الشيء ثابتا في ذهن المخاطب، وثانيهما: اللفظ الدال على التقرير أي اللفظ المؤكد الذي يقرر به⁽⁴⁵⁾.

أما رأي **ابن هشام** فالتكرار يراد به غير التأكيد "وذلك كون التكرار الذي هو من قبيل التذكير ليس تأكيدا إنما هو ضرب من ضروب تحقيق تواصل العهد وإنما حسن تكرار "لدى" في "وما كنت لديهم" لتباعد ما بينهما"⁽⁴⁶⁾، ولعلّ هذا التباعد الذي يرجعه ابن هشام هو تباعد اللفظة من غيابها في الذهن، وبالتالي تكون غير معهودة، مما يحتاج المتكلم من تكرار لفظها. فالتأكيد لا يحدث تجددا في المعنى الذي تفيده الصيغة المؤكدة.

كما ورد مصطلح "التكرار" عند بعض النحاة؛ وهو ما صرح به **أبو حيان**؛ وذلك في معرض الحديث عن البديل؛ حيث يسمونه الكوفيون "بالترجمة والتبيين" كون "البديل" من التوابع، وقال **أبو حيان**: ((ويسمونه بالتكرار))⁴⁷.

ولعلّ هذه التسميات تكشف عن المعنى اللغويّ من [البديل]، فهو تبيين للأول وهو **المبديل منه** وتكرير له بطريقة أخرى، فإذا قلت: ((مررت بأخيك زيد))، فزيد ثانٍ يقدر في موضع الأول، من حيث كان تابعاً للأول في إعرابه⁴⁸.

ومما نخلص إليه أنّ التأكيد ظاهرة لغوية، تتحقّق بمجرد التكرار اللفظي، أو ببعض الأدوات والأساليب الخاصة، والنحاة اهتموا بالتأكيد اللفظي؛ كونه يُكرّر اللفظ السابق ويقرر عليه. وتكرار هذه الألفاظ يمثلّ عملية بمثابة الزيادة والتكثير غير أنّ المتصفح لكتب النحو ليجد أنّ التكرار ورادا في عدة أبواب من أبواب النحو: "كالبديل وعطف البيان والتوكيد"، فكلها تخضع للتكرار والتكرار الذي لا يعرف نهاية من الحلال المباح بل والحسن المطلوب، خاصة إذا ما تعلق الأمر

بالدعاء والندبة، فإنَّ التَّكرار يحدد الفائدة فيه، فالمتكلم في مقام لا يسطع أن يختزل في كلامه؛ بل عليه أن يصرف إشارته إلى التأكيد ويحمل عليه.

❖ التكرار عند البلاغيين

عُولج التكرار في البلاغة العربيَّة، بوصفه أصلاً من أصول البديع؛ وذلك أنَّ البديع هو: "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته"⁽⁴⁹⁾، فالتكرار عند البلاغيين من الأساليب الشائعة؛ ولذا فقد عُني به البلاغيون عنايةً كبيرةً، كابن رشيقي (ت 462 هـ)، الجاحظ (ت 255 هـ) الفراء (ت 207 هـ)، الخطابي (ت 388 هـ)، وابن سنان الحقاقي (ت 466 هـ) كما نجد كذلك "ابن المعتز"⁽⁵⁰⁾ يتطرق إلى التكرار في كتابه البديع "وهو أول من جمع البديع، وألَّف فيه كتاباً لم يعده إلا خمسة أبواب: الاستعارة أولها، ثم التجنيس ثم المطابقة، ثم رد الإعجاز على الصدور، ثم المذهب الكلامي وعد ما سوى هذه الخمسة أنواع محاسن، وأباح أن يسميها من شاء ذلك بديعاً"⁵¹.

وحدَّ التكرار عندهم (البلاغيين) هو "دلالة اللفظ على المعنى مرددا"⁵²، كما نجد حدًّا آخر يكشف عن أقسام التكرار عند البلاغيين "هو إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو بالنوع أو المعنى الواحد بالعدد أو النوع"⁵³.

أولاً: ابن رشيقي:

لقد خصص ابن رشيقي باباً في "التكرار"، وبين مواضعه ومتى يكون حسناً ومتى يكون قبيحاً مُدعماً ذلك بالأمثلة حيث يقول: ((وللتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل))⁵⁴، فالتكرار إذاً لا يحسن في كل المواضع، وإنما ما يستدعيه المقام والسياق، ويجب أن تكون له وظيفة حسَب رأي ابن رشيقي وأن يكون للتكرار موقعٌ حميدٌ لا مرمى بعيداً فالمتكلم لا بد ألا يُسمعك جُملاً مكررة فنذهب دلالتها وتجدّها حينئذٍ مجهولة منكورة، وإن كان قد أقر بهذا ابن رشيقي بقوله: ((فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه))⁽⁵⁵⁾، فالتكرار لديه وظائف ترتبط بالعرض الشعري وقد أوردها ابن رشيقي وهو في معرض الحديث عن الموضوع التي يستهجن فيها التكرار: "ولا يجب للشاعر أن يكرر اسماً إلا على جهة التشويق والاستعذاب، إذا كان في تغزل أو نسيب، كقول امرئ القيس" ولم

يتخلّص أحد تخلصه في ما ذكر عبد الكريم وغيره ولا يتكلم سلامته في هذا الباب:
ديار لسلمي عافيات بذى الخال * ألح عليها كل أسحم هطال
وتحسب سلمى لا تزال ترى طلا * من الوحش أو بيضا بميثاء محلال
وتحسب سلمى لا تزال كعهدنا * بوادي الخزامي أو على رأس أو عال
ليالي سلمى إذ تريك منصبا * وجيدا كجيد الرئم ليس بمعطال
وقد يرد التكرار على سبيل التّقرير والتّوبيخ؛ كقول بعضهم:

إلى كم وكم أشياء منكم ترييني * أغمض عنها لست عنها بذى عمي
فأما قول محمد بن منذر الصبيري في معنى التّكثير:

كمّ وكمّ كمّ كمّ وكمّ كمّ كمّ * قال لي: أنجز حرّما وعد
فقد زاد على الواجب وتجاوز الحد⁽⁵⁶⁾.

فالظاهر من خلال هذه الأبيات التي عرضها ابن رشيق، أنّ التّكرار إذا لم يك
واضح المراد، بين الدلالة فقد يخرج من دائرة ما هو مستحسن، ويلج في دائرة ما
هو معيب مستهجن.

ثم يكمل ابن رشيق وظائف التّكرار إلى قوله أو على سبيل المثال التّعظيم
للمحكيّ عنه.

أو على وجه الوعيد والتّهديد إن كان عتابا موجعا، كقول الأعشى ليزيد ابن
مشهر الشيباني:

أبا ثابت لا تعلقنك رماحنا * أبا ثابت أقصر وعرضك سالم
وذرنا وقوماً إن هم عمدوا لنا * أبا ثابت واقعد فإنك طاعم!!
أو على وجه التوجع إن كان رثاءً وتأييماً⁽⁵⁷⁾.

نلاحظ في بعض الشواهد السابقة جواز التّكرار على مستوى الجملة والبيت
وحدوثه أكثر من مرّة، فالتّكرار يعتبر عاملا لغويّا من عوامل تجسيد الاستمراريّة
في هذه الأبيات استمراريّة المتحدّث عنه: سلمى، فيض، صخر، بحيث يمكن: "إنّ
كل اسم من هذه الأسماء يصلح أن يكون عنوانا للأبيات الوارد فيها وليس
بالضرورة أن يكون المتحدّث عنه واحدا حتى يكون هناك استمراريّة؛ بل يمكن أن
يتغير الموضوع"⁽⁵⁸⁾.

وتعدّ هذه الوظائف التي قدّمها ابن رشيق، واردة في عدّة كتب من جهاذة

البلاغة، فهذه الوظائف لا تنحصر في التكرار، وإنما يبقى مردّها إلى كيفية التّعامل مع النصّ الشعريّ ناهيك لما يُستفّر عنه التّحليل كما يرى الدكتور "جميل عبد المجيد" (59).

ثانيا: ابن الأثير:

ومن البلاغيين الذي سلك هذا المسلك ابن الأثير، وهو في معرض الحديث عن "الإطناب" بعد فراغه من تعريفه، وبيان أقسامه إذ يقول: ((ومن هذا النوع الذي هو (الإطناب) ضربان: أحدهما ما يسمى توكيد الضمير المتصل بالمنفصل، والآخر يسمّى التكرير)) (60). وسنحاول أن نبين التكرار عند ابن الأثير انطلاقاً من أقسام التكرار حيث يقول: ((وأما التكرار فهو قسمان: أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ، فأما الذي يوجد في اللفظ والمعنى فكقولك لمن تستدعيه: أسرع أسرع، وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ فكقولك: أطعني ولا تعصني؛ فإن الأمر بالطاعة هو النهي عن المعصية، ولا فائدة للتكرير إلا للتوكيد....)) (61).

ولعلّ شيئاً نلمحه لدى ابن الأثير وهو انتقاله، حين تعامل مع التكرار في القرآن الكريم، إذ كان يفسره ويفسر فائدته في إطار السياق المقالي والسياق المقامي أحياناً؛ ولذا نلحظه يقسم هذين القسمين من التكرار "قسم مفيد وغير مفيد" (62).

- **المفيد:** هو الذي يأتي في الكلام توكيداً له وتسيديداً من أمره، وإشعاراً بعظم شأنه وهو يأتي في اللفظ والمعنى والمقصود منه غرضان مختلفان، كقوله: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَخْبَدُ وَإِلَىٰ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنَّيْٓ أَمْرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنَّيْٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّيْٓ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (63)، ثم قال بعد ذلك: ﴿قُلْ لِلَّهِ عِبْدٌ مَّخْلُصًا لَهُٓ، رَبِّيْٓ﴾ [الزمر: 14] فإن الأمر بالإخلاص في العبادة لله قد جاء مكرراً هاهنا لفظاً ومعنى والمقصود به غرضان مختلفان:

الغرض الأول: أراد به الإخبار: لأنّه مأمور من جهة الله تعالى بإخلاص العبادة له.

والغرض الثاني: أراد به تخصيص الله وحده دون غيره: ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة في الثاني، وأخره في الأول لأن الكلام أولاً واقع في الفعل نفسه وإيجاده، وثانياً فيمن يفعل الفعل لأجله، فهذان غرضان مختلفان (64).

– غير المفيد: فهو الذي يأتي في الكلام توكيدا له ويجيء في اللفظ والمعنى؛ ولكن المقصود منه غير مفيد، مثال ذلك قول المتنبي⁶⁵:

ولم أر مثل جبراني ومثلي * لمثلي غدا مثلهم مقام
وكقوله أيضا:

وَقَلَّتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَّ الْحَشَا * قَلَّ عَيْشَ كَلْهَنٍ قَلَّ قَلَّ⁶⁶

والتكرار في هذا البيت جاء في اللفظ والمعنى، لكن بغير فائدة، فهو المعيب من التكرار؛ وأما ما جاء من التكرير في المعنى دون اللفظ، فقد حاول ابن الأثير أن يبين الفارق بين طرفي هذا التكرار في المعنى، رغم وحدته بينهما، وسأحاول أن أعرض ما قدمه ابن الأثير

مثل قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَّخِذُوا الْإِنْسَانَ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَنَحْنُ فَآئِنَى فَآرَهُبُونَ ﴾ [النحل: 51]. فإنه يسبق إلى الوهم أن ذلك تكرير في المعنى، فإن العرب إنما جمعت بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا: "عندي رجال ثلاثة وفرسان أربعة"، فهذا عارٍ من الدلالة على المعدود، وأما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان، فالفائدة إذاً في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَّخِذُوا الْإِنْسَانَ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَنَحْنُ فَآئِنَى فَآرَهُبُونَ ﴾، تأكيد معنى المعدود⁶⁷.

كما أشار ابن الأثير في الكتاب نفسه إلى ضرب آخر، وهو الانتقال من العام إلى الخاص ويهدف بهذا إلى التركيز على المنتقل إليه وبيان أهميته حيث يقول: ((ومما ينظم بهذا السلك إنه إذا كان التكرير في المعنى يدل على معنيين أحدهما خاص والآخر عام"، كقوله: ﴿ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: 104]. فإن الأمر بالمعروف خير وليس كل خير أمراً بالمعروف، وذلك أن الخير أنواع كثيرة، من جملتها الأمر بالمعروف، فائدة التكرير هاهنا أنه ذكر الخاص بعد العام، للتبنيه على فضيلته كقوله: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [سورة البقرة 238] وكقوله: ﴿ فِيهَا فَكِهَةٌ وَالنَّحْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴾ [الرحمن: 68]. وكقوله: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: 72].

فإنّ الجبال داخلة في جملة الأرض، لكن لفظ الأرض العامّ والجبال خاصّ وفائدته هاهنا تعظيم شأن الأمانة المشار إليها وتفخيم أمرها⁽⁶⁸⁾.

فابن الأثير يعتمد في تفسير التكرار على مبدأ **السِّيَاقِ المَقَالِيّ**، وإن كان قد قصر هذا على القرآن الكريم؛ إذ يقرّر هذا بقوله؛ وبالجملة فأعلم أنّه ليس في القرآن مكرر لا فائدة في تكريره فإن رأيت شيئاً منه تكرر من حيث الظاهر، فأنعم نظرك فيه، فأنظر إلى سوابقه ولواحقه، لتكشف كل فابن الأثير يرى أنّ التكرار ليس ضرباً من الخطلّ والخبل في الكلام حال تكراره؛ ذلك كونه ربط التكرار بالسِّيَاق وما له من أثر بالغ على التركيب وحتى على المعنى.

ثالثاً: الخطابي:

كما نجد جهيبذا ونحريراً من نحار ير البلاغة وجهابذتها الذين اهتموا بإعجاز القرآن وبلاغته وهو الخطابي⁽⁶⁹⁾، هو الآخر كذلك أعطى للتكرار حظّه في رسالته؛ فقد تحدث عن التكرار وهو يبين أضربه فقال: ((فإن تكرار الكلام على ضربين: أحدهما مذموم: وهو ما كان مستغنى عنه، غير مستفاد به زيادة معنى لم يستقيده بالكلام الأول، لأنه حينئذ يكون فضلاً من القول، وليس في القرآن شيء من هذا النوع))⁽⁷⁰⁾، فالتكرار عند **الخطابي** لا بدّ أن يكون دالاً مبيّناً، وإلا عدّ غثاً وقد نفي ورود هذا النوع في القرآن الكريم، كما أشار إلى ضرب آخر من التكرار ومثّل له بقوله: "والضرب الآخر ما كان بخلاف هذه الصفة فإن ترك التكرار في الموضوع الذي يقتضيه، وتدعو الحاجة إليه فيه، بإزاء تكلف الزيادة في وقت الحاجة إلى الحذف والاختصار، وإنما يحتاج إليه ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها، ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها، وقد يقول الرجل لصاحبه في الحثّ والتحريض على العمل: عجل عجل، ورام ورام، كما يكتب في الأمور المهمة على ظهور الكتب: مهم مهم مهم، ونحوها من الأمور، وكقول الشاعر⁽⁷¹⁾:

هلا سألت جموع كـ * * دة يوم ولو أين أيننا

وقول آخر :

يا لبكر أنشروا لي كليبا * * يا لبكر أين أين الفرار

ثم عرض التكرار الوارد في قصص القرآن وسبب تكرارها.

رابعاً: السجلماسي:

ومن البلاغيين كذلك الذين اهتموا واغتموا بقضية البديع الدرة والغرة "السجلماسي"، هو الآخر كذلك أولى اهتمامه بالتكرير، حيث أدرجه تحت الأجناس العالية ولكن تجدر الإشارة، إلى أن السجلماسي استخدم مصطلح "البديع" بمعنى "البلاغة" وهي عنده عشرة أجناس، يقول السجلماسي: ((إن هذه الصناعة الملقبة بعلم البيان وصنعة البلاغة والبديع، مشتملة على عشرة أجناس عالية وهي: الإيجاز التخيل والإشارة والمبالغة والرصف، والمظاهرة والتوضيح، والانتساع والانتشاء والتكرير))⁷².

السجلماسي اصطلاح على تسمية التكرار "البناء"، وهذا الاصطلاح يثير إلى وجود توافق ما هو بلاغيّ عربيّ، وما هو مدار الدراسة في علم النصّ، وإن كان قد عُرف "البناء"، على إنه "إعادة اللفظ الواحد بالعدد وعلى انطلاق المتحد المعنى كذلك مرتين فصاعداً، خشية تناسي الأول لطول العهد به في القول، ومن صورته الجزئية قوه عز وجل: ﴿أَيَعِدُّكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: 35]. فقوله "أنكم" الثاني بناء على الأول وإنكار به، خشية تناسيه لطول العهد به في القول⁷³: وقول عز وجل: ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: 07]. وما كان مثله فقوله (هم) الثاني بناءً على الأول لما طال قوله، وكان قوته بوجه ما قوة التأكيد اللفظي، ويمكن أن يكون من هذا النوع، قول عز وجل في قصة الذبح، ثناءً على إبراهيم عليهما السلام: ﴿إِنَّكَ هَذَا لَهُوَ الْبَلْتَأُ الْمَيِّنُ وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: 105-110]. فقوله كذلك "نجزي المحسنين"، بناءً ولذلك قيل فيه "كذلك نجزي المحسنين" بغير (إنّ) وفي غيره من مواضع ذكره، (إنا كذلك)؛ لأنّه بنى على ما سبقه في هذه القصة من قوله "إنا كذلك" فكانه -كما قيل- استخف بطرح "إنّ" اكتفاءً بذكره أولاً عن ذكره ثانياً⁽⁷⁴⁾.

وواضح ما في الكلام من دور التكرار في تنشيط ذاكرة المستمع أو القارئ؛ وذلك بإحالة (أنكم) وبعدها جملة ليس لها خبر (أن)، ثم جملة ثالثة ليس فيها خبر (أن)، وحين أريد إيراد هذا الخبر في الجملة الثالثة، كان قد طال العهد بين (أن)

واسمها من جهة، وخبرها من جهة أخرى، مما يخشى معه التناسي فأعيدت [أن واسمها (أنكم) مرة ثانية، لمحو ما خشي منه (النسيان)].

ولكن هذه الإشارة التي تحدّث عنها السّجلماسي لم تكن هي الإشارة الأولى؛ بل سبقه إليها ابن الأثير: حيث قال: "ولربما أدخل في التكرير من هذا النوع" ما ليس منه، وهو موضع لم ينتبه عليه أحد سواي فمنه قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا أَلْسُوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 119]. فلما تكرر "إنّ ربك" مرتين علم أنّ ذلك أدل على المغفرة وكذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 110]، فابن الأثير يرى في هذه الآيات ليست ثمة تكرار؛ وإنما هي لغاية أخرى، حيث يقول: ((وقد أنغمت نظري فيها، فرأيتها خارجة عن حكم التكرير، وذلك أنه أطال الفصل من الكلام وكان أوله يفتقر إلى تمام لا يفهم إلا به، فالأولى في باب الفصاحة أن يعاد لفظ الأول مرة ثانية، ليكون مقارنا لتمام الفصل))⁽⁷⁵⁾.

❖ دلالة التكرار التام في سورة الرحمن

• تكرار الجملة الفعلية في سورة الرحمن

- من الوجهة النحوية

تطالعنا آية من بين آيات القرآن، هي قوله: ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ [الرحمن: 13-16-18-21-23-25-27-30-32-34-36-37-40-42-45-

47-49-51-53-55-57-59-61-63-65-67-69-71-73-75-77]

والذاعي إلى تميّز هذه السورة، هي تكرارها مرات كثيرة بصورة لافتة للانتباه؛ حيث أدّى هذا التكرار إلى كشف جانب من جوانب أسرار القرآن في ترتيب سورته وآياته.

وفي سورة الرحمن موضع التطبيق؛ حيث تكرارات الجملة الفعلية إحدى وثلاثين مرة. ابتداءً من الآية الثالثة عشرة إلى غاية السابعة والسبعين، وسنعرض هذا التكرار من حيث الوجهة النحوية والبلاغية واللسانية.

تكررت الآية في سورة الرحمن في قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾

وهذه الجملة المكررة مكوّنة من جار ومجرور وفعل وفاعل؛ حيث تقدم الجار والمجرور (فبأي آلاء ربكما) عن الفعل والفاعل، والفعل "تكذبان" ورد بصيغة المضارع وهو من "الأفعال الخمسة"، أمّا الفاعل فهو "ألف الاثنتين"، الخطاب موجّه للجن والإنس، والملاحظة في الجملة الفعلية أن متعلقاتها تقدمت عليها؛ ولذلك يقول المرتضى: ((أما التكرار في سورة الرحمان فإنّما حسن للتقرير بالنعمة المختلفة المتعدّدة فكلمًا ذكر نعمة أنعم بها قرّر عليها، ووبّخ على التكذيب بها))⁷⁶.

إنّ مكونات هذه الجملة الفعلية لسرها عجيب، فقد بينت المعنى والنحويّ وكون القرآن معجز بلفظه وحرفه، نجد حرف "الفاء" المتصل بالاستفهام "أي" له كذلك دلالاته في التكرار يقول الألوّسي البغدادي: ((والفاء لترتيب الأفكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للإيمان والشكر حتماً والتعرض لعنوان الرسولية والتربية مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بشيء مكن آلامه تعالى وكفرهم به، إما إنكار كونه منه عز وجل على الاعتراف بكونه نعمه في نفسه كتعليم القرآن وما يستند إليه من النعم الدينية وإما إنكار كونه منه تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة من نفسه كالنعمة الدنيوية))⁷⁷

فالتكرار لم يكُ عفويًا وإنّما سبق بتكرار يدلّ على التكرار الذي بعده، فقد سبق بتكرار لفظ "الميزان" تشديداً للعصية وتأكيداً للأمر باستعماله والحث عليه⁷⁸. ومما على تناسق هذا التكرار أنه لم يكرر متواليًا لأن تكريره بعد كل آية أحسن من تكريره متواليًا، وإذا كان للتوكيد فلا إشكال لأن المذكور منه بعد ما ليس من آلاء مؤكّد للمذكور بعد ما هو من الآلاء⁷⁹.

الظاهر في تركيب هذه الجملة، هو اختيار لفظة "الرّب" وإذا خاطب أراد الواحد حيث قال: ﴿رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ﴾ والحاضر المتكلم، فكيف يجعل التكذيب المسند إلى المخاطب وأراد على الغائب يقول الفخر الرازي: ((ولو قال ﴿فَأَيَّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ﴾ نقول في السورة المتقدمة قال ﴿كَذَبَتْ نَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾، و﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾ وقال: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذُرِي﴾ كلها بالاستناد إلى ضمير المتكلم حيث "كان" للتخويف، فالله أعظم من أن يخشى فلو قال: ((أخذهم القادر أو المهلك لما كان في التعظيم في هذه السورة بيان الرحمة لفظ يزيل الهيمنة وهو الرب))⁸⁰.

والتكرار الوارد في هذه السورة (تكرار تام) حيث نلمح أنّ الجملة الفعلية ﴿فَيَأْتِي آءَالَآءَ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانَ﴾ بقيت محافظةً على جميع مكوناتها من "الجر والمجرور والفعل والفاعل" في جميع تكراراتها، وهو "تكرار مفصول"، يقع في آية ولكن دونما أي تتابع.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ هذا التكرار الوارد ليس له دلالة واحدة وإنّما مختلفة، وهو واضح في قول الفخر الرازي فيما سبق؛ حيث ارتبط تركيب صيغة الآية مع السورة التي قبلها سورة "القمر" وهذا سر من تركيب أسرار القرآن.

وتكرار الجملة فيها الاستفهام إحدى وثلاثين مرة وهو يفيد الفعلية قد ورد التقرير ((فهي سؤال للتسجيل والإشهاد فيما يملك إنس ولا جان أن يكذب بآلاء الرحمن في مثل هذا المقام))⁸¹

والفعل الوارد في الجملة الفعلية فعل مضارع، وقد اتصل بألف الاثنين وهي ألف الفاعل وعليه لابد من معرفة الخطاب لمن هو موجّه، ولقد أورد الفخر الرازي هذا في قوله:

الإنس والجن، وفيه ثلاثة أوجه:

أ- 1: يقال الأنام السحر للجن والإنس، فعاد الضمير إلى ما في الأنام من الجنس؛

أ- 2: الأنام السحر (الإنسان والجان) لما كان منويا وظهر من بعد، جاز عود الضمير إليه وكيف لا وقد جاز عود الضمير إلى المنوي؛

أ- 3: أن يكون المخاطب في النية لا في اللفظ كأنه قال: ((فبأي آلاء ربكما تكذبان أيها الثقلان)).

ب- الذكر والأنثى: فعاد الضمير إليهما والخطاب معهما⁸².

وقد يحتمل أن تكون الآية لها معنى آخر، بمعنى [فبأي آلاء ربك تكذب] بلفظ واحد والمراد التكرار للتأكيد أو كون الآية المراد منها العموم ومن ثم يكون تكرار الآية بعمومها قسما:

- تكذيب قد يكون بالقلب دون اللسان كما في المنافقين؛

- وقد يكون باللسان دون القلب كما في المعاندين، وقد يكون جميعا فكأنه قال: ((يا أيها القلب واللسان ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ فَإِنَّ النَّعْمَ بَلَّغْتَ حَدًّا لَا يُمْكِنُ الْمَعَانِدُ أَنْ يَسْتَمِرَّ عَلَى تَكْذِيبِهِمَا))⁽⁸³⁾.

والظاهر في هذه السورة هو تأكيد الجملة تأكيدا لفظيا في قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ إحدى وثلاثين مرة، ((فالتوكيد "عبارة عن تقوية مدلول اللفظ المذكور أولا بلفظ مذكور ثانيا مستقل بالإفادة يكون بتكرير اللفظ أو معناه))⁸⁴ وفي سورة تكرر اللفظ عن طريق الجملة الفعلية المكوّنة من [فعل وفاعل]، وهذا توكيد؛ فائدته تمكين المعنى في نفس المخاطب⁸⁵.

• من الوجهة البلاغية

بين البلاغيون وجوه إعجاز القرآن؛ كونه بلغ ذروة الفصاحة والبيان، فقد أحكمت آياته ثم فصلت من لدن خبير، فما من آية إلا بينوا فيها إعجازا سواء من حيث ترابطها بالآيات السابقة، أم موقعها.

وحتى تكرارها وبيان الغرض من ذلك التكرار، وسنحاول أن ندرس ونطبق على سورة من سور القرآن الكريم التكرار الوارد فيها، ومن خلال هذا التطبيق سندرك، هل غرض هذا التكرار له الفائدة نفسها، أم ثمة دلالات مرتبطة بالسياق والمقام "وهي سورة الرحمان"؟

سورة الرحمان من السور التي تكررت فيها الجملة الفعلية إحدى وثلاثين مرة وقد تنوع هذا التكرار كالتالي:

- الأول: في الآيات من (13-30) تعداد نعم الله في الخلق تكرر الآية فيه (ثمانى مرات)؛

- الثاني: في الآيات (31-45) ذكر العذاب بالنار، تكررت الآية فيه (سبع مرات)؛

- الثالث: في الآيات (46-61) بيان النعم الأخروية كالجنة، تكررت الآية فيه (ثمانى مرات)؛

- الرابع: في الآيات من (62-78) ذكر الجنيتين وما فيها من نعم، تكررت الآية فيه (ثمانى مرات) وكون التكرار من الأعراض البلاغية، فقد عنى به البلاغيون؛ فحاولوا حينها بيان أغراض هذا التكرار الوارد في هذه السورة؛ فبعدما

ذكر الله النعم على خلقه تكررت الجملة الفعلية ﴿فِي أَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ من الآية الثالثة عشرة إلى الآية الثلاثين، وتكرار الجملة الفعلية تأييد وتنبيه للنفس وتحريك لها، وهذه طريقة من الفصاحة المعروفة⁸⁶

فنعمة الله تعالى كثيرة لا تعدُّ ولا تحصى، فتكرير الجملة حينها؛ إنّما هو تقرير لنعمه على عبده يقول الإمام الشوكاني: ((وكرر سبحانه هذه الآية في السورة تقريراً للنعمة وتأكيداً لها، على عادة العرب في الاتساع))⁽⁸⁷⁾ والأمر نفسه نلمحه عند القتيبي في ما نقله الإمام الشوكاني أنه قال: ((إن الله عدد هذه السور نعماءه، وذكر خلقه آلاءه، ثم كل خلة وضعها بهذه الآية، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لينبههم على النعم ويقرّهم بها))⁸⁸.

فتكرار هذه الجملة إنّما هو للتأكيد على نعم الله الجليلة وأثاره العظيمة. ابتداءً من تعليم القرآن بوصفه المنّة التي منها الله علينا، وخلق الإنسان وغيرها من النعم فلما عدّ نعمه عز وجل خاطب الإنس والجنّ بقوله ﴿فِي أَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: أي: فبأيّ نعم الله يا معشر الجنّ والإنس تكذبان روى الحاكم عن جابر قال: ((قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمان حتى ختمها ثم قال: مالي أراكم سكوتا، للجن كانوا أحسن منكم ردا، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة ﴿فِي أَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلا قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد))⁸⁹

أما في قوله تعالى ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ فِي أَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فتكرار الجملة الفعلية إنّما هو للتأكيد والتنبيه والتوبيخ والتحريك، يقول ابن قتيبة: ((إنّ التكرار إنّما هو لاختلاف النعم))، فكلمنا ذكر نعمة كرر قوله: ﴿فِي أَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: وقد ذكرت هذه الآية إحدى وثلاثين مرة⁹⁰.

كما يكون غرض هذا التكرار الذي ورد في سورة الرحمان، وهذه الإعادة المتكررة بغيةً ومثابةً للإبلاغ وبحسب الغاية بالأمر، أمر نعم الله تعالى، وتعداد نعمه علينا فكيف يكذب الإنسان بعد ذلك، فهذا لسن كلام العرب، فما بالك إذا قرن بكلام ربّ البشر؟

وأما التكرار ورد في قوله تعالى: ﴿سَفَرُكُمْ إِلَيْهِ أَتَقْلَانِ﴾⁹¹ [الرحمن: 31] إلى قوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتِينَ﴾⁽⁴⁴⁾ ﴿فِي أَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾⁹² [الرحمن:

44-45]، فقد تكررت الجملة الفعلية سبع مرّات ولكن ليس كسابقتها؛ وذلك أنّ الأولى كانت في ذكر نعم الله تعالى.

أمّا هذا التكرار فقد سبق بذكر عذاب النار، فقد ذكر الله تعالى سبع آيات تتعلّق بالتخويف من نار؛ ذلك كون أبواب النار سبعة، فسبحان الله من هذا التكرار الذي توافق مع عدد أبواب النار وتكرار الجملة الفعلية بطريقة نفسها، وكأنّها تقرير بالتكرار.

وقد بيّن الخطابيّ هذا الموضع في سورة الرحمان وأورد "بأنّ مواقع معتبرة لموضعها من الحاجة". فقال: **فإن قيل: إذا كان المعنى في تكرير قوله: ﴿فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾** تجديد النعم في هذه السورة واقتضاء التكرار عليها، فما معنى قوله تعالى: **﴿يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرُونَ﴾** ثم أتبعه قوله **﴿فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾** وأيّ موضع نعمة ها هنا؟ وهو إنّما هو يتوعدهم بلهب السعير والدخان المستطير، قيل إنّ نعمة الله تعالى في ما أنذر به وحذر من عقوباته على معاصيه ليحذروها فيرتدعوها عنها بإزاء على وعد وبشر من على ثوابه على طاعته ليرغبوا فيها ويحرصوا عليها، وإنّما تحقق معرفة الشيء بأن يعبر بضده ليقف على حدّه والوعد والوعيد وإن تقابلا في ذواتهما فإنّهما متوازنيتان في موضع النعم بالتوقيف على مآل أمرهما، والإنبابة على عواقب مصيرهما⁽⁹³⁾.

وممّا يوضحه قول الخطابيّ أنّ التكرار يقرّه السياق الذي يرد فيه حتّى يكون أكثر حظاً وأجدى نفعاً.

فالتكرار ليس غرضه التأكيد وكفى؛ لأنّه لو كان كذلك، لكان كافياً تكرارها خمس مرات أو أربعاً. فالتكرار كان محددًا "إحدى وثلاثين" يعني ثمة تنبيه. والأمر العجيب أنّ العدد الذي بدأ فيها تكرار الجملة الفعلية وهو "ثلاثة عشر" هو عدد تكرارات الجملة في السورة "إحدى وثلاثين" وهو مقلوب العدد ثلاثة عشر.

كما أنّ تكرار الجملة الفعلية ورد موقعها في الآية "سبعة وسبعين" في تكرار "إحدى وثلاثين" وهو تأكيد آخر للعدد الذي بدأت فيه الجملة بالتكرار.

كما أنّ تكرار أو إعادة الجملة الفعلية في قوله تعالى **﴿وَلَمَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾** ﴿٤٦﴾ **﴿فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾** [الرحمن: 46-47]: وهو بيان لنعم الجنة فكان تكرارها ثماني مرّات بناءً لما سبق وإذكاراً به خشية تناسي هذه الآلاء الباهرة

وعليه يكون التكرار "بصوره جزئية"، وهذا النوع من التكرار معروف لدى "السجلماسي".

ومما نخلص إليه أن التكرار لدى البلاغيين ما هو إلا وجه من وجوه البلاغة يعمل على تحسين الكلام، ولكن بمطابقته للمقام ووضوح دلالاته؛ ولذلك كانت نظرتهم للقرآن دراسة بلاغية نصية أعجزت العرب قاطبة بالإتيان بمثله، والقرآن وضعت ألفاظه مقصودة في مواضع منشودة. والتكرار واحد منها فكل تكرار إلا وله دلالة بالسياق الذي ورد فيه. فالتكرار في هذه السورة يدل على تناسق الآيات كما أنه معجزة، فعددت المرات التي تكررت فيه الجملة الفعلية، وهي في خطاب مع الإنس والجن، هو الرقم نفسه "إحدى وثلاثون" الذي ورد فيه كلمة "الثقلان" في قوله تعالى: ﴿ سَمِعُوكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴾ [الرحمن: 31]

الخاتمة

لعل الذي نخلص إليه من خلال هذا التقديم البسيط لظاهرة التكرار عند البلاغيين والنحويين والمطبقة على سورة الرحمن نلمح النتائج الآتية:

- عناية النحاة والبلاغيين بظاهرة التكرار كونه وسيلة من وسائل تحسين اللفظ ووسيلة لتوكيد المعنى؛ وهذا يظهر من خلال أنواع التكرار: اللفظي والمعنوي؛

- دلالة التكرار في سورة الرحمن مبنية على سورة قبلها وهي سورة القمر؛
- التكرار يرد لاغراض بلاغية أشهرها: التأكيد والتبيين والإلحاح على القضية المرجوة؛
- علاقة المدلول البلاغي والنحوي لمصطلح التكرار من خلال أبوابه النحوية؛
- توسيع دلالات التكرار عند البلاغيين وعند ابن الأثير خاصة من مفيد وغير مفيد. وهذا منوط بالسياق الذي ورد فيه التكرار؛
- ورود التكرار على مستوى الجملة والكلمة والحرف؛
- معالجة التكرار عند البلاغيين العرب من منظور بلاغي صرف، ومن ثم كان التركيز على القرآن الكريم من حيث أعجازه البلاغي؛
- التكرار بناء نصي وهذا الذي ورد إليه السجلماسي إليه.

- التكرار أصل من أصول البديع في البلاغة العربيّة؛ الهوامش:

- 1 - منظور، لسان العرب، ت: عبد الله علي الأكبر وآخرون، د/ ط. بيروت، لبنان: د/ ت، دار المعارف، ج5 ص3851 .
- 2 - القاضي الجرجاني، التعريفات، ت: نصر الدين تونسي، ط1. القاهرة: 2007، شركة القدس للتصوير، ص113.
- 3 - محمد بن عبد الله الزركشي، المرجع السابق، ص11.
- 4 - المرجع نفسه، ص21.
- 5 - إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، د/ ط. بيروت، لبنان: 1980، دار القلم، ص15 .
- 6 - محمد بن عبد الله الزركشي، المرجع السابق، ص12.
- 7 - لقد أفرد ابن أبي الإصبع المصري (ت654)، في كتابه "بديع القرآن" نحو مائة نوع من بدائع القرآن وهي: المجاز، والاستعارة، والتشبيه ... إلى أن يصل على الترتيد والتكرار. ينظر: جلال الدين السيوطي: الإقتان في علوم القرآن، ت: حامد أحمد الطاهر بسيوني، ط1، القاهرة: 2006 دار الفجر للتراث، ج3، ص212 .
- 8 - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، ط9، بيروت، لبنان: 1973، دار الكتاب العربيّ، ص196 .
- 9 - محمد بن عبد الله الزركشي، المرجع السابق، صص25-26 .
- 10 - ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ت: أحمد صقر، ط2. القاهرة: 1983، دار التراث، صص232-234.
- 11 - محمد قطب، دراسات قرآنيّة، ط8. 1982 دار الشروق، صص253 .
- 12 - مصطفى صادق الرافعي، المرجع السابق، ص245.
- 13 - أبو البقاء العكبري، علل البناء والإعراب، ت: غازي مختار طليات، ط1. دمشق: 1995 دار الفكر، ج1، ص394 .
- 14 - البحتري أبو الوليد بن عباد، ديوان البحتري، ت: عمر فاروق الطباع، ط1. بيروت، د/ ت دار الأرقم، ج1، ص121 .
- 15 - وهذا هو التكرار التام: وهو الذي تحافظ فيه الجملة على مركباتها التكوينيّة.
- 16 - إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، ط1. عمان، الأردن: 2007، دار المسيرة، صص231-232.
- 17 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ت: محمود محمد شاكر، ط3. القاهرة: 1992 دار المدني، ص04.

- 18 - المرجع نفسه، ص 08.
- 19 - إبراهيم بركات، المرجع السابق، ص 95.
- 20 - علي بن محمد الحسيني، التعريفات، ت: نصر الدين تونسي، شركة القدس للتصوير القاهرة، ط1، 2007، ص 89.
- 21 - أبو البركات الأنباري، أسرار العربية، ت: فخر صالح قداوة، ط1. بيروت: 1995، دار الجيل، ص 253.
- 22 - لابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، ج3، ص 180-181.
- 23 - المرجع نفسه، ص 187.
- 24 - هو ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح الدرامي، التميمي؛ شاعر عراقي شجاع من أشراف تميم، لقب مسكينا لأبيات قالها.
- 25 - إبراهيم بركات إبراهيم، المرجع السابق، ص 96.
- 26 - المرجع نفسه، ص 97 .
- 27 - هو أبو حرزة جرير بن عطية الخطفي لقوله: وعنقا باقي الرسيم خيطفا، ينظر: لابن قتيبة الشعر والشعراء ت: مفيد قميحة ومحمد أمين الضناوي، ط2. بيروت: 2005، دار الكتب العلمية ص 284.
- 28 - إبراهيم بركات إبراهيم، المرجع السابق، ص 100.
- 29 - هو جميل بن عبد الله بن معمر، أحد عشاق العرب المشهورين بذلك وصاحبته "بثينة" وهما جميعا من "عذرة"، قيل لأعرابي من العذريين "ما بال قلوبكم كأنها قلوب طير تنمأ كما ينمأ الملح في الماء، أما تجلدون؟ قال: إنما ننظر إلى محاجر أعين لا تنظرون إليها" ينظر: ابن قتيبة المرجع السابق ص 263 .
- 30 - شبه الجملة (بحب) متعلقة بالبوح، (بثينة) مضاف إليه مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف، وجملة (أخذت) في محل رفع خبر (إن)، (ومواتق): مفعول به منصوب بالفتحة ونون للضرورة الشعرية أو الرخصة الشعرية .
- 31 - لم ينسب إلى قائل، وقد احتج به "ابن جني" في كتابه الخصائص من باب: الاحتياط. ينظر: ابن جني، الخصائص ت: محمد علي النجار، بيروت، لبنان، د/ت، عالم الكتب، ج3، ص 103.
- 32 - هو جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري المصري، أحد أعلام المدرسة البصرية، اتبع منهج المدرسة البغدادية، التي جمعت بين آراء مدرستي البصرة والكوفة، ينظر: شوقي ضيف: المدارس النحوية، ط7. دار المعارف، د/ت، ص 346.

- 33 - ابن هشام، شرح فطر الندى وبل الصدى، ت: محي الدين عبد الحميد، ط11. 1983، ص 291.
- 34 - المرجع نفسه، ص 291.
- 35 - ابن جنبي، المرجع السابق، ص 101.
- 36 - ليس منسوباً في "الخصائص"، ينظر: ابن جنبي، الخصائص، ص 102، لكنه ورد منسوباً للفضل بن عبد الرحمان في كتاب النحو العربي: إبراهيم بركات إبراهيم، ط1. مصر: 2007 دار النشر للجامعات، ص 79.
- 37 - ابن جنبي، المرجع السابق، ص 104.
- 38 - هو الحسن ابن هاني، يكنى بأبي نواس كما أنه تكن بأسماء "الذوين"، كان ضليعا في اللغة. قال فيه الجاحظ: "ما رأيت أحداً كان أعلم باللغة من أبي نواس ولا أفصح لهجة منه". كما أنه اشتهر بالخمير "لوسمعه الحسان لهاجر إليها عكفا عليها".
- 39 - المرجع السابق، العلوي، ص 184.
- 40 - هو عمر بن عثمان بن فنبر، أحد أعلام المدرسة البصرية، اشتهر بلقب "سبيويه" وهو لقب أعجمي يدل على أصله الفارسي، له كتاب يسمى "الكتاب" ويقال له: قرآن النحو، يقول المبرد: ((لم يعمل كتاب في علم من العلوم مثل كتاب سبيويه)). ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، القاهرة: دار المعارف، ص (57-58-59)، وكتاب "مراتب النحويين" لأبي الطيب اللغوي، ص 65.
- 41 - محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربي، د/ط. القاهرة: 2003، دار غريب، ص 183.
- 42 - المرجع نفسه، ص 184.
- 43 - محمد حماسة عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 185.
- 44 - سبيويه، الكتاب، ت: عبد السلام هارون، ط3. القاهرة: 1988، مكتبة الخانجي، ج11، ص 125.
- 45 - محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ط1. تونس: 2001 المؤسسة العربية، ج2، ص 755.
- 46 - ابن هشام، مغنى اللبيب عن كتب الأعراب، ت: مازن المبارك، محمد على حمد الله د/ط. 1961، دار الفكر ج1، ص 168.
- 47 - محمد عبد اللطيف حماسة، المرجع السابق، ص 187.
- 48 - المرجع نفسه، ص 187.
- 49 - الخطيب القرويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ت: عماد بيوني زغلول، د/ط. بيروت لبنان: مؤسسة الكتب الثقافية، ص 15.

- 50 - هو أمير المؤمنين أبو العباس عبد الله بن الحليفة المعتز، ولد في بيت الملك وموئل الخلافة كان ولوعا بالأدب والموسيقى، تأدب على شيوخ الدب في عصره كالمبرد وثلعب، توفي(ت 296 هـ)، لابن المعتز كتاب المسمى "البدیع" وهو أول مصنف في فن علم البدیع، جمع فيه سبعة عشر نوعا منه، وله كتب أخرى، يُنظر: لأحمد حسن الزيات تاريخ الأدب العربي، ط10. بيروت لبنان: 2006، دار المعرفة، ص (204-205).
- 51 - ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، ط5. بيروت، لبنان: 1981، دار الجيل، ج1، ص 265.
- 52 - ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت: أحمد الحوفي وبدوي طبالة، د/ط. د/ت، نهضة مصر ج3، ص 03.
- 53 - السجلماسي، المنزع البدیع في تجنیس أساليب البدیع، ت: علال الغازي، ط1. الرباط: 1980، مكتبة المعارف، ص 476.
- 54 - ابن رشيق، المرجع السابق، ص 73.
- 55 - المرجع نفسه، ص 74.
- 56 - ابن الرشيق، المرجع السابق، ص 63.
- 57 - المرجع نفسه، ص 75. وقد اضطررت إلى هذا الاقتباس؛ كونه ملماً وشاملاً لأغراض التكرار الواردة في كتب البلاغة.
- 58 - جميل عبد الحميد، البدیع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د/ط. 1990، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 88.
- 59 - المرجع نفسه، ص 89.
- 60 - ابن الأثير، جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة، محمد زغلول سلام د/ط. الإسكندرية: 2009، منشأة المعارف، ص 257.
- 61 - المرجع نفسه، ص 257.
- 62 - ابن الأثير، المرجع السابق، ص 257.
- 63 - سورة الأنعام، الآية [14-15].
- 64 - ابن الأثير، المرجع نفسه، ص 258.
- 65 - هو أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبّي ولد بالكوفة، وكان منتقلا من البادية إلى الحاضرة كما أنه ادعى النبوة ففتن به شر ذمة من الناس لقوة أدبه وسحر بيانه، وهو أحد شعراء المعاني لاهتمامه بالمعنى (ت 354 هـ).
- 66 - المرجع نفسه، ص 259.
- 67 - ابن الأثير، المرجع السابق، ص 259.

- 68 - المرجع نفسه، ص 27-28.
- 69 - هو أبو سليمان أحمد بن محمد إبراهيم الخطابي، رواية أبي الحسن علي الحسن الفقيه السجزي، والخطابي لغوي محدث ولقد أخذ العلم من أبي عمر الزاهد، وأبي العباس الأصم وغيرهم، فقد قال فيه السمعاني: (إمام فاضل كبير الشأن جليل القدر)، وله كتب كثيرة أشهرها: إجاز القرآن (ت 377 هـ).
- 70 - إجاز القرآن، الخطابي، ت: محمد خلفه ومحمد زغول السلام، ط3. مصر: د/ت، دار المعارف، ص 52.
- 71 - ينسب لعبيدة بن الأبرص.
- 72 - السجلماسي، المرجع السابق، ص 18.
- 73 - المرجع نفسه، ص 477.
- 74 - المرجع نفسه، ص 477-478.
- 75 - ابن الأثير، المرجع السابق، ص ص 16-17.
- 76 - المرتضي، غرر الفوائد ودرر القلائد، ت: محمد أبو الفضل، د/ط. بيروت، لبنان: 1988 دار الجبل، ج1، ص 123.
- 77 - الألويسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، ط1. بيروت لبنان: 1994، دار الكتب العلمية، ج28، ص (104).
- 78 - أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، د/ط. د/ت، دار الفكر، ج5 ص661.
- 79 - محمد أمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، د/ط. بيروت، لبنان: 1995، دار الفكر، ج9 ص 406.
- 80 - جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، د/ط. بيروت، لبنان: 1988 المكتبة العصرية، ج3، ص 199.
- 81 - سيد قطب، في ظلال القرآن، ط35. بيروت: 2005، دار الشروق، ج6، ص 3143.
- 82 - الفخر الرازي، التفسير الكبير، ط3. د/ت، دار إحياء التراث العربي، ج29، ص 95.
- 83 - الفخر الرازي، المرجع السابق، ص 95.
- 84 - الألويسي البغدادي، المرجع السابق، ص 104.
- 85 - عبد الله بن يوسف الجديع، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ط9. 2006، مؤسسة الريان، ص 394.
- 86 - عبد الرحمن النعالي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ت: عمار الطالبي، ط1. بيروت لبنان: 1985، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج4، ص 332.

- 87 - الإمام الشَّوكانيّ، فتح القدير، ط2. بيروت: 1998، دار ابن كثير، دمشق، ج1، ص 160.
- 88 - المرجع نفسه، ص 160.
- 89 - جلال الدين الحملي والإمام السيوطي، تفسير الجلالين، د/ ط. د/ت، شركة الشهاب الجزائر، ج9، ص 70.
- 90 - محمد علي الصَّابونيّ، المرجع السَّابق، ص 295.
- 91 - عبد الرحمن الثَّعالبي، المرجع السَّابق، ص 332.
- 92 - الإمام الشَّوكانيّ، المرجع السَّابق، ص 160.
- 93 - الخطَّابي، إعجاز القرآن، ت: محمد خلف عبد الله ومحمد زغلول السلام، ط3. مصر د/ت، دار المعارف ص 54.

عوامل التطور اللغوي ومظاهر الثراء في اللغة العربية

ربيعة حنيش

جامعة تيزي-وزو

اللغة كائن حي عرضة للتطور والنمو كبقية الكائنات الأخرى فقد نمت وتفاعلت مع كل التطورات الحضارية، واستجابت لكل متطلبات العصر، وسأيرت ركب التقدم والتطور، ولهذا التطور والمسايرة أسباب ووسائل ساعدتها على ذلك. والعوامل المؤثرة في أية لغة من اللغات هي نفسها المؤثرة في اللغة العربية وسنتطرق إلى أهمها والمتمثلة في عاملين رئيسيين هما:⁽¹⁾

• عامل يوجد في اللغة نفسها أي في بنية الألفاظ: أي أنه يكون في بنية الكلمة من حيث الصرف النحو والتركيب، وأثر ذلك كله من تغير وتطور في الألفاظ والدلالات.

• عامل خارجي يتعلق بالنواحي الحضارية والسياسية والاقتصادية والتقدم العلمي والتقني في المجتمع وهذا يكون واضحا من خلال ما سيأتي مما سنعرض من أهم أنواع وطرق التوسع اللغوي الذي عرفته اللغة العربية سعيا للثراء اللغوي والنماء لمسايرة الحضارة والتقدم العلمي، مع المحافظة على سلامتها من كل الأضرار السلبية التي تصيب اللغات الأخرى.

وسنقوم بعرض أثر التوسع الاشتقاقي والتوسع المجازي باعتبارهما عاملين مهمين في إثراء اللغة وتوسعها بعد أن نتطرق إلى العوامل الخارجية، وكما نعلم فإن المجتمع الإنساني هو مجموعة من العادات والتقاليد والنظم كالنظام الاقتصادي والسياسي والديني، فكل المؤسسات الفنية والمعاهد والمساجد والمؤسسات الإعلامية

تعتمد على اللغة باعتبارها أهم وسيلة للتواصل والتفاهم بين الأفراد، في مؤسسة يطلق عليها في العصر الحديث اسم المجتمع الذي لا يمكن إلا للغة أن تعكس ما به، وتسير التبادل المادي والفكري فيه، وطالما أن المجتمع يتغير ويتطور حسب الحاجة فإن اللغة تتغير وتتطور مسايرة له، فهي المرآة العاكسة له دوما.

1. عوامل التغير والتطور في الألفاظ:

• **اللهجات:** لقد كانت اللغة العربية قبل الإسلام لهجات عدّة تعرف بلهجات القبائل، وبينها اختلاف في اللفظ كلهجات تميم وربيعة ومضر وقيس وهذيل وقضاعة وغيرها كما هو مشهور ومعروف.

ولكون أهل مكة من قريش الذين كانوا أهل تجارة وسفر شمالا إلى الشام والعراق ومصر، وجنوبا إلى اليمن، زيادة على ما كان يجتمع حول الكعبة من مختلف الأمم، ومن بينهم الأنباط واليمينية والأحباش والمصريون، إضافة إلى اليهود والنصارى الذين كانوا يقيمون في بعض مدن الجزيرة العربية، مما عمل على ارتقاء اللغة العربية بما تولد فيها أو دخلها من الألفاظ التي لم يكن لها مثيل في غيرها من اللغات، وزاد ذلك بنزول الحبشة والفرس في اليمن والحجاز على اثر استبداد "ذي نواس" ملك اليمن، وقد حدث هذا في القرنين الأول والثاني قبل الإسلام. ولما فتح الفرس اليمن، أقاموا فيها واختلطوا بأهلها بالتجارة والتزواج وتوطنوا وكانوا يفتدون إلى الحجاز، وأهل الحجاز يترددون إليهم.⁽²⁾

من هذا يتبين لنا أنّ العوامل المختلفة التي مرّت على العرب تختلف من ناحية أدائها ومعظم هذه الاختلافات على ما رأيت اختلافات صوتية.

وترجع هذه الاختلافات إلى الصرف والصوت والدلالة والنحو. ومادام اختلاف الصوت في القراءات القرآنية أحد هذه العوامل فإن العوامل الأخرى مكتملة لها. وبهذا يكون الاختلاف في ألفاظ بعض اللهجات راجعا إلى الاختلاف في الصرف

والنحو والدلالة، بالإضافة إلى الاختلاف في الصوت كما هو ظاهر في القراءات القرآنية المختلفة.

ومنها نذكر بعض النماذج التي تظهر فيها بعض من الاختلافات في القراءات كما أوردها الدكتور "الراجحي"⁽³⁾.

1- قرأ الجمهور: «فول وجهك شطر المسجد الحرام» وقرأ ابن أبي عييلة: «فول وجهك تلقاء المسجد الحرام».

هذه القراءة تقدم لفظتين بمعنى واحد، وهما (شطر) و(تلقاء)، ويذكر «أبو عبيد» أن التلقاء معناها (النحو) في لهجة كنانة. إذن نحن أمام لفظتين مترادفتين لهما المعنى نفسه وهو النحو والقصد.

ويقول الدكتور «الراجحي» إن لفظة (الشطر) معناها المعجمي هو نصف الشيء، وهو ما نظنه الأصل الأول لمعاني هذه اللفظة، ثم كان من معانيها المتطورة بعد ذلك (النحو أو القصد).

وأما اللفظة الثانية (تلقاء) فنحسب أن معناها الأصلي مأخوذ من (اللقوة) وهي داء يكون في الوجه يعوج منه الشدق، فكأن (تلقاء) مأخوذة من اتجاه الوجه في ناحية.

وسنرى فيما يلي استعمال (القراءتين) اللفظتين في القرآن:

1- «فلنوليك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام».⁽⁴⁾

2- «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام».⁽⁵⁾

3- «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام».⁽⁶⁾

4- «وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره».⁽⁷⁾

5- «وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره».⁽⁸⁾

ووردت (تلقاء) في ثلاثة مواضع:

1- «وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا...»⁽⁸⁾

2- «قل/ ما يكون لي أن أبد له من تلقاء نفسي». (9)

3- «ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل». (10)

ومن هذه القراءات المختلفة يظهر لنا أن كلمة (شطر) أكثر ورودا من (تلقاء) إذ من الواضح أن الأولى مستعملة في المواضع كلها مع الفعل (ولى) ومع (الوجه)، (وجهك أو وجوهكم) بينما استعملت (تلقاء) استعمالا مختلفا بغير هذا التحديد، ولم نعثر في استعمال آخر على (شطر) مسبوقه بحرف جر كما استعملت (تلقاء) كذلك (من تلقاء نفسي).

وإذا كان صحيحا ما ذكره «أبو عبيدة» من أن: «(تلقاء) معناها "نحو" في لهجة كنانة، فنحن نعرف أن كنانة من القبائل الحجازية التي كانت تجاوز قريشا». (11) إن اختلاف اللهجات أدى إلى وجود كثير من الألفاظ المترادفة والتي كانت تستعمل في كل قبيلة بمعنى واحد، وإن اختلفت الألفاظ. فمثلا كلمة (البر، الحنطة القمح) كلها تحمل نفس المعنى وهو الغذاء الذي يطحن ويعجن ويوضع في الفرن ويتحول إلى خبز يؤكل. وإضافة إلى الترادف نجد المشترك اللفظي وهو دلالة اللفظة الواحدة على عدة معان، كما نجد أيضا الأضداد وهو أن تتكلم قبيلة بلفظة وأخرى باللفظة نفسها ولكن بمعنى مغاير للمعنى في القبيلة الأولى، "الجون" التي تحمل معنى الأسود والأبيض، وهذا ما سنراه لاحقا.

ومن هنا يبدو أن اختلاف اللهجات كان سببا من الأسباب التي أدت إلى تطور اللفظة العربية وإثرائها ولهذا الاختلاف أثر كبير على العربية وعلى سعتها وكثرة مفرداتها.

وبالرغم من كون القراءات القرآنية المختلفة ذات أثر قليل في التوسع في الاستعمال الدلالي في الألفاظ فإن لغة المحادثة بين أفراد القبائل المختلفة ذات أثر واسع وأكثر شمولاً في التوسع في الدلالة اللفظية ومفردات العربية، حتى وإن كان الاستعمال مجازيا فإن هذا أيضا له أثره الكبير في التوسع الدلالي في الألفاظ. (12)

وبهذا نقول إن اختلاف اللهجات العربية ساعدها كثيرا على الثراء والنمو، فقد أثريت بواسطته بعدد غير قليل من الألفاظ ذات دلالات مختلفة.

فالرواة عملوا على جمع اللغة مما يسمعونه من القبائل المختلفة اللهجات، فكان من الضروري أن يوجد في اللغة الترادف والاشتراك والأضداد، ولهذا فإن جمع اللغة أيضا عامل من عوامل نمو اللغة وإثراء ألفاظها نظرا لما كان في لهجات القبائل من اختلاف في الألفاظ ومدلولاتها، فجمع الرواة ما جمعوا من هذه اللهجات وبهذا ظهر واضحا أن اختلاف لهجات القبائل على أنواعها هو ما أدى إلى وجود ألفاظ ومعان مغايرة للمعاني المستعملة عند قبيلة أخرى، فمعرفة قبيلة بلفظة ما فإنها تضيف إلى كل ما تعرفه من ألفاظ ألفاظا جديدة عليها ذات دلالات جديدة وهذا ما يؤدي إلى الثراء والنمو اللغوي.

2. - اختلاف النظم والعلاقات الاجتماعية: اللغة هي الوسيلة الوحيدة التي تعبر بها أي أمة من الأمم عن آمالها وآلامها وطموحها وانكساراتها، وهي المرآة العاكسة لحضارة الأمة وتاريخها وآدابها، وهي الوسيلة الوحيدة التي تنتقل الحضارة بها إلى الأجيال المتعاقبة، وكثيرا ما تتعرض إحدى الأمم إلى الاستعمار فيفرض لغته ويمحو شخصية شعبها بنشر لغة المستعمر في مختلف الوسائل الحكومية والمدارس والجامعات، وأحسن دليل على ذلك هو احتفاظ بعض البلدان العربية بلغة المستعمر في مختلف المجالات، إلى جانب اللغة الوطنية، بل أحيانا تكاد تطغى هذه اللغة على اللغة الرسمية ومثال ذلك: فرض فرنسا لغتها في كل مستعمراتها كتونس والمغرب والجزائر. فالكلمات الدخيلة عملت عملها في اللغة الرسمية وأصبحت مؤانستها تنمو جنب إلى جنب مع اللغة الرسمية خاصة إذا ما وجدت القبول والتداول بين أفراد المجتمع، فهي ستحيا حياة طويلة جزءا من ألفاظ لدرجة تصبح جزءا من ألفاظ اللغة الوطنية.

ولكون المستعمر يعمل دوماً على فرض لغته لفرض سيطرته فإن مكوثه واتساع تعاملاته يساعد على التبادل في المفردات اللغوية، وهذا ما يجعل اللغة الوطنية تحتفظ بألفاظ جديدة لم تكن متداولة فيها من قبل. فالتبادل بين اللغات له الأثر الكبير في انتقال الكثير من الكلمات من الدول الأوروبية إلى الدول العربية فاللغات كالكائنات الحية تؤثر وتتأثر وتتبادل فيما بينها الأخذ والعطاء بقدر الحاجة وبهذا يتأثر سلوك أفراد المجتمع وتصرفاتهم وعاداتهم، فاللغة هي الطريق الوحيدة للتواصل بين الأفراد، وهي دائمة التأثر والتأثير بغيرها من اللغات وهذا عامل يؤثر في تطور اللغة إلى جانب عوامل أخرى كالحياة الاجتماعية، والسياسية والثقافية، فأى تطور في أحد هذه المجالات يدعو إلى تطور اللغة ونموها رغبة في مسايرة الحضارة والتقدم العلمي.

• **العامل السياسي:** السياسة وجه من وجوه الحياة الاجتماعية للأفراد فالسياسي يحتاج دوماً إلى لغة يتعامل بها ويتواصل عن طريقها للتعريف بسياسته وإيصالها إلى الشعب. وهذه اللغة المستعملة في ميدان السياسة تتعرض دائماً للتغيير والتجديد حسب تغيرات النظم السائدة في مجتمع من المجتمعات، فلغة السياسة تحمل عناصر لها من الأهمية القصوى، فيها يعبر عن الأنظمة السياسية والمصطلحات المستخدمة والتعبيرات المختلفة تتغير حسب الحاجة من دعاية وتعاملات مع نظم أخرى مغايرة لها.

يقول الدكتور "محمود السعران": «إن وسائل الإقناع الكلامية تختلف من نظام إلى آخر، ففي النظام الفاشستي الهتلري أو الموسوليني تختلف عنها في نظام ديمقراطي، وتختلف كذلك في النظام الشيوعي الروسي مثلاً عن النظام الشيوعي الصيني»⁽¹³⁾

والاختلافات في النظم السياسية لأبد وأن تترك بصماتها على الحياة اللغوية فكل الكلمات المستعملة سواء في المهرجانات المقامة للدعاية أو تلك المكتوبة على

لافتات في الطرقات أو تلك المستعملة في جرائد الدعاية والخطب السياسية الحماسية تختلف من سياسي لآخر وكل هذا قصد جلب الناخبين والجماهير، من الشعب إليهم فالتسابق في استخدام أحسن العبارات اللافتة تجعلهم يستعملون ألفاظا مغايرة لما يستخدمها الغير وبهذا يحدث تطور في الألفاظ ودلالاتها حسب النظم السائدة في مجتمع من المجتمعات، ففي المجتمع الفقير يستخدم السياسي ألفاظا تؤثر في العاطفة مثل: (سنعمل على مساعدتكم، ابنكم)، إضافة إلى إقامة الولائم، أما في المجتمع الثري فيستخدم السياسي ألفاظا مغايرة تفيد الإقناع مخاطبا العقل مثل: (العمل من أجل تحقيق الأهداف، العمل من أجل تحسين الوضعية، تحقيق كل الطموحات...) وغيرها من الكلمات والعبارات المختارة للهدف المراد، فاللغة هي الوسيلة الوحيدة التي تحقق لهم أهدافهم ومن هنا فهي تخضع لكل الحالات المفروضة، وبالتالي تظهر ألفاظا جديدة حسب مستويات الأفراد الذين يوجه إليهم الخطاب السياسي وحسب الوعي والثقافة المنتشرة، فالألفاظ المستخدمة عند المثقفين ليست كمثلي المستخدمة في أوساط العامة. والألفاظ تتغير أيضا حسب تغير حكومات الدول ورؤسائها، فالكلمات المستخدمة سابقا في النظام الملكي غير التي نجدها في النظم الحديثة السائدة، مثل: (باشا، مولاي...) وغيرها من الكلمات القديمة، أما حاليا فنجد ألفاظا مثل: (رئيس، سيد...) ظهرت في العصر الحديث وهي ألفاظ جديدة ذات دلالات جديدة. وإضافة إلى تغير الألفاظ المستخدمة عند هؤلاء السياسيين نجد الألفاظ المستخدمة في الحروب قد تغيرت وتبدلت دلالاتها ففي الحرب العالمية الثانية مثلا: استخدمت كلمة ديمقراطية لونا جديدا وتغيرت دلالة "الحلفاء" فبينما كانت تتضمن في نظر الغربيين بغضا للروس لأنهم لم يكونوا (حلفاء) من قبل، أصبحت أثناء الحرب العالمية الثانية تعني - من جملة ما تعنيه - مشاركة الروس في التخلص من عدو مشترك.⁽¹⁴⁾

إضافة إلى كل هذه الألفاظ نجد ألفاظا جديدة تستعمل في عصرنا الحديث مثل (العالم الثالث، الشعوب النامية، تقرير المصير، الحرب الباردة، اقتلاع الصهيونية...) وما نلاحظه أن للثورة أثرا كبيرا في اختلاف دلالات الألفاظ وظهور ألفاظ جديدة، فالثورة كثيرا ما أماتت ألفاظا وأحييت أخرى، وكثيرا ما كانت كلمات تدل على الهزء والسخرية أثناء الثورات فأصبحت رمزا للعزة والفخر مثلا: (عامل، فلاح)، كذلك نجد مثلا استقلال البلاد العربية بعضها عن بعض فانفصام الوحدة السياسية يؤدي إلى انفصام الوحدة الفكرية واللغوية.⁽¹⁵⁾

من كل هذا يظهر لنا جليا أن الألفاظ في تطور وتقدم مستمر مسايرة للعصر وتطوراته، فدلالاتها تتطور وتتجدد كلما تجددت استعمالاتها. فما يصدر بيانات سياسية بين دولتين أو أكثر تتداخل فيما بين اللغات، وبالتالي تتبادل الألفاظ المستعملة مثل (الصدافة، الأخوة، تدعيم العلاقات)، وبهذا نقول أن اللغة في نمو وتطور مستمر، فكثيرا ما تموت ألفاظ لتعوضها أخرى تظهر جديدة ذات دلالات جديدة حسب مقتضيات أفراد المجتمع. والسياسة هي أحد العوامل المساعدة على هذا النمو والتطور.

• **العامل الاقتصادي:** إن كون اللغة كما أسلفنا هي الوسيلة المستخدمة للتواصل بين أفراد المجتمع فهي بالتالي وسيلة التعامل في مختلف المجالات ولهذا فلا بد لها من مسايرة التطور الحضاري في جميع النواحي، فمثلا التطور الاقتصادي في حاجة إلى التطور اللغوي سعيا إلى تلبية كل احتياجات الأفراد المتعاملين بهذا المجال.

يقول الدكتور "السعران": «إن طريقة العدِّ وما في اللغة أو اللهجة من أعداد لا يزال عند بعض القبائل في مرحلة بدائية ساذجة، وهما يبلغان عند أعظم الأمم حضارة درجة عالية من التفصيل والتعقيد، وهذان يختلفان عند أصحاب اللغة الواحدة حسب حظ المتكلم من الثقافة»⁽¹⁶⁾.

ففي الوقت الذي تستخدم فيه الأمم المتحضرة أرقى الأجهزة والآلات في عمليات حسابية دقيقة، ما تزال أمم أخرى تعتمد على الطرق البسيطة في العدّ والحساب، فنجد الآن ألفاظاً جديدة تطلق على الأجهزة المتطورة المستخدمة حديثاً كالكمبيوتر، جهاز الحسابات، العقل الإلكتروني...، فهذه الألفاظ الجديدة ظهرت بظهور أجهزة جديدة فحملت دلالات جديدة أيضاً، إضافة إلى استخدام الألفاظ المطلقة على أنواع الآلات المستخدمة للحساب، فنجد ألفاظاً تطلق في مجال الزراعة والصناعة، مثل: الجمعية الزراعية، الري والصرف، تركتور، جرافة دراسة... وفي الصناعة نجد: ديزل، دركسيون...، فهذه ألفاظ جديدة ظهرت مع التطور الزراعي والصناعي حسب حاجة كل متعامل فيها، وعندما يحتاج إلى تسويق السلع فإن الإعلانات تقوم بعملها في هذا المجال، فتستخدم لغة الإعلانات المزخرفة بأنواع من الكلمات والعبارات المثيرة لحواس الناس دعوة للشراء أو جلب الزبائن، وتختلف الألفاظ المستخدمة حسب اختلاف نوع المنتج، فالألفاظ المستخدمة في الإعلان عن مأكول ليست كالتي تستخدم في الإعلان عن جهاز أو دواء أو ملابس، كما تختلف باختلاف المجتمعات، فالمجتمع المتحضر تقتصر إعلاناته على عبارة قصيرة، أما المجتمعات الأقل تحضراً فإن إعلاناتها تمتاز بطول النداء والتعني والتلذذ في الكلام، بل إن الاختلاف يكمن حتى في أفراد المجتمع الواحد، وبين البائعين أنفسهم، وهذا باختلاف درجات ذكائهم وحيويتهم فنجد البعض يستخدم كلمات منمقة يلجأ فيها صاحبها إلى المجاز والتشبيه مثل العبارات المستخدمة في الأسواق المصرية: (يا بيض اليمام يا عنب) على العنب وعلى السمك البلطي بـ (ياعزيز السلطة يابلطي) ...، فالعقليات تختلف من أشخاص إلى آخرين، والحيل تختلف من بائع إلى آخر وبالتالي تختلف الألفاظ المستخدمة ويتبادل الأشخاص المعارف بجلب ألفاظاً جديدة مثلما يحدث في السوق عند المزايمة فحضور مختلف البائعين من مختلف المناطق في سوق واحدة يؤدي

إلى حدوث احتكاك وتبادل في الألفاظ وزيادة دخول ألفاظ جديدة على لغة كل واحد منهم.

بالإضافة إلى الاختلافات في العبارة المستخدمة في كل ما ذكرناه نجد الاختلافات أيضا في الأساليب، ففي العصر الحديث أصبحت التعاملات الاقتصادية لا تقتصر على الكلمات المباشرة وحسب بل أصبح الناس يستخدمون كل الأساليب المناسبة من راديو إلى جرائد بعناوين بارزة إلى موسيقى وصور معبرة في التلفزيون عكس ما كان يحدث سابقا، فحدث تغير وتطور كبير في الحياة الاقتصادية أدى بالتالي ظهور ألفاظ ومسميات ذات دلالات جديدة، وهذا ما يساعد اللغة دوما على النمو والتطور جنبا إلى جنب مع كل تطور في الحياة الاقتصادية.

• **العامل الديني:** إن للأديان أثرا كبيرا في تطور الألفاظ ودلالاتها وذلك لأن الأديان تأتي بنواميس جديدة وشرائع ومعتقدات لم تكن موجودة قبل نزول الوحي ولهذا لا بد من استعمال ألفاظ جديدة، فالدين الجديد يأتي بالجديد وبكون اللغة العربية لغة القرآن الكريم فقد كانت مسايرة له، ووسعت كل ما جاء به، وقد ظهرت كلمات وعبارات جديدة ذات دلالات جديدة لم تعرف قبل الإسلام، وإن وجدت فإن دلالاتها تختلف عن الدلالة الجديدة التي اكتسبتها في ظل الإسلام. ويرى "ابن فارس": أن الإسلام هو أكثر الأسباب بل هو الوحيد لتطور اللغة العرب العربية، فقد تغيرت الحياة العربية به، إذ أدخلت فيه مصطلحات كثيرة لم تعرف عند العرب سابقا، وقد انتقلت الألفاظ من معانيها اللغوية الأولى للدلالة على ما جدّ في الحياة العربية عن طريق الإسلام، كما عرف بعد ذلك بالمعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي للفظ، فيقول: «كانت العرب في جاهليتها على ارتث من ارتث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائهم وقرابينهم، فلما جاء الله - جل ثناؤه - بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع أخذ بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائع شرطت...، فكان مما جاء في الإسلام

ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق، وأن العرب عرفت المؤمن من الأمان والإيمان، وهو التصديق ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا سمي بها المؤمن بالإطلاق مؤمنا... ومما جاء في الشرع الصلاة، وأصله في لغاتهم الدعاء... فالوجه في هذا إذا سئل الإنسان عنها أن يقول في الصلاة لغوي وشرعي ويذكر ما كانت العرب تعرفه ثم ما جاء الإسلام به، وهو قياس ما تركنا ذكره من سائر العلوم كالحق والعروض والشعر، كل ذلك اسمان: لغوي وصناعي»⁽¹⁷⁾

وكل الألفاظ التي نجدها مستعملة في مجتمعنا للتعبير عن أمر من أمور الدين هي أكثر الأدلة على اكتساب الألفاظ القديمة دلالات جديدة لم يسبق لمجتمعنا استعمالها قبل الإسلام، وكثيرا ما تستخدم هذه العبارات في مناسبات مختلفة دينية أم لا، كمناسبات النجاح والتفوق العلمي سواء كانت لواحد من الأشخاص مثل عبارات: (الحمد لله على نجاحك، اسم الله عليك، باركك الله).

فباللغة إذن تتغير بتغير ألفاظها أو اكتساب ألفاظها دلالات جديدة مع كل تغير يحدث في حياة الأفراد التي تتطلب دوما لغة قادرة على التعبير عن الخواطر والأفكار المختلفة في عقول ونفوس الأفراد «فهي نظام اجتماعي تخضع لما يخضع له المجتمع من مؤثرات تتطور بتطوره وتتمو بنموه، فإذا عرفنا مم يتكون المجتمع عرفنا بالتالي العوامل الاجتماعية التي تؤثر في التطور والتغير اللغوي»⁽¹⁸⁾

فمعرفة الدين الذي تعبر عنه اللغة العربية، يجعلنا نفرق كيف استطاعت اكتساب عوامل نموها وراثتها من هذا الدين، ويمكننا إدراك مدى تأثير الديانات في نمو اللغة وتطورها، فهي تدفعها لمسايرة ركب الحضارة وتطوره الدائم. فالدين الإسلامي له أثر كبير في تهذيب اللغة العربية والنهوض بها إلى أرقى مستوى خاصة في مجال الآداب، والأثر هذا يبدو واضحا في مختلف النواحي اللغوية سواء في الأغراض والمعاني والأخيلة أو الأساليب والألفاظ.

2 - عوامل التطور والتوسع في المعنى:

• التوسع الاشتقاقي في اللغة: اللغة العربية ككل اللغات تستند على أمور جوهرية لا يستغنى عنها، إذا فقدت أو أهملت ماتت اللغة أو توقفت عن النمو، وأكد "جبر ضومط" في كتابه «فلسفة العربية وتطورها» أن هذه المقومات شيء آخر غير ألفاظها فإن من الألفاظ ما تترادف وتكثر حتى تستنقل وتهجر، وأن من التراكيب ما يسقط من اللغة فلا يهدم سقوطه أركانها ولا تفسد بلاغتها زيادته.

أما الشيء الضروري الجوهرى فمثل الاشتقاق لا تستقل لغة عن غيرها إلا به ولا تترقى إلا به، فإن استقل وترقى استقلت اللغة عن غيرها وترقت، وإن تميز الاشتقاق وانفرد في كل لغة من لغتين تميزت اللغتان وانفردت كل منهما عن غيرها، ومن ثم أخذ يدعو لفكرة الاشتقاق في العربية. ولأن العربية لغة اشتقاق قياس استغنت عن الأخذ من لغات أخرى إلا النادر اليسير، فقد أخذ علماء العربية علم المنطق من اليونان لكنهم لم يأخذوا ألفاظ هذا العلم بل وجدوا في ألفاظ العربية ما يغنيهم عن تلك الألفاظ فقالوا: موضوع، محمول، قضية، وقياس، واستنتاج ... إلى غير ذلك. وفي مقال آخر بعنوان «ارتقاء اللغة العربية» جعل من أسباب هذا الارتقاء الاشتقاق.⁽¹⁹⁾

فمعظم اللغات تنثرى عن طريقه وعن طريق استعمال الألفاظ مجازا فل كلاهما أثر مباشر في إثراء اللغة.

1- **الاشتقاق:** هو نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتها معنا وتركيبا وتغيرهما في الصيغة⁽²⁰⁾، والاشتقاق أيضا أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقها معنا ومادة أصلية وهيئة تركيب لها، ليبدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلافا حروفا وهيئة، كضارب من ضرب، وطريق معرفته تقليب تصاريف الكلمة حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ دلالة إطرء أو حروفا غالبا كضرب فإنه دال على مطلق الضرب فقط⁽²¹⁾. أو يقال هو تحويل الأصل فمصدر (ضرب)

يتحول إلى (ضَرَبَ) فيفيد حصول الحدث في الزمن الماضي⁽²²⁾. وإلى (يُضْرَب) فيفيد حصوله في المستقبل وهكذا. وهذا التحول والاشتقاق إنما يلحق بالأصول الدالة على الأفعال والأحداث لأن هذه تتغير وتستحيل من طور إلى طور لما ينتابها من العوارض فالضرب مثلا: يختلف باختلاف زمن حدوثه وباختلاف الفاعلية والمفعولية إلى غير ذلك من الاعتبارات⁽²³⁾.

أما الأصول الدالة على المواد والأعيان وهو ما يسمونه بالجواهر والأسماء الجامدة، فليس بهذه المثابة ولا تلامسها هذه العوارض⁽²⁴⁾، فكلمة أرض تدل على هذا الجسم الكروي الذي نعيش فيه ولا يطرأ عليه من العوارض ما يطرأ على الأفعال والأحداث، فلا يتغير لفظه ولا يشتق منه غيره، إلا ما سمع على أهل اللغة أنفسهم وما حولوه هم بألسنتهم لمادة (حجر) التي اشتقوا منها (استحجر الطين) ومن ناقة (استنوق الجمال)، ومن سيف (ساقه) أي ضربه بالسيف⁽²⁵⁾، ونتيجة القول أن اشتقاق كلمة من أخرى مما يقصد إليه العرب وله عندهم قياس يعرفونه وأسلوب يجرون عليه، ولا يجوز لمن جاء بعدهم أن يشتق ما لم يشتقوه هم: قال ابن فارس⁽²⁶⁾: «أجمع أهل اللغة - إلا من شذ منهم - أن للغة العرب قياسا، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن اسم الجن مشتق من الاجتتان، وأن الجيم والنون تدلان أبدا على الستر: تقول العرب للدرس جنة وأجنة الليل، وهذا جنين في بطن أمه. وأن الإنس الظهور، يقولون: أنست الشيء: أبصرته، وعلى هذا سائر كلام العرب»⁽²⁷⁾. والاشتقاق وسيلة من وسائل نمو اللغة وتوالد موادها وتكاثر كلماتها، ولا يمكن لنا الحديث عن الاشتقاق وخاصة الاشتقاق العام دون التطرق إلى ذكر علاقته بالصيغ والأبنية، خاصة بالنسبة لنمو اللغة وتطورها، ذلك لأن الاشتقاق لا يتم دون قوالب تصاغ فيها المادة اللغوية، فالكلمة العربية تشتمل على عناصر أساسية:

- **المادة الأصلية:** وهي تتكون من ثلاثة حروف في العربية مثل: (ك - ت - ب)، بالنسبة لكلمة كتب وهي ترمز في نفس الوقت للدلالة الأصلية للمادة.
- **الصيغة التي ركبت عليها تلك المادة الأصلية:** وهي القالب الذي تصب فيه الكلمة، والذي يعطيها في الأخير الشكل والوزن أو الدلالة الوظيفية للكلمة.
- ومن وجود العنصرين السابقين معا نصل إلى العنصر الأخير وهو معنى الكلمة أو دلالتها المعجمية أو الاجتماعية.

فإذا كان الاشتقاق هو المادة الخام التي تصنع منه الكلمات فالصيغ والأوزان هي القوالب التي تصب فيها هذه المادة، وهذه الصيغ والأوزان منها ما هو معروف مثل اسم الفاعل، واسم المفعول والصفة المشبهة وأفعال التفضيل واسما الزمان والمكان، واسم الآلة وأوزان الفعال وتصاريقها المختلفة وأنواع الجموع القياسية السالم منها وغير السالم. وقد جمع السيوطي في المزهرة الكثير، كما أورد معاني بعض الصيغ.⁽²⁸⁾ ومنها ما هو نادر الاستعمال كالصيغ التي جاء على وزنها كلمة واحدة أو بضع كلمات وهو ما أسماه اللغويون القدماء نوادر الأبنية وقد خصص لها السيوطي فصلا مستقلا في المزهرة.⁽²⁹⁾

وعلى هذا فالاشتقاق لا يحقق وجوده أو يقوم بدوره في نمو العربية إلا في وجود هذه الصيغ والأوزان، ومن ثم فإن لها علاقة مباشرة بالاشتقاق تعمل معه وتدور في فلكه أو بمعنى أدق يدور هو في فلكها.

اختلف الرأي في قضية الأوزان والصيغ من حيث كونها قيما على نمو الثروة اللفظية في اللغة العربية، وهناك رأي يقول: «أن اللغة العربية لا تكاد تظفر بجديد من الألفاظ يعتمد في وجوده على الاشتقاق لأن الصيغ الاشتقاقية التي تصاغ فيها الألفاظ لا تكاد تختلف على مر الأيام، فصيغ اسم الفاعل والمفعول، واسما المكان والزمان والمصادر وما إليها لم تختلف منذ أن وصلت إلينا نصوص اللغة. وقد تركزت فيها هذه الأصول والقوالب الاشتقاقية»⁽³⁰⁾

وإذا أخذنا بهذا الرأي نقول ألا يدل تعدد معاني هذه الصيغ والأبنية على نوع من الحيوية والتجديد يغفر لها هذا الجمود الظاهري، إذ أننا نجد أن الصيغ الواحدة أحيانا على معانٍ متعددة، فوزن (فعليل) مثلا: يدل على الصفة الثابتة نحو (كريم شريف، عليم) وفي الوقت نفسه تدل على الصوت نحو (صهيل - زئير)، كما يدل وزن (فعال) على مصدر (فاعل - يفاعل) مثل (قتال، عراك، سياق) وعلى أدوات وآلات مثل: (حزام، إناء وعاء) وأحيانا يدل على جمع (فعليل) مثل: (كرام، لثام طوال) ويدل وزن (أفعل) من الأفعال على متعدّد مثل: (فعل)، الازم مثل (أخرج) وعلى وجدان الشيء مثل: أحصد الزرع أي بلغ أوان حصاده وغير ذلك من المعاني.⁽³¹⁾

ويمكن أن تدل أوزان متعددة على المعنى الواحد، فمبالغة اسم الفاعل تدل عليها صيغة فعال ويفعال ومفعول وفعل وفعليل، وعلى الأصوات فعّال وفعل، والألفاظ الدالة على الأدوات والآلات وردت على أوزان متعددة منها ففعل، قد ورد على وزنها عدد من الكلمات مثل: الناقوس، الساطور، ووردت كلمات أخرى على وزن: مفعّل مثل: مبرّد، وأخرى على وزن مفعّال مثل مفتاح.⁽³²⁾

كل هذا يعطي هذه الصيغ نوعا من التجديد ويعوّضها عن هذا الجمود الظاهري وهو ما يبدو واضحا على الصيغ والوزان التي استخرجها العلماء القدماء إذ لا نجد أنها غير متساوية في استعمالها فبعض منها ظاهر النشاط كثير الاستعمال وبعض يعمل عمله في نمو اللغة وتجديدها، والبعض منها راكد جامد، ومع هذا يظهر أحيانا للباحث نشوء صيغ جديدة في عصور العربية بعد الإسلام مثال ذلك: الصيغة الناشئة من إضافة الألف والنون مع ياء النسب، مثل روحاني، وهي صيغة مولدة نجدها في كتب الصوفية. ونجد أيضا الصيغة التي تنشأ من إضافة ياء النسب مع تاء للدلالة على المذاهب كالاشتراكية، الصوفية، وكلها كلمات مولدة ذات صيغ لم

تكن معروفة في العربية القديمة. وقد أقر مجمع العربية في مصر، قياسية هذه الصيغة فاستفاد منها في توليد كثير من الكلمات للدلالة على المذهب.

أما في اللهجات العامية فإننا حين نلنفت إليها نجد ميلها إلى ابتداع نوع من الصيغ الجديدة، مثال ذلك: (تفعلت) في اللهجة الشامية مثل: (تكسلت تحمرن تجحشن)،⁽³³⁾ حيث نجد مثل هذه الصيغ تزحف إلى الكتابات العربية المعاصرة ونجد كاتباً مثل "كمال يوسف الحاج" يشتق على هذه الصيغ كلمات كثيرة مثل قوله: (يتألهن) الإنسان أي يتشبه بالإله، وقوله: (يلفظن الفكر، يفكرن اللفظ)⁽³⁴⁾. وعلى الرغم من أن هذا يعد من التوليد المرضي إلا أنه يدل في الوقت نفسه على نوع من الزحف البطيء لصيغ جديدة إلى العربية.

هذا كله يدل على تعدد الصيغ وتعدد معانيها بل أحياناً تجتمع على معنى واحد وتختلف أحياناً أخرى وكذلك ظهور صيغ جديدة يدل كل هذا على نوع من التبدل والتطور في صيغ العربية، بالرغم من كونه بطيئاً لا يكاد يلحظ إلا أنه ليس باستطاعتنا القول بأنها ستبقى هكذا إلى الأبد ذلك لأنها لم تكن ثابتة أو جامدة في الماضي، فيرى بعض الباحثين أن كل من الأوزان التالية: فاعيل وفاعول، فاعال من أقدم الأوزان وإن فاعيل بتطورها ولدت فاعل، وفعيل ومنها تولد فعل.⁽³⁵⁾

إن إمكانية تطور الصيغ أمر موجود بل هو حادث فعلاً، فإذا أضفنا إلى كل هذا تعدد الصيغ العربية وكثرة أوزانها هي بلا شك لم توجد دفعة واحدة، وإنما حدث ذلك على مراحل من التطور من التطور الطويلة ثم الحيوية الخاصة التي تتمتع بها في الدلالة على المعاني.

من كل هذا سنجد أن الاشتقاق العام من أهم طرق نمو اللغة العربية وإعدادها خلال تاريخها الطويل بالجديد من الألفاظ التي تستعين بها على الاستجابة لحاجات المتكلمين.

فالاشتقاق بطبيعته يمكن المتكلمين باللغة العربية صياغة مفرداتها حسب قواعد قد نراها محدودة في النهاية ولكنها مجردة من الناحية الفكرية في نفس الوقت. والمتكلم حر في التعبير بها عن أغراضه، فهو يجد في متناوله من هذه الأوزان والصيغ كل ما يحتاج إليه، فيبنيها حسب مشيئته فهو صاحب التصرف في المشتقات وفي اختيار ما يلائمه منها وفق أغراضه وطبيعة تفكيره. وبهذا يظهر لنا الاشتقاق كوسيلة أساسية من بين وسائل نمو الثروة اللفظية في العربية، إذ يستطيع المتكلم أن يشتق ما يشتق من الألفاظ الصيغ الجديدة ليعبر عن كل ما يساير ركب التطور والتقدم الحضاري دون أن يعجز أمام مخترع حديث في إيجاد تسمية له وبالاقتناع ينال ما يسعفه. فالاشتقاق وسيلة هامة من وسائل تطور النمو اللغوي وبالتالي إثراء اللغة وتوسيعها بألفاظ مشتقات جديدة.

2- الإبدال والقلب: من بين العوامل المساعدة على التوسع اللغوي وعلى تطور اللغة ونموها، نجد الإبدال والقلب والذان يعتبران من أنواع الاشتقاق وسنتعرض لهما دون التطرق إلى الرأيين المختلفين من معارض ومؤيد لأن المهم في دراستنا هذه هو إبراز ما لهما من أهمية بالنسبة للغة: نموها وتطورها، قال ابن فارس في فقه اللغة: «من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعضها: مدحه مدده، وفرس رفل رفن، وهو كثير مشهور قد ألف فيه العلماء، فأما قوله تعالى: (فانلق فكان كل فرق كالطود) فاللام والراء متعاقبان، كما تقول العرب: فلق الصبح وفرقه»⁽³⁶⁾

وقال أبو الطيب في كتابه: «ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلف إلا في حرف واحد. قال: والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة وطورا غير مهموزة، ولا بالصاد مرة وبالسين

أخرى. وكذلك إبدال لام التعريف ميما والهمزة المصدرة عينا، كقولهم في نحو أن
عن لا تشترك العرب في شيء من ذلك، إنما يقول هذا قوم وذاك آخرو». (37)
مثال: إبدال الهمزة واوا: أكد — وكّدت. وقال "أبو حيان" في شرح التسهيل:
قال شيخنا الأستاذ أبو الحسن ابن الصائغ: «قلما تجد حرفا إلا وقد جاء فيه البديل
وهو نادر».

ومهما اختلفت الآراء في الإبدال فهو موجود سواء أكان إبدال حرف مكان آخر
أو كان ذلك لهجة قوم فهو على الحالين موجود ومستعمل والأمثلة الشائعة أحسن
دليل لإثبات حياة هذين العنصرين وتأثيرهما في النمو اللغوي، ومن بين هذه
الأمثلة نذكر ما ورد في كتاب "يعقوب بن السكين": (38)

- إبدال الهمزة هاء: فمن إبدال الهمزة هاء: أيا وهيا، إياك وهياك، أتمال
السنام وأتمهل إذا انتصب، وأرحت دابتي وهرحتها، أرقت الماء وهرقته.

- إبدال الهمزة عينا: ومن الهمزة والعين: آديته على كذا وأعديته: أي قوبته
وأعنته، كئأ اللبن وكئع: وهي أن يعلو دسمه وخنورته على رأسه في الإناء، موت
ذؤاق وزعاق: وهو الذي يجعل القتل، التميء لونه والتمع...إلى غيره من الأمثلة.

رغم الاختلافات في الآراء حول قضية الإبدال، فهو مستعمل في العربية وهو
يؤدي إلى نمو اللغة وتطورها وهو كما سبق ذكره نوع من الاشتقاق، وهو أن
يكون بين اللفظين تناسب في المعنى والمخرج نحو: (نعق ونهق) المعنى متقارب
إذ هو في كل منهما الصوت المستكره، وليس بينهما تناسب في اللفظ لأن في كل
من الكلمتين حرفا لا يوجد نظيره في الكلمة الأخرى، غير أن الحرفين اللذين اختلفا
فيهما أي العين والهاء متناسبتان في المخرج فمخرجهما الحلق، ولهذا سمي هذا
النوع اشتقاقا أكبر.

ولم يقف العلماء عند تعريف الإبدال ومفهومه بل توسعوا فيه إلى أبعد من هذا
وجعلوه بحيث يتناول إبدال حرف من حرف آخر مطلقا وافقه في المخرج كما في

الأمثلة السابقة أو لم يوافقه فيه بشرط حصول التناسب المعنوي بين اللفظين كقولهم: جمجمة وهممة متناسبتان في المعنى لا في المخرج.⁽³⁹⁾

وكما اختلفت الآراء حول قضية الإبدال فإنها اختلفت كذلك في قضية القلب ومهما اختلفت فإن الأهمية لدراستنا هي الناحية التي يبدو فيها القلب كعنصر مهم في إثراء اللغة ونموها وتطورها. قال ابن فارس: «من سنن العرب القلب وذلك يكون في الكلمة ويكون في العبارة فأما الكلمة فقولهم: جذب جذب وما أطيبه وأيطبه ربض وربض، أنبض القوس وأنضب»⁽⁴⁰⁾، ولبكت الشيء وبكاته إذا خلطته وأسير مكبل ومكبل، بكبت الشيء وكببته: إذا طرحته بعضه على بعض. وفي الاشتقاق والتعريب يقول عبد القادر المغربي: «القلب يقال له الاشتقاق الكبير، وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب مثل الفعل: جذب المشتق من مادة الجذب، فإن الحروف في المشتق هي عينها في المشتق منه والمعنى فيهما متناسب، وإنما الفرق بينهما أن الباء في الأصل قبل الذال عكس الثاني، وهذا ما أراده بالقلب في هذا المقام»⁽⁴¹⁾ أما الاشتقاق الصغير ك: ضرب من الضرب فإنهما اتفقا في الأمور الثلاثة: الحروف والمعنى والترتيب.

وبالرغم من قلة القلب في العربية إلا أنه ذو أثر كبير في تغير المعنى وتطور الألفاظ ودلالاتها أيضا.

وبهذا يظهر كل من الإبدال والقلب عنصران حيويان في حياة اللغة إذ أن لهما أثر كبير في نموها وتوسعها فيهما تظهر ألفاظ جديدة ذات دلالات والتي تجد طريقها في الاستعمال بين الناس وتنتشر وتجري على الألسنة وهذا بالتالي يؤدي إلى نمو اللغة ويساعد على اتساعها.

3 - **النحت والتركيب:** النحت عامل من عوامل التوسع اللغوي المؤثرة في اللغة، ومعناه في أصل اللغة: البري⁽⁴²⁾. يقال: «نحت الخشب والعود إذا برأه وهذب سطوحه، ومثله في الحجارة والجمال. قال تعالى: (أتعبدون ما تتحتون)

وقوله: (وتتحتون من الجبال بيوتا) والنحت في الاصطلاح هو: أن تعمد إلى كلمتين أو جملة فتزج من مجموع حروف كلماتها كلمة فذة تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها»⁽⁴³⁾

والنحت في حقيقة الأمر من قبيل الاشتقاق وليس اشتقاقا بالفعل لأن الاشتقاق أن تنزع كلمة من كلمة، أما النحت أن تنزع كلمة من كلمتين أو أكثر، وتسمى تلك الكلمة المنزوعة منحوتة، والنحت ما يعرفه أهل اللغة أنفسهم وجروا عليه في كلامهم وفي المعاجم اللغوية شواهد كثيرة على ذلك.

ويقسم النحت إلى أربعة أقسام هي: النحت الفعلي، النحت الوصفي، النحت الاسمي، وأخيرا النحت النسبي.

لقد ظهر الاشتقاق كقوة لنمو اللغة وتكاثر كلماتها وتشعب صيغها لكنه سماعي مقيد بأزمان خاصة وأشخاص معينين، وكما أن العرب القدامى ينحتون من الكلمات ما يستعملونه في كلامهم فإننا أيضا يمكننا أن ننحت ما يلزمنا وما تستدعيه الحاجة من كلمات جديدة.

والكلمات المنحوتة أي المركبة من كلمتين أو أكثر، تعد بالآلاف في الفارسية والأرمنية وفي عدة لغات أوربية كالإنجليزية والألمانية، أما في لغتنا فإنها تحصى بالعشرات، مما يصعب صوغ كلمات جديدة في شتى الميادين ولاسيما المختصة بالعلوم والفنون، ومن الأمثلة نذكر ما يلي:

- مشلوز⁽⁴⁴⁾: اسم نوع من المشمش حلو النواة، وقد نحت من كلمتين: مشمش ولوز.

- برمائي: نعت يطلق على الحيوانات التي تعيش في الماء والبر وهو منحوت من كلمتين: بر وماء.

- محبرم: أي ماء حب الرمان، فهنا نحت من ثلاث كلمات.

وفي العربية من الكلمات المنحوتة المركبة من الكلمة «بنو» والمضاف إليها

للدلالة على سلاسة شخص ومنها:

- بعبر: أي بنو عبد الدار

- بلحرث: بنو الحرث

- بلهجوم: بنو الهجوم

وهناك نوع ثالث مختص بالأسماء المنسوبة مثل:

- عبشمي: عبد الشمس

- عبدلي: عبد الله

- مرقسي: من امرء القيس

وأكثر الكلمات العربية المنحوتة من النوع الرابع وهي تعبر عن قول كلمة أو

كلمتين أو جملة كاملة وهي مركبة من بعض حروفها مع مراعاة ترتيبها في

الغالب.

- بسم: نطق بالبسملة، وهي عند النصارى اسم الرب والابن وروح

القدس، وعند المسلمين: بسم الله الرحمن الرحيم.

- هلل: قال: لا إله إلا الله.

- حمدل: قال: الحمد لله.

كل هذه الأمثلة تدل على أن النحت وسيلة إثراء اللغة وزيادة مفرداتها

وتراكيبها، وهي بالتالي تقدم للمتكلم فرصة التعبير على معنى كلمتين أو قد تكون

جملة بأكملها بكلمة واحدة، فالنحت أمر يجعلنا قادرين على إيجاد الكلمات

واستعمالها في حياتنا اليومية للتعبير عن معنى أو أكثر كان إيجاد لفظ مناسب له

أمر صعب.

النحت وسيلة من وسائل النمو اللغوي عرفت لها اللغة العربية منذ القدم، والأمثلة

السابقة دليل على ذلك، فمثلا كلمة عبدي وعبشمي، وغيرهما تدل على أنها نحت

لندل على النسبة إلى بعض القبائل في حين أن بعضها ظهرت في الاستعمال بعد ظهور الاسلام مثل: بسمل وحوقل.

وأخيرا يمكننا القول أن النحت من الطرق التي كان لابد لعلماء العربية أن يعطوها أهمية لأنها وسيلة تمد اللغة بألفاظ جديدة، وبالرغم من المواقف المتباينة التي حدثت من فاعلية النحت كوسيلة من وسائل النمو اللغوي في تنمية العربية، إلا أن هذه الظاهرة بقيت مروية بأمتلتها الشائعة والتي سبق لنا ذكرها حتى كانت النهضة اللغوية والعلمية في العصر الحديث حيث واجهت العربية تطورا في العلوم وأدوات الحضارة، فواجه العلماء مشكلة وضع المصطلحات العلمية للتعبير عن المسميات الجديدة، فكلمات كثيرة في اللغات الأجنبية لا نجد لها مقابلا في العربية وهذا ما جعل المجامع العربية تلجأ إلى وسائل عديدة لاستنباط المصطلحات وكان النحت طريقا من طرق النمو اللغوي وذلك لمواجهة العربية للتقدم والتطور السريع في الحضارة. ولوضع كلمات جديدة عن طريق النحت شروط هي: (45)

- 1- أن يكون اللفظ المنحوت نابيا في الجرس عن سلفيته العربية.
 - 2- أن يكون المنحوت على وزن عربي نطق به العرب على قدر الامكان.
 - 3- أن يؤدي المنحوت حاجات اللغة من افراد وتثنية و اعراب.
- وبمراعاة هذه الشروط يصبح النحت وسيلة ايجابية في اثناء اللغة العربية وتجديد ألفاظها لتلحق التطور العلمي والحضاري الحديث في غير تنكر لطبيعتها أو عدوان على خصائصها. (46)

المجاز:

للمجاز أثر كبير في اللغة وهو عامل من عوامل التوسع اللغوي المؤثرة في تطور الألفاظ، ونمو اللغة وتوسعها.

إن لاتساع العلوم ورقي الأفكار تؤدي إلى تجدد المعاني، والتي لابد لها من أسماء تدل عليها، وللألفاظ المنقولة عن طريق المجاز أثر كبير في تعويض هذا

النقص وسره في مختلف العلوم والصناعات، ومجالات الحياة الاجتماعية، والبحث في الكتب الأدبية والعلمية يوضح كثرة الألفاظ التي دخلت اللغة من هذا الطريق فأتسع نطاقها، وسهل الكتابة في علوم مختلفة، سياسة كانت أو اجتماعية أو علمية أو أدبية لم تخض العرب فيها من قبل.

لا قيمة للمجاز ولا فائدة إذ يذهب إليها، ويطلب بسببها أمام الحقيقة، فالكلام مبني على الفائدة في حقيقته ومجازه، فالتعبير عن الدلالة بالألفاظ الحقيقية أولى ولا مجال للمجاز. وفي هذا يقول ابن الأثير: «اعلم أنه إذا ورد عليك كلام يجوز أن يحمل معناه عن طريق الحقيقة، وعلى طريق المجاز باختلاف لفظه فانظر فإن كان لا مزية لمعناه في حمله على طريق المجاز فلا ينبغي أن يحمل إلا على طريق الحقيقة لأنها هي الأصل، والمجاز هو الفرع ويعدل عن الأصل إلى الفرع إلا الفائدة». (47)

فالتعبير بالمجاز له أثر في النفس، «الكشف دون الكشف كله، والتلويح دون التصريح، وفي الإشارة دون العبارة تلفظاً، لذلك فلن يكون هناك شوق إلى الشيء مع كمال العلم به، وكمال الجهل، بل إذا علم من وجه شوق ذلك الوجه إلى الآخر فتتعاقب الآلام واللذات، ويكون الشعور بتلك العلوم والآلام واللذات أتم، وعند هذا فالتعبير بالحقيقة يفيد العلم، والتعبير بلوازم الشيء هو المجاز لا يفيد العلم بالتمام، فيحصل دغدغة نفسانية، فكان المجاز أطف وأبلغ من الحقيقة» (48)

إن عملية التجوز كانت تسمى الاتساع، ثم لم يكن يد من أن يكون لهذا الاتساع نصيب كبير في طبيعة الأسلوب المجازي. وإذا كان القول في المجاز هو القول في الاستعارة لأنه ليس هو بشيء غيرها، وإنما الفرق أن المجاز أعم من حيث أن كل استعارة مجاز، وليس كل مجاز استعارة، ويقول عبد القاهر الجرجاني: «وإذا نظرنا من المجاز فيما لا يطلق عليه أنه استعارة ازداد خطأ القوم قبحاً وشناعة وذلك أنه يلزم على قياس قولهم أن يكون، إنما كان قوله تعالى: (وهو الذي جعل

لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصر) أفصح من أصله الذي هو قولنا: والنهار لتبصروا أنتم فيه أو مبصرا أنتم فيه: من أجل أنه حدث في حروف مبصر- بأن جعل الفعل للنهار»(49)

وجاء في المزهرة للسيوطي: «والمجاز إما لأجل اللفظ أو المعنى أو لأجلهما كأن تكون الحقيقة ثقيلة على اللسان، إما لتقل الوزن أو تتنافر التركيب أو ثقل الحروف أو عوارضه، أن يكون المجاز صالحا لأصناف البديع دون الحقيقة، وقد يأتي لأجل التعظيم، أو للتحقير أو التلطيف».(50) إلى غير ذلك من المقاصد المطلوبة في الكلام، وكثيرا ما يكون المجاز وسيلة للتعبير عن خيال الفنان والمسرحي كلما طلب ذلك تعويضا عن لفظة لها معنى مناسب لما في خيالهم، إذ قد تكون اللفظة الأولى مستهلكة أو تنفر منها الأسماع أو تأبأها الأذواق، أو يرفضها المؤلف أو الكاتب لفهم معين اقترن بها في الذهن وهو مالا صلة للكلمة به، وفي ذلك يقول ابن الأثير: «وأعجب ما في العبارة المجازية أن تنقل السامع من خلقه الطبيعي في بعض الأحيان حتى أنها ليسمح بها البخيل ويشجع بها الجبان، ويحكم بها الطائش المتسرع، ويجد المخاطب بها عند سماعها نشوة كنشوة الخمرة حتى إذا قطع عنه ذلك الكلام أفاق وندم على ما كان منه من بذل مال أو ترك عقوبة، واقدام على أمر مهول، وهذا هو فحوى السمر الحلال المستغنى عن الفاء والعصا والحيال».(51)

ونعلم أن كل ممنوع مرغوب، وأن «النفس دائما تبحث عن الخفي وذلك طلبا للمعرفة والعلم، أليس الإغراء يكون في بعض على سعة الكلام- وصنف لم يكن».(52)

وقد أكد اللغويون هذا الاتساع بما هو زيادة في الأسماء وخلع أوصاف تخص في الحقيقة الأعيان والجواهر على الأحداث والأعراض بما هو لون من التأكيد.(53)

شأن استعمال لفظ السؤال مع ما لا يصح في الحقيقة سؤاله أو وضع لفظ الواحد للجماعة.

إن المجاز وسيلة من الوسائل الرابطة بين الفكر والطبيعة على نحو ما، وذلك ما يوضح قول القدماء: «استعارة الشيء المحسوس للشيء المعقول» هي الصورة المادية التي تعطي علاقة غير مادية. والتجوز يحدث أثر إنما هو معين على تحقيق وحدة الحياة بلونها المادي والمعنوي.

المجاز يعطي دلالات ومعاني جديدة للألفاظ، لما فيه من اتساع في المعنى، كما أنه يجدد في حياة الألفاظ ويبعد عنها الخمول والرتابة، فنجد الشعراء والأدباء وغيرهم ممن يهتمون باللغة، يستخدمون ألفاظا معينة فيستخدمونها بطريقتهم الخاصة بحيث تختلف مع الأشخاص العاديين. فالشعراء واللغويون حين يستخدمون اللغة فهم يوسعون حيناً، ويضيقون حيناً آخر في مدلولات الألفاظ، وذلك على حسب ما يقتضيه النص أو التعبير الذي يتخذونه لإيصال فكرة معينة، وبذلك يعطون للألفاظ حياة جديدة، ويعطون مصطلحات جديدة للغة.

«فالتجوز في اللغة له أثر كبير في خلق مفردات ودلالات جديدة، وبهذا يعطي اللغة ثروة لغوية تسائر التقدم الحضاري الذي نعيشه وتبعث ألفاظاً جديدة كان قد حكم عليها بالرقود أو الموت، والتجوز في اللغة أسلم للغة وأحفظ لها من إدخال المعربات الأجنبية دون ضبط ودون مراعاة لما قد تؤول إليه لغتنا إذا تركناها نهياً للغات الأخرى تدخل إليها حين تشاء وكيف ما تشاء».⁽⁵⁴⁾

فالتجوز له فائدة على اللغة، فهذا الأخير ساعدها على الثراء، وذلك مما يقدمه من مفردات ودلالات يستعين بها الكاتب أو الشاعر، بحيث أن التجوز مكنه من اختيار كلمة بديلة إذا عجز عن إيجاد اللفظة المناسبة للتعبير عن أفكاره وما يختلج في نفسه. مثل استعمال كلمة جواد للكريم، وأسد للشجاع. وكقول امرؤ القيس واصفا الليل الذي زاد من حدة التوتر وضيق نفسيته:

وليل كموج البحر أرخى سدوله
فقلت له لما تمطى بصلبه
عليّ بأنواع الهموم ليبتلي
وأردف أعجازا وناء بكلل
من هذا نستنتج أن المجاز هو طريق من طرق التوسع، وإثراء اللغة، وسد
أوجه النقص في ألفاظها وتراكيبها.

والباحث في كتب اللغة والأدب والعلوم ومعاجم المصطلحات العربية القديمة
يقف على عدد كبير من الألفاظ التي دخلت العربية بمدلولات جديدة عن هذا
الطريق. (55)

فبذلك أصبح نطاق التعبير في اللغة واسع، مما سهل للمؤلفين والعلماء الكتابة
والتعبير في شتى المواضيع علمية كانت أم فنية، لم تعرفها العربية القديمة من قبل
وعلى هذا تم نقل الألفاظ إلى معان جديدة ثم جرى أيضا نقل عدد كبير من الأسماء
المستحدثة في العلوم والفنون، وخاصة الأسماء التي تتعلق بالمخترعات
والاستكشافات الحديثة.

ونستنتج أيضا أن المجاز واسع، ويكمن أثره في أنه عامل من عوامل التوسع
اللغوي المؤثرة في تطور اللغة ونموها، وهو «عامل عام في سد أوجه النقص في
الألفاظ والدلالات التي نحتاجها في حياتنا اليومية والتي يحتاجها الكتاب». (56)

الهوامش

- 1- أحمد عبد الرحمان حماد، عوامل التطور اللغوي، دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية، دار
الأندلس ببيروت، ط1، 1403هـ، 1983، ص 15.
- 2- جورجى زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، القاهرة، مطبعة الهلال، سنة 1911م، ص 43.
- 3- أحمد عبد الرحمان حماد، عوامل التطور اللغوي، ص 177.
- 4- سورة البقرة الآية 144.
- 5- سورة البقرة الآية 149.
- 6- سورة البقرة الآية 150.

- 7- سورة البقرة الآية 144.
- 8- سورة الأعراف الآية 47.
- 9- سورة يونس الآية 15.
- 10 - سورة القصص الآية 22.
- 11 - عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، القاهرة، دار المعارف، 1968، ص 197-196.
- 12 - أحمد عبد الرحمان حماد، عوامل التطور اللغوي، ص 180.
- 13 - محمود السعران، اللغة والمجتمع، ط 02، الإسكندرية، دار المعارف، 1962، ص 46.
- 14 - محمود السعران، اللغة والمجتمع، ص 47.
- 15 - عبد الواحد وافي، فقه اللغة، القاهرة، ط6، دار النهضة، مصر، ص133.
- 16 - أحمد عبد الرحمان حماد، عوامل التطور اللغوي، ص196.
- 17 - ابن فارس، الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويبي بيروت مؤسسة بدران للطباعة، 1963م، ص 78-81 (لغوي وصناعي: انتقال اللفظ من معناه اللغوي إلى معناه الإصطلاحي)
- 18 - أحمد عبد الرحمان حماد، عوامل التطور اللغوي، ص202.
- 19 - عبد الحميد الشلقاني، رواية اللغة، مصر، دار المعارف، 1970، ص 18.
- 20 - ابن جني، الخصائص، ج2، ص 133.
- 21 - عبد القادر المغربي، الاشتقاق والتعريب، ط2، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر 1947، ص 2 وما بعدها.
- 22 - السيوطي، المزهري، ط1، ص 345 وما بعدها.
- 23 - عبد القادر المغربي، الاشتقاق والتعريب، ص 08.
- 24 - عبد القادر المغربي، المصدر نفسه، ص ن.
- 25 - السيوطي، المزهري، ج1، ص 345.
- 26 - ابن فارس، الصحابي، ص 33.
- 27 - السيوطي، المزهري في علوم اللغة، ج 1، ص 346.
- 28 - السيوطي، المزهري، ج2، ص 4 وما بعدها، ص 42 وما بعدها.
- 29 - السيوطي، المزهري، ج2، ص 42.
- 30 - السيد أحمد خليل، دراسات في القرآن، القاهرة، دار المعارف، 1972، ص 57.
- 31 - أحمد عبد الرحمان حماد، عوامل التطور اللغوي، ص 26.

- 32 - محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، بيروت، دار الكتاب، 1968، ص 137.
- 33 - محمد المبارك، فقه اللغة، ص 19.
- 34 - كمال يوسف الحاج، في فلسفة اللغة، بيروت، دار النهار، 1967، ص 76- ص 77.
- 35 - عبد الرحمان حماد، عوامل التطور اللغوي، ص 27.
- 36 - ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص 173.
- 37 - أحمد عبد الرحمان حماد، عوامل التطور اللغوي، ص 29.
- 38 - أحمد عبد الرحمان حماد، المصدر نفسه، ص 30.
- 39 - عبد القادر المغربي، الاشتقاق والتعريب، ص 11 وما بعدها.
- 40 - السيوطي، المزهري، ص 476.
- 41 - عبد القادر المغربي، الاشتقاق والتعريب، ص 10.
- 42 - أحمد عبد الرحمان حماد، عوامل التطور اللغوي، ص 34.
- 43 - ابن فارس، الصاحبي، ص 227.
- 44 - رفائيل نخلة اليسوعي، غرائب اللغة العربية، ص 50، ص 51.
- 45 - أحمد عبد الرحمان حماد، عوامل التطور اللغوي، ص 40.
- 46 - حلمي خليل، المولد في اللغة، رسالة دكتوراه، 1975، ص 63.
- 47 - ابن الأثير، المثل السائر، تحقيق أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، القاهرة، مطبعة نهضة مصر، 1961، ج1، ص 26.
- 48 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، نشر السيد محمد رشيد رضا، ط2، مطبعة المنار 1331هـ، ص 356.
- 49 - عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- 50 - السيوطي، المزهري، ج1، ص 26.
- 51 - ابن الأثير، المثل السائر، ص 26.
- 52 - السيوطي، المزهري، ص 356.
- 53 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- 54 - أحمد عبد الرحمان حماد، عوامل التطور اللغوي، ص 57.
- 55 - المصدر نفسه، ص ن.
- 56 - م ن، ص 58.

وظائف اللغة بين اللسانيات العامة واللسانية الاجتماعية

أ.دريال بلال

جامعة الحاج لخضر. باتنة. الجزائر

عند ظهور اللغويات المعاصرة ذات السمة البنيوية التي تركز على شكل اللغة¹ ظهر خطاب آخر لا يركز على شكل اللغة بل على وظائفها الاجتماعية. فما الفرق بين تعريف الوظيفة في اللسانيات العامة وتعريفها في اللسانيات الاجتماعية؟ وما هي هذه الوظائف من منظور كلا العلمين؟

إن تعاريف اللغة لا حصر لها عند العرب والغربيين؛ ولكن الذي أكدته الدراسات أن كل التعاريف اللسانية الحديثة قد جمعها حد «ابن جني» (322هـ-392هـ) وهي لا تختلف جوهرًا عنه². ففي خصائصه قال: «أما حدها فأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»³. فأكد «ابن جني» صوتية اللغة ووظيفتها التواصلية في المجتمع، وهو ما تبعه فيه معظم علماء اللغة العربية كـ «القاضي عبد الجبار» (ت415هـ). و«الفيروزبادي» (ت729هـ) و«السيوطي» (ت911هـ)⁴. ويعرفها «ابن خلدون» (ت808هـ) بأنها «عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم»⁵. وهو ما يكشف عن الوظيفة التواصلية؛ إذ يعتبر اللغة نظامًا للتواصل المقصود فهي سلوك اجتماعي، كما يقرر أنها ملكة راسخة واستعداد فطري، ويشير أيضًا إلى تعددية النظم اللغوية وطبيعتها العرفية⁶.

هذه هي اللغة كما أُجملت ثم فُصِّلت في اللسانيات العربية؛ فهي ذات طبيعة صوتية، ووظيفة تواصلية مقصودة أساسًا، آلتها اللسان، أودعها الله في الفطرة

وبالتدريب تستقر وتصبح ملكة، هي متعددة، خاضعة للأوضاع الاجتماعية مؤثرة فيها متأثرة بها⁷.

هذه المحاور وغيرها، هي التي لا يزال البحث الغربي ينهكها بحثا غالبا فيصيب تارة ويخطئ أخرى. ولذا لا تكاد تعثر على تعريف جامع مانع للغة في علم اللسانيات الاجتماعية، إذ ما زال مفهوم اللغة بين أخذ ورد وبين توسيع وتضييق نظرا لبعدها الاجتماعي.

I. وظائف اللغة من منظور اللسانيات العامة:

أيا ما كانت تعريفات اللغة فإن فكرة الوظيفة لا تؤدي دورا إيجابيا في اللسانيات السوسيرية، إذ ليس من وظائف اللغة ومهامها أن تمثل فكرة مستقلة عن اللغة؛ لأن اللسانيات السوسيرية تدرس اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها. لذا فإن بعض خلفاء «سوسير» يؤكدون أن دراسة اللغة هي في البداية بحث عن الوظائف التي تؤديها في التواصل، وهذا يعني أن الاتجاه الوظيفي لن يسمح أبدا بظهور مسلمة «سوسير» التي تؤكد أن في اللغة لا يوجد إلا الاختلاف⁸.

لذا فالوظيفة الاتصالية تقف في مقدمة الوظائف للغة. فعند «فيجوتسكي» «Vygotsky» أن ثمة وظيفة تواصلية اجتماعية للغة حتى في الكلام المتمركز حول الذات (حديث النفس)، وأن الراشد يفكر في المجتمع وفي الآخرين حتى ولو كان وحيداً. وعند «جون ديوي» أن اللغة ليست تعبيراً عن المشاعر والأفكار وإنما هي بالدرجة الأولى وسيلة اتصال بين أفراد جماعة⁹.

ظهرت "نظرية الاتصال" "Communicative Theory" في 1948 ومفادها أن عملية الاتصال تتطلب ستة عناصر (المرسل والمرسل إليه والرسالة والقناة والمرجع والشفرة). ومن هذه النظرية استلهم «رومان جاكبسون» وظائف اللغة خلال دورة الكلام، فنصب على كل عنصر وظيفة لغوية كما يلي¹⁰:

1. المرسل emitter: وتعلق به الوظيفة التعبيرية (الانفعالية) expressive

function، فمن خلالها يظهر المرسل مشاعره وآراءه.

2. المرسل إليه receptor: وتتعلق به الوظيفة التأثيرية (الإفهامية النزوعية، الندائية) conative function، فمن خلالها يسعى المرسل إلى التأثير على المرسل إليه وجلب انتباهه ويظهر في النداء مثلا.

3. الرسالة message: وتتعلق بها الوظيفة الشعرية (الجمالية) poetic function. وهو ما ركز عليه الشكلانيون الروس. فهم يقيّمون العمل الأدبي من خلال النص لا من خلال صاحبه. وسميت الوظيفة الشعرية لأن جاكبسون انصبت دراساته على الشعر أساسا؛ وهذا ليس استبعادا لباقي الفنون.

4. المرجع referent: وتتعلق به الوظيفة المرجعية (الرمزية) referential function، وهي تمثل الظروف التي تحيط بالرسالة من ظروف سياسية واجتماعية وسياق الزمان والمكان (سياق الموقف عند فيرث)

5. القناة Communicative channel: وتتعلق بها الوظيفة الانتباهية (وظيفة إقامة الاتصال) phatic function، وهي الروابط التي تسهل انتقال الرسالة؛ كأداب التحية وكلمة "ألو" فهدفها إقامة الاتصال.

6. الشفرة code: وتتعلق بها الوظيفة ما فوق لغوية (ما فوق لسانية الوظيفة الواصفة، الوظيفة ما وراء لغوية) metalinguistic، وهي النظام الرمزي المشترك بين المرسل والمرسل إليه، ومثالها عمل المعجمي في شرح اللغة باللغة فهي لغة شارحة بالتركيز على المفردة (الشفرة) أو الأصوات.. ففحواها شرح اللغة باللغة، لأن من وظائف اللغة شرح نفسها خلافا لغيرها.

لقد أخذ البحث في وظائف اللغة من الوجهة اللسانية يتطور فهناك من اللسانيين من صنف وظائف اللغة بشكل آخر حسب المواقف التي يحتاج الفرد إلى استعمال اللغة للاتصال فيها وهي مواقف كثيرة، يحصرها «هاليداى» «Halliday» في سبع وظائف أساسية هي¹¹:

1. الوظيفة النفعية: Instrumental function، ويقصد بها استخدام اللغة للحصول على الأشياء المادية مثل: الطعام، والشراب. ويلخصها «هاليداي» في عبارة "أنا أريد" I want.
2. الوظيفة التنظيمية: Regulatory function، ويقصد بها استخدام اللغة من أجل إصدار أوامر للآخرين، وتوجيه سلوكهم. ويلخصها هاليداي في عبارة "افعل كما أطلب منك" Do as I tell you.
3. الوظيفة التفاعلية: Interactional function، ويقصد بها استخدام اللغة من أجل تبادل المشاعر، والأفكار بين الفرد والآخرين. ويلخصها هاليداي في عبارة "أنا وأنت" Me and you.
4. الوظيفة الشخصية: Personal function، ويقصد بها استخدام اللغة من أجل أن يعبر الفرد عن مشاعره، وأفكاره. ويلخصها هاليداي في عبارة "إنني قادم" I come Here.
5. الوظيفة الاستكشافية: Heuristic function، ويقصد بها استخدام اللغة من أجل الاستفسار عن أسباب الظواهر، والرغبة في التعلم منها. ويلخصها هاليداي في عبارة "أخبرني عن السبب" Tell me why.
6. الوظيفة التخيلية: Imaginative function، ويقصد بها استخدام اللغة من أجل التعبير عن تخيلات، وتصورات من إبداع الفرد، وإن لم تتطابق مع الواقع. ويلخصها هاليداي في عبارة "دعنا نتظاهر أو ندعي" Let us Pretend.
7. الوظيفة البيانية: Representational function، ويقصد بها استخدام اللغة من أجل تمثيل الأفكار والمعلومات، وتوصيلها للآخرين. ويلخصها هاليداي في عبارة "الذي شيء أريد إيلاغك به" I have got some thing to tell you.
8. وظيفة التلاعب باللغة: Play function، ويقصد بها اللعب باللغة، وبناء كلمات منها حتى ولو كانت بلا معنى، ومحاولة استغلال كل إمكانات النظام اللغوي. وتلخصها 'وليجا ريفرز' في عبارة "Billy Pilly".

9. الوظيفة الشعائرية: Ritual function، ويقصد بها استخدام اللغة لتحديد شخصية الجماعة، والتعبير عن السلوكيات فيها. ويلخصها هاليداي في عبارة "كيف حالك؟ How do you do?".

II. تعريف الوظائف اللغوية من منظور اللسانيات الاجتماعية:

وظائف اللغة حسب تعريف «فورمان» «Gorman» هي «القرارات الصادرة من سلطات مختصة بقصد المحافظة على لغة أو توسيع مجالات الاستعمال للغة ما في مجتمع معين»¹². وفي الحقيقة تحديد الوظيفة اللغوية لا يكون بإسناد «منزلة» «Statu» بعينها لكل لغة؛ بل لا بد من بُعد هام جادا؛ وهو تصورات الناطقين بتلك اللغة أو اللغات ومواقفهم منها¹³. لذا تحديد الوظائف اللغوية ليس حكرا على الدستور، لأن الوظائف التي تقوم بها اللغة داخل المجتمع تتغير تلقائيا ودون تخطيط في أغلب الأحيان، وذلك لأن اللغة ذاتها تتغير بمرور الزمن. ومثال ذلك تغير اللغة الأم بتبني اللغة العربية في كثير من أجزاء الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بعد الفتح الإسلامي، حيث أصبحت اللغة العربية وظيفة اللغة الأم واللغة الرسمية للدولة¹⁴. فلا غرابة في وجود وظائف غير التي يحددها الدستور؛ كوظيفة التتقيف أو وظيفة الانسجام الاجتماعي أو وظيفة الاندماج النطاقي.. وهي وظائف سأقف على تعاريفها في ثنايا هذا المقال.

من حيث المبدأ يمكن - نظريا - عند رسم السياسة اللغوية التركيز على أي وظيفة تواصلية، أما عمليا فنجد السلطة والنخبة المضادة تستهدف وظائف أخرى للغة تمكنها من توسيع سلطتها أو الحفاظ عليها¹⁵. فما هي وظائف اللغة هذه؟

III. وظائف اللغة من منظور اللسانيات الاجتماعية:

وفقا لتعريف «فورمان» القاضي بأن الوظائف يحددها الدستور؛ فإن «ستيوارت» «Stewart» حدد وظائف اللغة من منظور اللسانيات الاجتماعية فيما يلي:

1- الوظيفة الرسمية¹⁶: ويرمز لها بالرمز (O) من الأبجدية الانجليزية. وهي تعني أن اللغة الرسمية هي معتمدة لأداء كافة الأنشطة الممثلة للدولة، سياسيا وثقافيا. يحددها الدستور. ولها ثلاثة أنواع (مظاهر):

أ- اللغة الدستورية الرسمية (القانونية) وهي التي يصفها الدستور بذلك.
ب- اللغة العملية الرسمية (الإدارية) والتي بها يتم التعامل الإداري وعلى لافتات الطرقات وعلى العملة وطوابع البريد.

ج- اللغة الرمزية الرسمية التي تستعملها الدولة كرمز لها ولقوميتها.
ففي فلسطين المحتلة تعتبر إسرائيل اللغة العبرية هي اللغة الرسمية بالمفاهيم الثلاثة، أما العربية فيها فهي اللغة الرسمية من الناحيتين العملية والقانونية، أما الإنجليزية فهي لغة رسمية من الناحية العملية فقط.

لقد ثبت قبل فترة الاستعمار، أن اللغة العربية كانت هي لغة التعليم ولغة الجمهور في عهد الخلافة العثمانية، في حين كانت التركية هي اللغة الحكومية الرسمية، أما الفرنسية فقد كانت لغة الدبلوماسية، والنخبة الجزائرية أيضا¹⁷. أما التبادل التجاري فشاعت فيه لغة الخليل مثل لغة فرانكا* كما يذكر أبو القاسم سعد الله¹⁸.

فاللغة العربية قبل الاحتلال لم تكن لغة رسمية دستوريا لأن الدستور العثماني (القانون) لا يصفها بذلك بل لم يرد ذكر اللغة العربية إطلاقا في الدستور، لأن هذه الوظيفة كانت مسندة للتركية تناعما مع سياسة التتريك التي تبنتها الخلافة العثمانية وبموجب ضم الجزائر إلى الخلافة¹⁹.

و لكن رغم ذلك ظلت العربية لغة دستورية عملية ورمزية لمعظم الأقطار الإسلامية إذ «قد أوجدت دولة الخلافة العثمانية وحدة بين الولايات العربية التي دخلت في سيادتها، فاحتفظت كلٌّ منها بمقوماتها الأساسية؛ مثل: الدين الإسلامي واللغة العربية، والثقافة العربية الإسلامية، والعادات والتقاليد الموروثة عبر العصور..»²⁰، لذا كان استعمال العربية رمزا لوحدة الهوية بين كل المسلمين ولكن

في ذات الوقت كان دليلاً على كون المواطن الذي يستعمل العربية ليس من الرعية التركية فهو بتعبير أدق لا يحوز على حقوق المواطنة كما يؤكد ذلك الدستور. و في الجزائر باعتبارها إيالة (ولاية) عثمانية كانت تسود فيها تعالم الدستور العثماني ولكن رغم ذلك «اللغة التركية كانت قليلة الاستعمال ومحصورة الانتشار ولا نكاد نجدها خارج الجزائر العاصمة، حتى بين الموظفين العثمانيين في الأقاليم لعلاقتهم المباشرة مع المواطنين. أمّا في العاصمة فقد كانت اللغة التركية مستعملة في مستويات إدارية كالمجلس الرّسمي (الديوان)، الذي كانت تسجّل فيه المحاضر بالعربية والتركية معا على أيدي الكتبة أو الخوجات، وكانت الترجمة هي وسيلة التبليغ بين الحاضرين إذا لزم الأمر. كما أنّ اللغة التركية كانت مستعملة في تكئات الجيش الإنكشاري بالخصوص، لأنه جيش خليط ومن مواليد الأناضول في معظمه. والمعروف أنّ الحروف العربية هي التي كانت مستعملة سواء تعلق الأمر باللهاجات الدارجة أو باللغة التركية»²¹. وهذا ما يؤكد أنّ للعربية قبل الاحتلال وظيفة رسمية عملية ورمزية رغم غياب وظيفتها الرسمية الدستورية.

لكن بعد الاحتلال الفرنسي أسندت الوظيفة الرسمية الدستورية للغة الفرنسية؛ إذ يصفها الدستور الاحتلال بذلك دون العربية، بل وحاولت فرنسا أن تسند للفرنسية حتى الوظيفة الرسمية العملية والرمزية من خلال قرارات وتعليمات فرض التعامل بالفرنسية وإقصاء العربية. كان أهمها²² :

1- «قرار صدر عام 1848 حول اللغة ورد فيه: «إن لغتنا هي اللغة الحاكمة إن قضاءنا المدني والعقابي يصدر أحكامه على العرب الذين يقفون في ساحته... بهذه اللغة، وبهذه اللغة وحدها، يجب أن تكتب جميع العقود، وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا... وأن أهم ما ينبغي أن نعتني به هو السعي لجعل اللغة الفرنسية دارجة وعامة بين الجزائريين الذين عقدنا العزم على استمالتهم، وإدماجهم فينا وجعلهم فرنسيين»..»

2- **تعلّمة موجهة إلى حاكم الجزائر غداة الاحتلال جاء فيها:** «إن إيالة الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا هنا لغة قومية والعمل الجبار الذي يتوجب علينا إنجازهُ هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي بالتدرّج إلى أن تقوم مقام اللغة العربية» ..

3- في عام 1904 صدر قانون يحرم على الجزائريين أن يفتحوا مدرسة عربية أو كتابا لتعلم القرآن ما لم يحصلوا على ترخيص..

ثم جاء قرار «شودان» «Chaudain» وزير داخلية فرنسا في عام 1938 ليؤكد تطبيق القانون السابق الخاص بمنع فتح مدرسة لتعليم العربية..»

فمن خلال تتبع الوضع القانوني للغة العربية قبل الاحتلال وبعده نجد أن في كلا العهدين لا يعكس وضع اللغة الدستوري حالها الميداني في حياة الناس والمجتمع؛ فهي لم تخضع للدسترة رغم كونها لغةً أمًّا لمعظم السكان، لذا بقيت وظيفة اللغة العربية الرسمية محصورة في الوظيفة الرسمية العملية، وإن لم يحددها الدستور أيضا لا قبل الاحتلال ولا بعده. فهي بقيت لغة التعامل اليومي (في البيت والحقل والسوق وتسميات الأشخاص والشوارع والمدن..) ولغة التعليم وحتى الإدارة ولكن بشكل محدود جدا، فيما لا يمكن للفرنسية ولا التركية القيام به كتوثيق بعض من العقود والفتاوى وتعليم القرآن.. ورغم كل هذا الإجحاف التي لاقته خاصة من غريمتها الفرنسية؛ إلا أنها نجحت في التعبير عن الوظيفة الرسمية الرمزية للجزائريين - رغم عدم دسترتها لا قبل ولا بعد الاحتلال - لأن الجزائر كانت منذ الفتوحات الإسلامية تعنز بالانتماء القومي العربي..

فباللغة العربية بهذا الواقع لم تكن لغة رسمية دستورية (بنص الدستور) وكانت لغة رسمية عملية ورمزية بواقع الميدان، وإن لم يحدد الدستور ذلك ولم يعلن عليه أيضا، وهذا ينسحب على فترة ما قبل الاحتلال أما بعد الاحتلال فقد حاول الاحتلال أن يسحب من العربية الوظيفة الرسمية بمفاهيمها الثلاث (الدستورية والعملية والرمزية)، «لأن اللغة الدستورية أو القانونية ترمز إلى

الذاكرة المشتركة وإلى تطلعات المجتمع (أو الأغلبية فيه) وطموحاتهم وإلى ماضيهم ومستقبلهم. فعندما ينظر المجتمع إلى اللغة بأنها رمز عظمته وقوته فإن تحديد تلك اللغة بأنها اللغة الرسمية يعزز شرعية سلطة الحكومة»²³. ولعل هذا ما عجزت عن تحقيقه اللغة التركية وخطت الفرنسية للوصول إليه.

2- الوظيفة الإقليمية²⁴: أي وظيفة الاستعمال الإقليمي وفي حدود الإقليم يرمز لها بالرمز (P) من الأبجدية الإنجليزية. هي لغة تؤدي دور اللغة الرسمية في حدود جغرافية محددة، فلا وظيفة قومية لها. ويمكن أن تتسحب عليها الأنواع الثلاثة للغة الرسمية (الإقليمية الدستورية والعملية والرمزية).

قبل الاحتلال لم يخضع تقسيم الجزائر إلى أقاليم وعمالات على أساس لغوي. لذا لم تكن هذه الوظيفة اللغوية مطروحة على الساحة الجزائرية، لكن بدخول الاستعمار حاول أن يبقي الوضع على حاله مع تلوين هذه الأقاليم والعمالات باللون اللغوي أيضاً؛ فمثلاً عمد إلى تكريس المنطق اللغوي في مجموع بلاد زاوارة وسماها القبائل²⁵، ومثلها منطقة الأوراس. والتوارق.. وقد وجدنا من المبشرين من يكرس ذلك؛ فأحد القساوسة ألقى السلام بالفرنسية على طفل أمازيغي في منطقة القبائل، فرد عليه السلام بالعربية، فقال له القس: "لا تسلم علي بلغة ليست لغتك بل سلم علي بالقبائلية"²⁶.

3- الاستعمال اللغوي المتداول على نطاق أوسع²⁷: يرمز له بالرمز (W) من الأبجدية الإنجليزية. وهي تعني أن اللغة تستعمل للتفاهم عبر الحدود اللغوية بين الأقليات في الأمة الواحدة، ولا يمكن أن تؤدي الوظيفة العمودية (بين الحاكم والرعية) لا الرسمية ولا الإقليمية، لأنها للتواصل الأفقي (بين أفراد الرعية). ومثالها لغة «ماندينجو» * «Mandingo» التي استخدمتها فرنسا الاستعمارية للتواصل مع السكان المحليين.

ففي فترة الاستعمار سيطرت عليه اللغة العربية بمظهرها العامي، والذي لا يمثل الشكل الرسمي للغة العربية. فهي تستعمل للتواصل الأفقي بين لأفراد الرعية

ولا تؤدي وظيفة التواصل العمودي في المقامات الإجلالية مثل اللغة العربية في مظهرها فصيح. وفي الحقيقة تمايز الوظائف اللغوية الاجتماعية للغات في الجزائر، جعل اللغة العربية الفصحى تنفرد بوظيفة اللغة الوطنية، في مقابل ذلك انفردت العاميات والأمازيغية بوظيفة التواصل العادي.

فالتباين الوظيفي بين الفصحى وعامياتها ليس غريبا؛ لأن اللغة الفصحى في أية أمة تلعب دور الملكة التي لا تقبل التعدد، أما اللهجات واللغات الشعبية المحلية فهي تلعب دور الخادمت المساعدة للملكة في الشؤون العادية اليومية غير الرسمية. فإذا كان من الممكن عند الضرورة، أن تقوم الفصحى بأعمال الخادمت، فلا يمكن أن يحدث العكس..²⁸.

4- الاستعمال الدولي²⁹: يرمز له بالرمز (i) في الأبجدية الإنجليزية. وتعني هذه الوظيفة أن اللغة استعمالا في الأغراض الدبلوماسية والتجارة الدولية والسياحة.. لذا تُراعَى مثل هذه اللغات في السياسة التعليمية للدول، باختيار أوسع اللغات انتشارا لتعليمها في المدارس. ومثالها اللغة الإنجليزية في إسرائيل؛ إذ هي لغة تعامل تجاري مع غير إسرائيليين، ومع السُّواح ومواطني الدول الأخرى.. أسندت اللغة الفرنسية في فترة الاحتلال وخاصة في التعامل مع غير العالم العربي. فقد كانت اللغة الفرنسية هي لغة الدبلوماسية والتجارة الدولية والسياحة وغيرها.

ولكن رغم ذلك، ظلت اللغة العربية تتميز بوظيفة الاستعمال الدولي، لأن اللغة العربية الفصحى تتميز بكونها جامعة للهجاتها داخل الدولة وخارجها، بل لا يمكن التعرف على بيئة المتكلم إن تكلم العربية الفصحى. لذا فهي تؤدي وظيفة الاندماج الاجتماعي، إذ تدل على الانتماء القومي والانتماء الوطني³⁰.

5- الاستعمال اللغوي في العاصمة وما حولها³¹: رمزه بالأبجدية الإنجليزية (C). ولها مهمة التواصل في حدود عاصمة الدولة وما حولها، خاصة إذا كانت هذه العاصمة السياسية هي العاصمة الاقتصادية ولها نفوذ اجتماعي كبير، مما

يجعل اللغة أو لغات العاصمة تنتشر في أطراف الدولة. ولا تشكل هذه اللغة ولا وظيفتها محور اهتمام السياسات اللغوية.

يقول «عثمان سعدي» عن لغة العاصميين إبان فترة الاستعمار: «المعروف أن لهجة العاصمة في أي قطر تعتبر أرقى من لهجات المناطق الأخرى وقد شذت مدينة الجزائر التي تعتبر لهجتها أفقر لهجات الجزائر وذلك بسبب معاناتها من الوجود التركي طيلة ثلاثة قرون، ومن الاستيطان الفرنسي والأوربي طيلة قرن وتلت قرن»³². فلم تكن للعاصمة لغة خاصة للتواصل في حدود العاصمة وما حولها، رغم كون الجزائر عاصمة سياسية واقتصادية للدولة ولها نفوذ اجتماعي كبير.

6- الاستعمال الخاص بالمجموعات³³: يرمز له بالرمز (G) من الأبجدية الإنجليزية. حيث توكل للغة مهمة التفاهم الطبيعية بين أفراد مجموعة عرقية وثقافية واحدة؛ مثل القبيلة أو مجموعة مهاجرين مستقرين. وقد ترتقي هذه الوظيفة - بشكل غير رسمي- لتشكل معيار الانتساب والعضوية للمجموعة، فتصبح هذه اللغة عامل تحديد للهوية. ويمكن أن تكون هذه اللغة محور رسم سياسة لغوية، كما حدث مع محاولات إسرائيل جعل العبرية لغة التواصل بين كل الإسرائيليين ومحاولة الأيرلنديين جعل الأيرلندية لغة التفاهم بين الشعب الأيرلندي. وهي وظيفة تضطلع بها العاميات العربية الجزائرية والأمازيغية إبان فترة الاستعمار. قد تتغير وظيفة اللغة نتيجة عوامل نفسية عند الناطقين بها، كالخوف من السخرية أو إخفاء الانتماء القومي³⁴. وهذا ما ظهر جليا عند جماعة النخبة، في اعتمادها للغة الفرنسية في تواصلها اليومي.

ولعل من دوافع مثل هذا السلوك دلالات السخرية والدونية التي تربطها فرنسا باللغات الأخرى. يقول «كالفى»: «ومن هنا فإن كلمة تدل على الجغرافيا ابتداءً ..» تبدأ شيئاً فشيئاً في أخذ معنى اجتماعي تحقيري، فيجرح التمييز الجغرافي إلى السخرية والتحقير، معتمداً في التحقير على اللغة الحاصرة [هي اللغة المحصورة

بين عدد محدود من الناس] للآخر. إن هذا هو الأساس التاريخي لسخرية الفرنسيين مما يسمونه حكايات كورسيكية أو حكايات بلجيكية»³⁵. ومن هذه الإشاعات التي حاصرت بها فرنسا استعمال الجزائريين للغة العربية الفصيحة أو العامية أو حتى الأمازيغية؛ الاستهانة بكل ما هو عربي، فأخذ المعمرون يحقرون من شأن ما هو جزائري وعربي، في القول والعمل والتقاليد والأزياء والمحيط، فصوروا كل ما هو عربي ككائن قبيح، ناقص، غير صالح للتطور ومن ذلك قولهم: «الطبع العربي»، و«العمل العربي»، و«الفوربي العربي»، و«البقرة العربية»، و«التين العربي أو البربري»³⁶. وما هذا التحقير إلا تكريسا لروح الانهزامية، وعملا على إنهاك الجزائري نفسيا بهذه الملفوظات المتجذرة، التي تقتل كل مبادرة نحو عمل لغوي راق في إطار قومي، وتسمم كل أجواء الجغرافيا اللغوية الجزائرية.

7- استعمال اللغة أداة للتعليم³⁷: ويرمز لها باللغة الإنجليزية بالرمز (E). وتعني جعل اللغة أداة للتدريس في المؤسسات التعليمية على المستوى الإقليمي والقومي. ولعل هذه الوظيفة من أهم المحاور التي تنور حولها نقاشات واسعة عند رسم السياسات اللغوية، لأن رسمها يشترك فيه السياسيون ورجال الأسرة التعليمية دون أن نستثني الضغوط التي يمارسها أصحاب المصالح والنفوذ السياسي والاقتصادي في اختيار اللغات التي تكون وسيلة للتعليم. يقول «كوبر»: «من المعتاد أن يفرض المستعمر لغته على النظام التعليمي للمستعمر. ويمكن حدوث مثل هذا الفرض التعسفي حتى في المستعمرات الأحادية اللغة. كما حدث في إيرلندا وتونس. وعلى الرغم من أن السياسة التي تم اتباعها كان لها تبريرا واضحا في حالة المستعمرات المتعددة اللغات كما في الهند والكمرون»³⁸. ولكن فرنسا لم تفرض لغتها فقط بل فرضت حتى ثقافتها. كتب «جورج هاردي» -أحد الفرنسيين- كلمة يقول فيها: «إن أحسن وسيلة لتغيير الشعوب البدائية في مستعمراتنا، وجعلهم أكثر ولاء وأخلص في خدماتهم لمشاريعنا هو أن نقوم بتنشئة أبناء الأهالي منذ الطفولة، وأن نتيح لهم الفرصة لمعاشرتنا باستمرار، وبذلك

يتأثرون بعاداتنا الفكرية وتقاليدنا. فالمقصود إذن باختصار هو أن نفتح لهم بعض المدارس لكي تتكيف فيها عقولهم حسبما نريد»³⁹.

وعادة ما يتم تحديد لغة التدريس بقرار يشترك فيه السياسيون ورجال الأسرة التعليمية؛ إلا أن تحديد هذه الخيارات، كان من مهمة رجال السياسة الفرنسية وبعض من الخبراء الذين قدموا تقاريرهم حول الأوضاع اللغوية وغير اللغوية للجزائر حتى قبل احتلالها. وهذا يعني عدم إشراك الأسرة التعليمية الجزائرية في تحديد لغة التعليم ولا اللغات التي سيشملها التعليم.

8- استعمال اللغة مقررا دراسيا (تعلم لغة ما)⁴⁰: ويرمز له بالرمز (S) في الأبجدية الإنجليزية. وتعني تدريس اللغات التي ليست لغات رسمية ولا إقليمية ويتم تدريسها في مراحل عليا كمرحلة الثانوي والجامعي، على اعتبار أن اللغة الثانية أدرجت للتدريس في المراحل الابتدائية. وقد يخضع اختيار اللغات موضوعا للتدريس لضغوط سياسية واقتصادية وتجارية.. وقد تحركت فعلا جهود فرنسا في هذا الاتجاه وعمدت إلى جعل الدارجة مقررا دراسيا للفرنسيين خاصة في عهد «بيجو»، وأسسوا معهد «الكوليج العربي» في باريس سنة 1839، يكون «مشثلة» للمتريمين المقدر لهم العمل في الجزائر. وقد وصلت نسبة معرفة الكولون بالعربية 20 % من الرجال و10 % من النساء يستطيعون التحدث قليلا بالعربية ولكن لا يكتب بها إلا 1.7 % من الرجال و0.5 % من النساء⁴¹.

9- استعمال اللغة لأغراض أدبية⁴²: وتأخذ رمز (L) في الأبجدية الإنجليزية. وهي تعني استخدام اللغة للكتابات الأدبية والأكاديمية. لقد عملت الإدارة الفرنسية على تكريس لغتها لغة للأدب في كل المدارس التي أنشأتها، وهذا ليس غريبا على إدارة تسعى لإفراغ الأمة الجزائرية من هويتها وإعطائها لغة وهوية جديدتين. لكن الغريب هو التناقض في تعاملها مع التراث الذي وجدته قائما متأصلا في الجزائر عند احتلالها؛ فمن جهة حاولت طمس التراث الذي تحمله اللغة العربية، وهو تراث واسع الانتشار، ومن جهة أخرى حاولت إحياء تراث اللغة الأمازيغية محدود

الانتشار، وهذا هو الضحك على الذقون بحق! لأن جهود فرنسا لإحياء التراث الأمازيغي، ما هي إلا قذح في خيارات أمازيغية قديمة، عندما اعتنق الأمازيغ الإسلام وحملوا تراثه ولغته، وما يزال أحفاد الأمازيغ أوفياء لخيارات الأجداد. كما أن من السخرية تعريف الأمازيغيين بتراثهم وهم أعرف الناس به! لذا ليس غريبا أن يعتبر الأمازيغيون الظهير البربري* قفازا في يد فرنسا⁴³.

10- استعمال اللغة لأغراض دينية⁴⁴: رمزه بالأبجدية الإنجليزية هو (R)•. ويقصد بهذه الوظيفة استعمال اللغة عند أداء الطقوس الدينية والفرائض التعبدية. ويلحق بها أيضا استعمال اللغة في التعليم الديني وتصحيح العقائد والوعظ والإرشاد وقراءة النصوص المقدسة. وهي وظيفة العربية للجزائريين واللغة الفرنسية للفرنسيين، سواء عند قراءة النصوص المقدسة والشعائر التعبدية أو عند التعليم الديني وتصحيح العقائد والوعظ.

ولأهمية هذه الوظيفة اتخذت كل ديانة موقفا حاسما من لغة الدين وكتابتها، فإذا كانت اليهودية والإسلام لا تقبلان إلا لغة الكتاب المقدس، فإن المسيحية تتساهل وتجيز قراءة النص المقدس بلغة القارئ. وإذا كان صحيحا أن الأديان مدينة للكتابة، فمن صحيح أيضا أن الكتابة مدينة للديانات. لأن الديانات السماوية ديانات كتب وأصحابها يسمون أهل الكتاب⁴⁵.

هناك وظائف أخرى للغة تستهدفها السياسات اللغوية عند رسمها، منها تحديد لغة وسائل الإعلام الجماهيري، ولغة ميادين العمل⁴⁶. أي تحديد جدوى استعمال لغة معينة في وسائل الإعلام ومدى تكريسها للوحدة الوطنية للدول، وتلبية حاجات الأقليات العرقية، فضلا عن مدى وفرة الأطقم والبرامج بهذه اللغة، والجدوى من الإنتاج الإذاعي لبرامج بهذه اللغة. أما وظائف اللغة التي تستهدفها السياسات اللغوية في ميادين العمل، فتعني تحديد لغة ميادين العمل وإحداث نوع من التكيف اللغوي وفقا لما تتطلبه فرص العمل المتاحة.

- 1 ينظر - , DeSaussure : cours de linguistique générale, édition Talantikit, Bijaïa , Algérie, 2002. p351. يقول دي سوسير: "إن هدف اللسانيات الوحيد والحقيقي إنما هو اللغة منظورا إليها في ذاتها ومن أجل ذاتها".
- 2 - ينظر أحمد شامية: في اللغة، دار البلاغ للنشر، ط 1، 2002، ص11.
- 3- ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، د ط، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية 1957، ج 1، ص33.
- 4 - ينظر نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، الأردن ط1، 2009، ص3.
- 5 - عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار الجيل، بيروت، د ط، د ت، ص603.
- 6 - ينظر نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص4.
- 7- محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، الكويت، وكالة المطبوعات، 1973، ص 10-9.
- 8 - ينظر أوزوالد ديكرو وجان ماري سشايفر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة منذر العياشي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2007، ص49-53.
- 9 - محمود أحمد السيد: شؤون لغوية، دمشق، دار الفكر، 1989، ص 110.
- 10- ينظر أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ط3، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية الجزائر، 2007، ص148-149. وينظر خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات العامة ط2، دار القصة، الجزائر، 2006، ص30-31. وينظر نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 96-98.
- 11 - Rivers, W.: Communicating Naturally in a Second Language, Cambridge, Cambridge University Press, 1983, p50.
- 12 - روبرت ل كوبر: التخطيط اللغوي والتغيير الاجتماعي، ترجمة خليفة أبو بكر الأسود إصدار مجلس الثقافة العام، ليبيا، د ط، 2006، ص 72.
- 13 - ينظر خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية: ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، د ط، 2007، ص 10.
- 14 - ينظر كوبر: التخطيط اللغوي والتغيير الاجتماعي، ص185.
- 15 - ينظر المرجع نفسه، ص 219.
- 16 - ينظر المرجع نفسه، ص 186-187.

17 - ينظر أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ج1، ص246-247.

• لغة الفرانكا: لغة تقريبية نشأت في 19 ق في البحر الأبيض المتوسط، بنيتها النحوية إيطالية ومفرداتها خليط من دول المتوسط. سميت بـ "Lingua frenca". فهي بسيطة في نحوها ومحدودة في معجمها، وظيفتها تواصلية بين تجار المتوسط، ليست لغة أما للناطقين بها. ينظر: موقع ويكيبيديا: http://fr.wikipedia.org/wiki/Lingua_franca

18 - ينظر أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 1982، ص159.

19- سليم فارس الشدياق، كنز الرغائب في منتخبات الجوائب، ط1، مطبعة الجوائب، 1295هـ - ج6، ص(5 - 27). جاء القانون الأساسي العثماني (الذي أصبح هو الدستور بعد تعطيل الدستور الأول وتعديلاته إذ ترجع بداية الحياة الدستورية في الدولة العثمانية إلى عام 1808م، وهو العام الذي تبوأ فيه السلطان محمود الثاني عرش السلطنة):

المادة الأولى: إنّ الدولة العثمانية تحتوي على الممالك والقطع الحاضرة وعلى الايالات الممتازة وجميعها جسم واحد لا يمكن تفريقه أو تجزيته بوقت من الأوقات أو بسبب من الأسباب. المادة الثالثة: إن السلطة السنية العثمانية الحائزة على الخلافة الكبرى الإسلامية تكون لأكبر أولاد سلالة آل عثمان بحسب الأصول القديمة.

المادة الثامنة عشرة: يشترط في مطلب استخدام التبعة العثمانية في خدمات الدولة أن يعرفوا

اللسان التركي الذي هو لسان الدولة الرسمي.

المادة السابعة والخمسون: مذكرات الهيئتين [المجلس العمومي يحتوي على هيئتين إحداهما تدعى هيئة الأعيان والثانية هيئة المبعوثان] تكون باللغة التركية واللوائح المقتضى إجراء المذاكرة عليها تطبع صورها وتتنوع على الأعضاء قبل يوم المذاكرة

المادة الثامنة والستون: إنّ الذين لا يجوز انتخابهم لهيئة المبعوثان هم: .. الشرط ثالثاً: الذين لا يعرفون اللغة التركية. فهؤلاء لا يمكن أن يكونوا أعضاء في هيئة المبعوثان. ويشترط في الانتخابات التي تجرى بعد أربع سنين على من يلزم أن يكون مبعوثاً أن يقرأ اللغة التركية وأن يكتب بها أيضاً على قدر الإمكان..

20 - إسماعيل أحمد ياغيفي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط2، مكتبة عبيكان جدة، السعودية، 1998، ص239

21- الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية برئاسة 'عثمان سعدي'. موقع ويكيبيديا:

http://ar.wikipedia.org/wiki/الجمعية_الجزائرية_للدفاع_عن_اللغة_العربية

22 - "محنة اللغة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي ومعاناتها بعد الاستقلال": عبد القادر فضيل اللغة العربية، عدد ممتاز، ص257. وينظر للاستزادة " محاربة الاحتلال للغة والثقافة العربية وموقف الحركة الوطنية": محمد لحسن زغبي، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص386-387. نقلا عن سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر: عبد القادر حلوش، ص198-199-143-144-150-159.

فلا إشارة في البنود الدستور العثماني والفرنسي إلى دستورية اللغة العربية خلافا للتركية والفرنسية. •

23 - كوبر: التخطيط اللغوي والتغيير الاجتماعي، ص189.

24 - ينظر المرجع نفسه، ص192.

25- عمدت فرنسا إلى تغيير الاسم الأصلي للقبائل من 'زواوة' إلى الاسم اخترعته الإدارة الاستعمارية وهو 'القبائل' 'Kabyles'. ينظر رابح لونيبي: دعاة البربرية في مواجهة السلطة، دار المعرفة، الجزائر، د ط، د ت، ص5.

26- يسلي مقران: الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920-1945، دار الأمل الجزائر، د ط، 2007، ص120. نقلا عن الشهاب: م5، ج5، جوان 1929، ص15.

27 - ينظر كوبر: التخطيط اللغوي والتغيير الاجتماعي، ص193-194.

• مجموعة من اللغات الأفريقية المستخدمة في كل من مالي وغينيا وسيراليون.

28 - ينظر أحمد بن نعمان: فرنسا والأطروحة البربرية، ط2، دار الأمة، الجزائر، 1997 ص172.

29 - ينظر كوبر: التخطيط اللغوي والتغيير الاجتماعي، ص196-197.

30 - ينظر خولة الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، ص20.

31 - ينظر عبد الفتاح عفيفي: علم الاجتماع اللغوي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د ط 1995، ص174.

32 - عثمان سعدي: "اللغة العربية ولهجاتها المتفرعة عنها: مقارنة بين عامية الجزائر قبل الاستقلال وبعده"، الفصحى وعامياتها، أعمال الندوة الدولية، 2007، ص124.

33 - ينظر التخطيط اللغوي والتغيير الاجتماعي: كوبر، ص198.

34 - ينظر عبد الفتاح عفيفي: علم الاجتماع اللغوي، ص129.

• جماعة النخبة هي جماعة رخوة الشخصية، لم يتبنوا أفكار الغرب، ووسائل عيشه، وطريقته في العمل وثقافته وتعليمه فقط، بل أرادوا أيضا أن يحولوا المجتمع الجزائري إلى مجتمع أوروبي. ينظر أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية 1900-1930، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ط4، 1992، ج2، ص161.

35 - Louis-Jean Calvet : La Guerre des Langues et les politiques linguistiques ;, Hachette Littératures, France, 1999, p84 .

36 - ينظر صالح بن القبي: "مآسي اللغة العربية طيلة الاحتلال الاستعماري ومآثرها"، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص211.

37 - ينظر كوبر: التخطيط اللغوي والتغيير الاجتماعي، ص201-203.
38 - المرجع نفسه، ص204.

39 - أحمد الإبراهيمي: من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية 1962-1972، ترجمة حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د ت، ص16. نقلا عن جورج هاردي.
«une conquête morale : l'enseignement en A.O.F»

40 - ينظر عبد الفتاح عفيفي: علم الاجتماع اللغوي، ص176.

41 - ينظر أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، ج2، ص63. (الهامش).

42 - ينظر كوبر: التخطيط اللغوي والتغيير الاجتماعي، ص211.

• الظهير البربري قانون استصدرته الإدارة الاستعمارية بالمغرب الأقصى، إلا أن الصدور الرسمي له كان في 16 مايو 1930، وهو يعطي صلاحيات قضائية عرفية وينشئ محاكم تستند في أحكامها إلى العادات والتقاليد البربرية لا إلى الشريعة الإسلامية. ينظر "وضعية العربية خلال العهد الاستعماري": محمد المبلي، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص60. وينظر رابح لونيبي: دعاة البربرية في مواجهة السلطة، ص31.

43 - ينظر المرجع نفسه، ص143. وينظر صالح بلعيد: في الهوية الوطنية، دار الأمل الجزائر، د ط، 2007، ص105. قال صالح بلعيد: "حاول [الاستعمار] أن يتخذ الأمازيغية قميصا يثير به النعرات".

44 - ينظر كوبر: التخطيط اللغوي والتغيير الاجتماعي، ص212.

• يبدو أن الرمز سقط سهوا في المرجع الذي اعتمده، والأرجح أنه حرف R من كلمة Religieuse.

45 - ينظر عبد الرزاق بنور: الكتابة في المتوسط، د ط، منشورات زرياب، الطباعة العصرية الجزائر، 2004، ص119.

46 - ينظر كوبر: التخطيط اللغوي والتغيير الاجتماعي، ص216.

علاقة السيمياء باللسانيات

أ. لخضر روجي

جامعة المسيلة

الملخص: مما لا شك فيه أنّ للسيمياء علاقة بحقول معرفية مختلفة كالسيكولوجيا والسوسولوجيا والمنطق والبلاغة وغيرها من العلوم، فقد أضحت مجالا معرفيا يتسم باللامحدودية.

وما يهّمنا في هذا البحث أن نقف وقفة متأنية عند علاقتها باللسانيات. فهل نعتبرها فرعا من اللسانيات تتطفل على مفاهيمها ومبادئها ومصطلحاتها؟ أم أنّ هذه الأخيرة ليست سوى فرعا من هذا العلم، والقوانين التي ستكتشفها السيميولوجيا ستكون قابلة لأن تطبق على اللسانيات؟ وماذا قال اللسانيون في ذلك ما دامت السيمياء معبرا منهجيا وإجرائيا لحملة من الروافد المعرفية؟ وهل الأطروحة السوسيرية التي تدعو إلى إدماج اللسانيات في السيميولوجيا لها جانب من الصحة؟ ألا تتعارض مع سيميولوجيا الدلالة وفق أفكار رولان بارت (R.Barthes) ومع اتجاه التواصل وما ذهب إليه مونان (Mounin) وبيسنيس (Buysens) وبريطو (Prioto)؟؟

هذا ما سنحاول توضيحه إن شاء الله في مداخلتنا الموسومة بـ: علاقة السيمياء باللسانيات.

Abstract

Certainly, Semiotics which has become a limitless area of study has different relations with other scientific domains as psychology, sociology, logic and eloquence .In this present study we shall depict the importance of semiotics in relation to linguistics-Hence, do we consider it as a branch of linguistics and we curiously imbibe from its

concepts, principles and terminology in use? Or do we consider this latter as the only one of its branches and the rules that semiotics will discover be applicable on linguistics? What did linguistics say in this respect since semiotics had been the adequate expressive operational method from the imported knowledge? Was the Sausserian approach and vision in favour of the integration of linguistics within semiotics feasible and true? Will not it clash with the evidenced semiotics issued by Roland Barthes and the communicative orientation depicted by Mounin, Buysens and Prioto? This is the main idea we want to convey through this research entitled Linguistics and Semiotics relationship.

مفهوم السيميائيات:

تجمع عدة كتابات ومعاجم لغوية وسيميائية على أن السيميائيات هي ذلك العلم الذي يعنى به بدراسة العلامات. وبهذا عرفها فردينانذ دوسوسير⁽¹⁾، وجورج مونان⁽²⁾، وكريستيان مينز⁽³⁾، وتزفيتان تودوروف⁽⁴⁾، وجوليان غريماص⁽⁵⁾ وجون دوبوا⁽⁶⁾، ورولان بارث⁽⁷⁾، وآخرون ويبدو ان تعريف مونان أوفى هذه التعريفات و أوحدها، إذ يحدد السيميولوجيا بأنها "العلم العام الذي يدرس كل أنساق العلامات (أو الرموز) التي بفضلها يتحقق التواصل بين الناس"⁽⁸⁾. وانطلاقا من هذا التعريف، يمكن أن نستخلص أمورا ثلاثة كالتالي:

إنّ السيميولوجيا علم من العلوم، يخضع لضوابط ونواميس معينة كما هو شأن بالنسبة إلى العلوم الأخرى. وهذا ما تنص عليه الكثير من التعاريف (سوسير - تودوروف - بارث...) ولكن ثمة تعريفات وآراء أخرى تنتظر إلى السيميولوجيا باعتبارها منهجا من المناهج، أو وسيلة من وسائل البحث. بحيث يشير مونان في موضع آخر إلى أن السيميولوجيا "وسيلة عمل" (Instrument de travail)⁽⁹⁾، أي منهج من مناهج البحث. ومن هنا، نقف على شيء من الخلط في كلام مونان، فهو تارة يذكر السيميولوجيا على أنها علم عام يدرس العلامات المختلفة، وتارة يذكرها بوصفها منهجا بحثيا. ونجد هذا الخلط بارزا عند بعض الدارسين العرب الذين

يعرّفون السيميولوجيا بأنها علم أو دراسة (أي منهج) في الان نفسه. يقول صاحبها (دليل الناقد الأدبي) مثلاً: "السيميولوجيا (السيميوطيقا)، لدى دارسيها، تعني علم أو دراسة العلامات الإشارات دراسة منظمة منتظمة"⁽¹⁰⁾. والسيميوطيقا عند شارلز ساندرس بيرس Charles Sanders Peirce نظرية شبه ضرورية أو شكلية للعلامات⁽¹¹⁾. إذا، فنحن أمام ثلاثة آراء، رأي يعتبر السيميائيات علماً، وثان يجعلها منهاجاً، وثالث يتخذها نظرية عامة.

ويبدو أنّ الدارسين العرب المعاصرين يتعاملون مع السيميائيات باعتبارها منهاجاً يساعد على فهم النصوص والأنساق العلامية وتأويلها. وهكذا، فإننا نقرأ بين الحين والآخر دراسات وأبحاثاً يتوسل أصحابها بالسيميائيات - بصفتها منهاجاً في المقاربة و الدراسة -، ومن ذلك بعض دراسات محمد مفتاح وعبد الملك مرتاض التي تعمد إلى تجريب المنهج السيميائي في تشريح نصوص أدبية قديمة وحديثة... ومن الدارسين الذين يعتبرون السيميائيات منهاجاً نجد الدكتور عبد الرحمن بوعلي الذي يقول في تقديمه لأحد كتب دولودال G.Deledalle التي ترجمها إلى العربية: "تحتل السيميوطيقا - أو السميولوجيا - مكانة هامة ضمن المناهج النقدية. ولئن كان البعض يعتبرها مجرد موضة من الموضات، فإن هذا الوصف لم ينقص من قيمتها كمنهج علمي وإجرائي في الدراسات الأدبية وتحليل النصوص الأدبية بالدرجة الأولى، بل ولم يزد المشتغلين بها إلا مقاومة لكل نزعة تبسيطية. ولذلك فهي في الاعتبار الصحيح منهج لا يمكن التقليل من أهميته أو التقليل مما يمكن أن يفتحه من سبل وىفاق جديدة تنير مجاهل التعبير الأدبي والفني"⁽¹²⁾... الخ.

إنّ السميولوجيا تدرس العلامات وأنساقها، سواء كانت هذه العلامات لسانية أم غير لسانية. يقول لويس بريطو Luis J.Prieto إنّ السميولوجيا هي "العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات أياً كان مصدرها لغويًا أم سنياً أم مؤشرياً"⁽¹³⁾. وسنقف في المبحث الموالي عند العلامة وأنماطها بإضافة.

إنّ للعلامات أهمية كبرى، تتجلى في كنهها تحقق التواصل بين الناس في المجتمع. يقول كولن شيري Colin Cherry: "لا يوجد تواصل بدون نسق مكون من دلائل"، ذلك بأن التواصل الإنساني - في جوهره - إنما هو "تبادل الدلائل (أو العلامات) بين بني البشر كما يقول السيميائي الإيطالي روسي -لاندي F.Rossi- (Landi) في كتابه (Linguistics and Economices) ونظرا إلى أهمية التواصل هذه، فقد نشأ في مجال السيميائيات اتجاه يعنى بالتواصل والإبلاغ. وسنقف عنده بتفصيل لاحقا.

موضوع السيميائيات: يتضح من خلال قراءة التعاريف المعطاة لمفهوم السيميائيات أنها جميعها تتضمن مصطلح "العلامة" (Le signe) وهذا مؤشر واضح على أن العلامات وأنساقها هي الموضوع الرئيس للسيميائيات. وهذا ما أكده جون دوبوا حين قال: "السيميولوجيا ولدت انطلاقا من مشروع دي سوسير. وموضوعها هو دراسة حياة العلامات في كنف المجتمع"⁽¹⁴⁾. وقد بينت جوليا كريستيفا (Julia Kristeva) موضوع السيميائيات حين قالت: "إن دراسة الأنظمة الشفوية وغير الشفوية - ومن ضمنها اللغات بما هي أنظمة أو علامات تتمفصل داخل تركيب الاختلافات - هي ما يشكل موضوع علم أخذ يتكون، ويتعلق الأمر بالسيميوطيقا"⁽¹⁵⁾. ومن هنا ندرك موضوع السيميائيات، إذ تهتم بالعلامة من حيث كنهها وطبيعتها، وتسعى إلى الكشف عن القوانين المادية والنفسية التي تحكمها وتتيح إمكانية داخل التركيب"⁽¹⁶⁾. ترى ما العلامة؟ وما أنواعها؟

من الصعوبة بمكان إعطاء تعريف واحد نهائي للعلامة. ومرد ذلك إلى كونها مفهوما قاعديا أو أساسا في جميع علوم اللغة"⁽¹⁷⁾، وإلى كونها "كيانا (entité) واسعا جدا"⁽¹⁸⁾ من جهة. ومن جهة ثانية، تعزى صعوبة تعريف العلامة تعريفا موحدا قارا إلى "الخلفيات الفكرية التي يستند إليها"⁽¹⁹⁾ في التعريف، وهي خلفيات

إيستولوجية ونظرية تختلف من معرف إلى العلامة. وسنحاول في هذا الصدد تقديم بعض التعريفات التي عرف بها مفهوم العلامة عند الغربيين خاصة. إن العلامة (أو الدليل) عند سوسير كيان سيكولوجي مجرد قوامه عنصران متلازمان (دال ومدلول). يقول: "العلامة اللسانية وحدة نفسية ذات وجهين... وهذان العنصران مرتبطان ارتباطا وثيقا، ويتطلب أحدهما الآخر... ونطلق على التأليف بين التصور (Concept) والصورة السمعية (Image acoustique) العلامة. ونقترح الاحتفاظ بكلمة "علامة" (Signe) لتعين المجموع، وتعويض التصور "بالمدلول" (Signifié) والصورة السمعية "بالدال" (Signifiant)⁽²⁰⁾.

ويقصد سوسير بالدال (أو الصورة السمعية) الانطباع النفسي للصوت، في حين يقصد بالممدلول (أو التصور) التمثيل الذهني للشيء. ويرى سوسير أن العلامة بين وجهي العلامة لا تقوم على المشابهة والمناسبة، بل تقوم على الاعتبار. ومن هنا فإن مفهوم العلامة عند سوسير مفهوم ضيق، لأنه يجعل علاقة الدال بالممدلول اعتباطية (Arbitraire)، مستثنيا من ذلك ما كان رمزا (Symbole) أو إشارة (Signal). ثم إن سوسير أهمل علاقة العلامة بالواقع، وأوضح أن قيمة العلامة إنما تكمن في علاقتها بما يجاورها من العلامات الأخرى.

وإذا كان تعريف سوسير للعلامة تعريفا تدريجيا، فإن تعريف ميخائيل باختين (Mikhail Bakhtine) يرتبط أشد الارتباط بالفعل السيميائي، لغويا كان أم غير لغوي. إذ يرى أنّ العلامة تتناسب والإيديولوجيا، فحيث توجد العلامة توجد بالضرورة - الإيديولوجيا. وليس كل علامة إيديولوجية ظلا للواقع فحسب، وإنما هي - كذلك - قطعة مادية من هذا الواقع. إن العلامات (أو الدلائل) لا يمكن أن تظهر - حسب باختين - إلا في ميدان تفاعل الأفراد، أي في إطار التواصل الاجتماعي. وبذلك، فوجود العلامات ليس أبدا غير التجسيد المادي لهذا التواصل ومن هنا، يخلص باختين إلى ثلاث قواعد منهجية، هي:

عدم فصل الإيديولوجيا عن الواقع المادي للعلامة.
عدم عزل العلامة عن الأشكال المحسوسة للتواصل الاجتماعي.
عدم عزل التواصل وأشكاله عن أساسهما المادي.
ويعرف أمبيركو إيكو (Umberto Eco) العلامة بأنها "حركة (geste) تستهدف تحقيق التواصل، ونقل معنى خاص أو حالة شعورية لبث إلى مستقبل⁽²¹⁾. ويميز إيكو في كتابه "نظرية السيميوطيقا" بين الدلائل الطبيعية والدلائل غير المقصدية... الخ

مفهوم السيميولوجيا: إنّ السيميولوجيا هي العلم الذي يدرس العلامات، وحياة الدلائل داخل الحياة الاجتماعية. وقد يشكل فرعاً من علم النفس الاجتماعي وبالتالي فرعاً من علم النفس العام، ويسمى هذا العلم السيميولوجيا، ومن شأن هذا العلم أن يطلعنا على كنه هذه العلامات، وعلى القوانين المادية والنفسية التي تحكمها، وتتيح إمكانيات تفصلها داخل التركيب، وإن اللسانيات ليست سوى فرعاً من هذا العلم على حد قول دي سوسير.

- لغويا: السيميولوجيا مشتقة من الكلمة اليونانية ومعناها العلامة والسيميولوجيا مركبة من: وتعني العلامة والذي هو العلم، إذن السيميولوجيا في مجموعها تعني علم العلامات⁽²²⁾.

- اصطلاحاً: السيميولوجيا علم خاص بالعلامات، هدفها دراسة المعنى الخفي لكل نظام علاماتي فهي تدرس لغة الإنسان والحيوان وغيرها من العلامات غير اللسانية باعتبارها نسق من العلامات مثل علامات المرور وأساليب العرض في واجهة المحلات التجارية والخرائط والرسوم البيانية والصور وغيرها.

ومن آباء هذا العلم هم: اللساني القدير "فرديناد دي سوسير"، وهو أول من عرف هذا العلم بأنه: علم يدرس حياة العلامات في الوسط الحياة الاجتماعية "وكذلك" شارل سندارس بيرس الذي يقول: "أعني بعلم السيمياء مذهب الطبيعة

الجوهرية والتنوعات الأساسية للدلالة الممكنة⁽²³⁾، وكذلك "رولان بارت" الذي يقول: "استمدت السيميولوجيا، هذا العلم الذي يمكن أن نحدده رسمياً بأنه علم الدلائل (العلامات) استمدت مفاهيمها الإجرائية من اللسانيات"⁽²⁴⁾. وهناك نوعان من السيميولوجيا تعنى الأولى بدراسة أنظمة التواصل، أي العلامات المستعملة للتأثير في المستقبل، وتعني الثانية بدراسة أنظمة العلامة التي تشكل الموضوع الأساسي لأي بحث سيميولوجي⁽²⁵⁾.

وتشرئب السيميولوجيا اليوم إلى التبنّي نفسها بما هي علم للمعاني إنها منهجية العلوم التي تعالج الأنساق الدالة⁽²⁶⁾.

وكما ذكرنا سالفاً أن السيميائيات هي العلم الذي يدرس العلامات في كنف الحياة الاجتماعية، وبهذا عرفها تودروف وكريماس، وجوليا كريستيفا وجون دوبرا وغيرهم.

وتعتبر السيميائيات علماً حديثاً بالمقارن مع غير من العلوم الأخرى، ولم تظهر ملامحها المنهجية إلا ما بداية القرن العشرين، وقد كانت ولادتها مزدوجة، ولادة أوروبية مع (دي سوسير) وولادة أمريكية مع (ش.س.بيرس) فقد أشار الأول إلى ولادة علم جديد، يدرس العلامات وقال في هذا الصدد: "يمكننا أن نتصور علماً يدرس حياة الدلائل داخل الحياة الاجتماعية، علماً قد يشكل فرعاً من علم النفس الاجتماعي، وبالتالي فرعاً من علم النفس العام وسوف يسمى هذا العلم بالسيميولوجيا من الكلمة الإغريقية SEMEION، وتعني "الدليل" ومن شأن هذا العلم أن يطلعنا على كنه هذه الدلائل، وعلى القوانين التي تحكمها ولأن هذا العلم لم يوجد بعد فإنه لا يمكننا التكهن لمستقبله، إلا أن له الحق في الوجود وموقعه يحدد سلفاً، وإن اللسانيات ليس سوى فرع من هذا العلم العام والقوانين التي ستكتشفها السيميولوجيا ستكون قابلة لأن تطبق على اللسانيات".

وفي الفترة نفسها كان "شارل.س.بيرس" منشغلا بإبراز معالم هذا العلم الجديد دون معرفة مسبقة يتنبأ دي سوسير .

وبالإضافة إلى هذين الأصليين اللذين أشار إليهما مختلف الدارسين لتاريخ السيميائيات بمن فيهم جوليا كريستيفا، ولقد أضاف "تودروف" منابع أخرى تتمثل في مجهودات (أرنست كاسيرر) وخاصة كتابه:

LA PHILOSOPHIE DES FORMES SYMBOLIQUES

فقد أورد كاسيرر مبادئ أساسية تبرز اللغة في صورة أوسع من مجرد أداة للتواصل. ويضيف تودوروف إلى هذه المنابع الجهود المتمثلة في اتجاه اللسانيات البنيوية ورواها أمثال "سابير" وتروبسكوي، وجاكسون وهيلمسليف وبنفيسست وقد حاول هذا الاتجاه أن يهتم بالمنظور السيميولوجي مع تحديد مكان اللغة داخل الأنظمة الأخرى للدليل.

وهذا باختصار أبرز المنابع التي تنبأت واهتمت بموضوع العلامة أو الدليل داخل الحقل اللساني المعاصر وقد كان لها دور فعال في تأسيس السيميولوجيا وإبراز حدودها ومجال اشتغالها.

موضوع السيميولوجيا: إنَّ "جوليا كريستيفا" توضح موضوع السيميائيات في قولها: ("إن دراسة الأنظمة الشفوية وغير الشفوية ومن ضمنها اللغات بما هي أنظمة أو علامات تتمفصل داخل تركيب الاختلافات...) ومن خلال هذه المقولة وما أشار إليه "دي سوسير" سابقا ندرك موضوع السيميائيات، فهي تهتم بالعلامة من حيث كنهها وطبيعتها وتسعى إلى الكشف عن القوانين المادية والنفسية التي تحكمها وتتيح إمكانية تفصلها داخل التركيب.

وقد لاحظت "جان مارتيني" أنَّ مختلف التعاريف حول السيميائيات تتضمن مصطلح علامة وهذا مؤشر واضح على أن موضوع السيميائيات هو العلامة كما أوردنا سالفًا.

فما هي العلامة؟ وما هي أقسامها؟ وكيف تؤدي معناها داخل السياقات اللغوية والاجتماعية؟.

ويعرف دي سوسير العلامة (الدليل) بأنه وحدة نفسية ذات وجهين مرتبطين ارتباطا وثيقا، ويتطلب أحدهما الآخر. أما الوجهان فهما التصور concept والصورة السمعية image acoustique، والتأليف بينهما يعطينا: الدليل الذي يتوفر على مكونين اثنين الدال والمدلول وبالجمع بينهما يتكون المعنى إلا أن العلاقة بين الدال والمدلول تعتبر اعتباطية عند (دي سوسير) أما بالنسبة "لبيرس" فمن الصعب أن تفهم دراسة للعلامة لأنها وردت في سياق منطقي دقيق يعتمد كثرة التفرعات والتقسيمات التي تخرج بنا من غرضنا ومع ذلك يمكن القول إن "بيرس" يعرف الدليل بأنه "عبارة عن شيء ما يعوض شيئا معينا بالنسبة لشخص معين، أي أنه يخلق في ذهن هذا الشخص دليلا معادلا أو دليلا أكثر تطورا يسميه "بيرس" مؤول للدليل الأول ويعوض هذا الدليل شيئا معينا هو ما يسميه موضوع الدليل.

المدرسة الفرنسية: ممثلة بـ: دي سوسير (1857-1914) والتي يعتبر آدم السيميولوجيا في هذه المدرسة، والواضع الأول لها قاصدا بها العلم الذي يعتبر بعموم الدلائل⁽²⁷⁾، وهي مشتقة من (Sémion) اليونانية، والتي تعني الدليل حيث نشأت السيميولوجيا في أحضان اللسانيات ونظرية المعرفة، وقد عمد هذان المجالان المعرفيان إلى ربط هذا العلم بنظرية الأنساق. وقد عرفها باعتبارها العلم الذي يدرس حياة الدلائل داخل الحياة الاجتماعية⁽²⁸⁾.

وبهذا فقد أعلن دي سوسير منذ حوالي ثمانين سنة أنه ينبغي تشكيل علم جديد اقترح له اسم: "السيميولوجيا". حيث قال: "يمكننا أن نتصور علما جديدا يدرس حياة الدلائل داخل الحياة الاجتماعية، علما جديدا يدرس حياة الدلائل داخل الحياة الاجتماعية، علما قد يشكل فرعا من علم النفس الاجتماعي وبالتالي فرعا من علم النفس لعام، وسوف نسمي هذا العلم بالسيميولوجيا، ومن شأن هذا العلم أن يطلعنا

على كافة هذه الدلائل وعلى القوانين التي تحكمها، ولأن هذا العلم لم يوجد بعد فإنه يمكننا التكهن بمستقبله إلا أنه لا الحق في الوجود، وموقعه محدد سلفاً، إن اللسانيات ليست سوى فرع من هذا العلم العام والقوانين التي ستكتشفها السميولوجيا ستكون قابلة لأن تطبق على اللسانيات...⁽²⁹⁾.

لقد جاءت محاولات عالم اللغة السويسري فارديناند دي سوسير ليغنى بالمستوى البرغماتي للسميولوجيا، أي بفعالية العلامة وتوظيفها في الحياة العملية وفي عمليات الاتصال ونقل المعلومات، وذلك من خلال دعوته إلى علم السميولوجيا. فيقول: "اللغة هي نظام من العلامات التي تعبر عن الأفكار ولذلك فهي متشابهة لنظام الكتابة الأبجدية للصم، للقوس والذاهب الرمزية لصيغ المعاملة للإشارات العسكرية... الخ"⁽³⁰⁾. كما أن السميولوجيا ذات أصل سويسري، تعتبر الدليل وحدة ذات طابع ثنائي، إذ يتكون الدليل من دال ومدلول توطرهما علاقة اعتباطية فلا علة لوجود الدال إلا بمدلوله، والدليل اللساني يختلف عن الدليل الطبيعي من حيث كون الأول يقوم على الاعتباطية⁽³¹⁾.

إنّ هدف السميولوجيا الأول هو اكتشاف المدلولات واختراعها ونرى أنه لا نستطيع إرسال دال بدون أن يكون بواسطة المدلول.

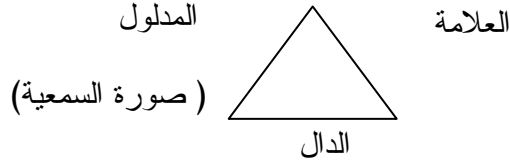
فالمقاربة السميولوجية بالضرورة تحليل المدلولات، وهي تتميز بدراسة التفكير البسيكولوجي، والذي يتطلب تفكيراً مباشراً حول الدلالات التصنيف الأكاديمي الفرنسي للدليل حسب التصنيف الذي أقامه بايلون كريستيان وبول فابر يمكن دراسة أنواع الدلائل الأربعة في شكل ثنائيتين رئيسيتين⁽³²⁾: القرينة والإشارة من جهة و الدليل و الرمز من جهة أخرى.

علاقة السيميائيات باللسانيات: لقد اعتبر دي سوسير هذا العلم أهم من اللسانيات وذلك واضح في قوله: "إن اللسانيات ليست سوى فرع من هذا العلم العام والقوانين التي ستكتشفها السميولوجيا ستكون قابلة لأن تطبق على اللسانيات وقد تمثلت نقطة

انطلاق دي سوسير في المقارنة بين موضوعي هذين العلمين، فإذا كانت اللسانيات تتخذ اللغات الطبيعية موضوع لها فغن السيميولوجيا تتجاوز هذا المجال إلى دراسة مختلف العلامات داخل الحقل الاجتماعي سواء كانت تلك العلامات لغوية أو غير لغوية لكن "بارث" سيعكس الوضعية، وسيعتبر السيميولوجيا فرعاً من اللسانيات يقول في مقدمة كتابه "عناصر السيميولوجيا"

يجب من الآن تقبل إمكانية قلب الاقتراح السوسيري، ليست اللسانيات جزءاً ولو مفضلاً من السيميولوجيا، لكن الجزء هو السيميولوجيا باعتباره فرعاً من اللسانيات. وذلك راجع عند بارت إلى أن كل نظام سيميولوجي يمتزج حتماً باللغة فلا يمكن الانفتاح على الأنظمة السيميولوجيا الأخرى كالطعام واللباس ودراسة خصائصها إلا عبر الدليل اللساني الذي يقسم دوالها ويعين مدلولاتها ومن ثم يبدو لنا في نهاية أن تخيل نظام من الصور أو الأشياء التي تستطيع مدلولاتها أن تتواجد خارج اللغة أمر يزداد صعوبة أكثر فأكثر.

مفهوم العلامة اللسانية عند دي سوسير: إن أول ما أثار انتباه دي سوسير في رؤيته للعلامة اللسانية هو ذلك التعريف التقليدي الوارد في الدراسات اللغوية السابقة، وهكذا أن حتى الكلمة هو ذلك الترابط الذي يجمع بين اسم وشيء، ويرى دي سوسير أن هذا التعريف بسيط وبعيد عن الحقيقة، وقدم التعريف بديل برئ فيه أن العلامة اللسانية لا تربط شيئاً باسم بل مفهوم (تصور le concept بصورة سمعية image acoustique وإتماماً لبناء هذا التصور الجديد عند علامة يرى أنها كيان تفسير ذو وجهين وهما التصور concept ويضع له مصطلح البدائي le signifiant والصورة السمعية يضع لها مصطلح المبدأ (le signifie) واتخاذ هذين الوجهين تنشأ العلامة يحدد لها دي سوسير مثلث



concept

عبارة عن الدال والمدلول

الفرق بين اللسان والكلام: هذان المفهومان مختلفان حسب دي سوسير فاللسان هو الوجه المؤسس للغة والمشكل عبر التاريخ أما الكلام فهو أداء فردي ومجال التركيبات الخطابية الحرة والمرتبطة بإمكانية الفرد.

الدال والمدلول: تتكون العلامة من الدال والمدلول الدال هو صورة صوتية والمدلول هو صورة المفهومية.

التعيين والتضمين: يوجد مستويات في كل علامة المستوى التعيين وهو لمحة الأصلي للعلامة كما يحدده قاموس أما المستوى التضمين وهو معنى إضافي أو التلوين في معنى الأصلي الذي يتم بفضل الاستخدام الاجتماعية للغة بتضمين يمكن الولوج إلى تعددية المعنى في النص.

وفي الأخير يمكن القول أنّ اللسانيات ليست سوى فرع من هذا العلم العام والقوانين التي ستكتشفها السيميولوجيا ستكون قابلة لأن تطبق على اللسانيات.

فإذا كانت اللسانيات تتخذ اللغات الطبيعية موضوعا لها، فإنّ السيميولوجيا تتجاوز هذا المجال إلى دراسة مختلف العلامات داخل الحقل الاجتماعي، سواء كانت تلك العلامات لغوية أم غير لغوية.

الهوامش

-
- 1 - Ferdinand De Saussure: Cours de linguistique générale, éd Payot, Paris, 1972, P 33
 - 2 – Georges Mounin: Introduction a la sémiologie, éd de Minuit, Paris, 1970, pp7 et 11
 - 3- Christian METZ : Essais sémiotiques, éd KI INCKSIECK, paris, p 13
 - 4- Tzvetan Todorov et Oswald Duerot : Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, éd du Seuil Paris 1972, P 113

5- Algirdas Julian Greimas et Joseph courtés : Sémiotique, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, HACHETTE, Paris 1979, PP 336 et 339.

6- Jean Dubois et Autres : Dictionnaire de linguistique, Librairie LAROUSSE, Paris 1973, P434.

7-Roland Barthes: Eléments de sémiologie, Revue "Communications", N 4, 1964, P92.

8- النص الفرنسي للتعريف هو :

La science générale de tous les systèmes de signes (ou de symboles) grâce auxquels les hommes communiquent entre eux, G.Mounin : Introduction, à la sémiologie, P11.

9- G .Mounin : Introduction, à la sémiologie, P10.

10 - د. ميجان لرويلي ود. سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي (بيروت)، ط2 (2000)، ص 106.

11- جيرار دولودال: السيميائيات أو نظرية العلامات، ترجمة: د.عبد الرحمن بوعلي، مطبعة النجاح الجديدة (البيضاء)، ط1 (2000)، ص 21.

12- نفسه، (من التقديم)، ص 5.

13- L.J.Prieto: "La sémiologie", in "Encyclopédie de la pléiade", le langage, paris, 1988, N.R.F,p 93.

14- J.Dubois et Autres: Dictionnaire de linguistique, P434.

15- J.Kristeva: Le langage cet inconnu, coll. Points, 1981, partie 3, p 292.

16 - د. محمد إقبال عروي: السيميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير، مجلة "عالم الفكر"، الكويت مج 24، ع3، 1996، ص 191.

17- T.Todorov et O.Ducrot: Dictionnaire encyclopédique..., P131.

18- U.Eco : Sémiotique et philosophie du langage, Traduit par Myriem Bouzaher, Press Universitaires de France, Paris, éd 1 (1988), P 26.

19- د. حنون مبارك: دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر (البيضاء)، ط1 (1987)، ص 37.

20- F.De Saussure : Cours de linguistique générale, PP98 et 99.

21- U.Eco : Sémiotique et philosophie du langage, P 20.

22- أ.كندار توف (تر) جلال/الأصوات والإشارات، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972، ص 10.

23- عادل فاخوري/ السيمياء عند بيرس، مجلة الدراسات العربية، العدد6، أبريل 1986، ص15.

24- رولان بارت (تر)، د.عبد السلام بن عبد.العالى/ درس السيميولوجيا، ط2، المغرب، دار توبقال للنشر، 1986، ص20.

25- محسن وعزيزي / السيميولوجيا الإشكال الاجتماعية عند رولان بارت، مرجع سبق ذكره ص60.

- 26- د. عبد المالك مرتاض / بين البسمة والسيمائية، مجلة تجليات الحداثة، جامعة وهران
معهد اللغة العربية، ع2، يونيو 1993، ص 14.
- 27- مارسيلو داسكال، مرجع سبق ذكره، ص4.
- 28- مارسيلو داسكال، المرجع نفسه، ص4.
- 29- مارسيلو داسكال، مرجع سبق ذكره، ص15.
- 30- مارسيلو داسكال، المرجع نفسه، ص4.
- 31- خيرة عون: السيمائية والسيمولوجيا، مجلة العلوم الإنسانية، ع/17 جوان 2002، ص204.
- 32- baylon christian Fabre poul. initiation ala linguistique. Paris. ed. fernand nathan
1975 p3.

المرجع والإحالة في النص الروائي

أ. خليفة عوشاش

جامعة المسيلة

الرواية والتخييل: تمحض مصطلح التخييل في الدراسات النقدية السردية للدلالة على السمة التي تطبع أجناسا أدبية معينة كالرواية والقصة، وهو رديف لمصطلح السرد غير الإحالي⁽¹⁾ لأنه تمثيل يصف كيانات غير موجودة في عالم الناس ولذلك كانت أولى خصائصه مفارقتها للواقع وإن حاكاه، وهو بعبارة أكثر وضوحا سرد غير مرجعي.

ويكون السرد غير مرجعي انطلاقا من أن العالم الذي يصفه مقتطع من الواقع لكنه غير معين، ولذلك فهو عالم ضبابي لا أمارات فيه لأسماء تحدد المكان والشخصيات، فنجد أناسا وأثانا ووسائل وحركة، دون ضبط لطبيعة المكان ولطبيعة حركة القائمين في هذا المكان.

ورغم أن السرد قد يحيل على أماكن موجودة في التاريخ يمكن التثبيت من وجودها المادي، إلا أنها تتشكل في السرد على هيئات مخصوصة، ليست مما ينتبث من صحته ونظامه، إذ للمكان في النص منطقته الخاص، ونظامه الذي به يختلف عن نظام المكان في الواقع.

ومادامت الأحداث والشخصيات والأماكن القائمة في النص لا تحيل على أحداث وقعت على سبيل الحقيقة، أو أشخاص وجدوا في التاريخ، أو أماكن لها موقع جغرافي محدد في الواقع فإن الدلالة الإحالية أو المرجعية للسرد، دلالة جوفاء، من ابتداع الروائي، لا تنطبق مع الحقيقة الخارجية.

ويمكن تصنيف النصوص التخيلية من ناحية علاقتها بالواقع باعتبارها محاكاة له أو مختلفة عنه، ومن ناحية إمكان حدوث هذا المتخيل صنفان؛ نصوص سردية

متخيلة أقرب إلى أن تحاكي الواقع ونصوص تنزع إلى الابتعاد عنه، ابتعادا يخرجها من حدود المعتاد والإمكان⁽²⁾ ولكن بتفاوت من نص لآخر، ومن مقطع لآخر حسب إبداعية الروائي، وأهدافه، ودرجة الإغرابية والعجائبية التي يبني عليها نصوصه.

ثم إن إثارة مسألة العلاقة بالمرجع في هذا الإطار هو إثارة لمفهوم العوالم المتخيلة *mondes fictionnels* والممكنة *mondes possibles*، ومصطلح العالم الممكن يقتضي أن تكون في الكون السردى المتخيل كائنات يمكن أن توجد في عالم الحقيقة، كما يقتضي أن تكون الأعمال التي تقوم بها الشخصيات منتظمة في منطوق شبيه بالمنطق الذي ينتظم الحياة العادية⁽³⁾ فأبو الفتوح الشرقاوي في رواية "قضية أبو الفتوح الشرقاوي" لنجيب الكيلاني لا يوجد في التاريخ أي في عالم الناس، ولكنه ممكن الوجود فيه، والسرد الواقعي من أبرز الأمثلة على هذا النوع. ولكن عندما تخترق الممكنات بما هو من قبيل المستحيل والخارق، يفترق العالم المتخيل عن العالم الممكن، مثلما هو الحال وبدرجة عالية في روايات الخيال العلمي.

ومن هذه الصفة التي للعالم المتخيل يتأتى اللبس المرجعي، والمقصود باللبس ما يعترى العلاقة بين اللغة والمرجع المحال عليه من غموض يجعله قابلا لتأويلات شتى، لا ينفي الواحد منها الآخر خصوصا، وأن الرواية المعاصرة تنزع إلى تعميم مراجعها لأنها ليست نازعة إلى تقديم عالم من العوالم المحددة، كما كان شأن الرواية الواقعية التي تحكمت فيها نزوات الراوي أو الشخصية حيث لا تقدم الأشياء في النص إلا من زوايا نظر أحدهما أو كليهما⁽⁴⁾.

ويعود الفضل إلى التقسيم الذي قام به موريس **Charles W. Morris** للغة إلى أبعادها الثلاثة في تحديد كيفية تَمَدُّلِ هذه الأخيرة عبر البعد التركيبي المائل في المستوى الشكلي، والبعد الدلالي القائم في العلاقات بين العلامات اللغوية وما تشير إليه، وأخيرا، البعد التداولي القائم في العلامات اللغوية، أثناء الاستعمال الفعلي لها

بين المتكلمين⁽⁵⁾ حيث يعيد هذا التقسيم الاعتبار للمرجع، أو السياق إلى ظاهرة اللغة بعدما تجاهلته الدراسات المعيارية التي تستشف الدلالة من البعد التركيبي الشكلي المنزوع السياق رغم ضرورة توفر المرجع في تكوين اللغة عند طرفي عملية التواصل؛ المرسل والمرسل إليه.

المرجع الكاتب والإحالة: يتفق العلماء على أن المرجع عنصر أساسي في دلالة اللغة⁽⁶⁾ فبالنظر إلى مخطط الإرسال التي وضعه مهندسو الاتصال والذي يتألف من؛ المرسل والمرسل إليه والرسالة والقناة والشيفرة والمرجع⁽⁷⁾ يظهر أن المرسل يشكل الرسالة انطلاقاً من المرجع، كما أن المرسل إليه يقوم بتفسير الرسالة نفسها بناءً على تصوره للمرجع نفسه وترسباته في ذاكرته، وهو أمر يزيد من أهميته في بناء التواصل الإنساني بأشكاله المتنوعة.

ولعل ما درجت العادة عليه في علم الدلالة - منذ ظهور كتاب ريتشاردز وأوجدن C. K. Ogden I. A. Richards سنة 1923 الموسوم بـ "معنى المعنى The Meaning of Meaning" من تجسيد لظاهرة المعنى في الشكل المثلث الذي عرف بالمثلث الدلالي⁽⁸⁾، يكون أكثر وضوحاً في تمثيل أهمية المرجع في العملية الدلالية أين يظهر المثلث وقد ترابطت أطرافه وفق علاقتين إحداها غير مباشرة، تربط بين الدال والمرجع، مثلت فيه قاعدة المثلث بخط متقطع للدلالة على الاعتبارية، والأخرى مباشرة تربط بين المرجع والمدلول من ناحية والمدلول والدال من ناحية أخرى⁽⁹⁾ وبإمعان النظر في العلاقات بين عناصر هذا المثلث يتبين أن المرجع هو أساس تشكل المعنى، بل إن صعوبة استحضاره مادياً أحياناً، واستحالته في أحيانٍ أخرى كان دافعاً قوياً للتفكير في استعمال الدوال بديلاً عنه ولولا هذه الصعوبة لكان شأن الدوال أقل مما هي عليه.

وإذا نظرنا إلى اللغة على أنها نظام من العلامات المنتظمة تقوم بوظيفة اتصالية، وإلى العلامة على أنها البديل التعبيري الذي ينوب عن إحضار الأشياء المعبر عنها، لوجدنا أن «المعلومات التي يمكن أن يحملها المتكلمون تتعلق بتأويلهم

للعالم الخارجي حيث يكونُ التأويلُ نتيجةَ تفاعلٍ بين الدخُلِ الخارجي والوسائلِ الصالحة لتمثيله داخليا»⁽¹⁰⁾، حيث يبني المتكلمون الدلالات اللغوية انطلاقاً من التصورات الذهنية التي يملكونها، وفق كيفية التقاطهم للتجربة، وكيفية الالتقاط هذه، ما هي إلا ذلك «التنظيم الذي يسبغه المتكلم على العالم من حوله».⁽¹¹⁾

ولما كان موضوع التواصل اللساني ككل يتعلق - أحياناً - بالحقيقة اللسانية المفهومة من عوامل السياق الخارجية، كان من الواجب على المتكلمين أن يكونوا قادرين على تعيين الأشياء والأمور التي تكونها تلك الحقيقة؛ فالشيء أو جملة الأشياء مما تشير إليه عبارة ما، هي مرجعها، وكل نص هو دائماً قول بصدده شيء معين، وهذا الشيء الذي هو موضوع النص يمكن أن يكون واقعا ماديا أو كيانا سيكولوجيا.⁽¹²⁾

إلا أن ما يثير الانتباه، هو أن هذه الحقيقة التي تحيل إليها اللغة/ النص ليست بالضرورة هي هذا الشيء الموجود في العالم الخارجي المحدد تمام التحديد سيكولوجيا كان أو ماديا، فقد تبين من خلال الدراسات المختلفة أن للغة القدرة على إنشاء عالم تشير إليه، لا ينطبق مع عالم الواقع، لأنها تستطيع أن تخلق عالم القول المتخيل أو الجزيرة المتوهمة ذات الكنوز من الذهب تكون موضوعا مرجعيا ممكننا مثلها مثل، محطة القطار في مدينة ليون.⁽¹³⁾

وبعبارة أكثر دقة، لها القدرة على إنتاج بنيات لغوية من نوع معين؛ بنيات مولدة، يتحكم في إنتاجها ما هو تصوُّري، بناؤها يكون على مستوى التمثيل الذهني، وليس على مستوى ما يربط بين المرجع في العالم الواقعي الحقيقي غير اللغوي⁽¹⁴⁾ فالعالم الحقيقي لا يؤثر في اللغة إلا بصورة غير مباشرة؛ لأن دوره ينحصر في كونه يساعد ويعمل على تحفيز السيرورات التنظيمية الإدراكية التي تنتج العالم في الذهن⁽¹⁵⁾ كما أن العبارة لا تشير بشكل مباشر إلى المرجع الموجود في العالم الخارجي، لأن للمتكلم / الكاتب كيفية في الإحالة على المرجع بواسطة اللغة.⁽¹⁶⁾

من هذا المنطلق تتأسس الإحالة في شكل علاقة تربط بين العبارات في اللغة والأشياء الموجودة في العالم، كما تعكسها سيرورات التنظيم الإدراكي أي؛ كما تعكسها البنية التصورية بوصفها مستوى تمثيلاً للواقع الخارجي⁽¹⁷⁾ وعليه فإن البنية الدلالية هي بنية التصور الذهني في مجال اللغة⁽¹⁸⁾ وتبعا لذلك كانت الإحالة «إحالة على الواقع الذهني»⁽¹⁹⁾ للمتكلم/الكاتب وليس على مراجع فعلية حقيقية وواقعية.

القارئ والإحالة: استنبط غرايس H. Paul Grice سنة 1967 قوانين الخطاب المشتركة بين الناس مُدعماً البعد التداولي للخطاب، وهي قوانين أرجعها إلى مبدأ عام يتحكم في قواعد التواصل والمحادثة هو مبدأ التعاون، وموَدَى هذا المبدأ أن يكون القائل مندرجا في تبادل قولٍ ناهضاً بوظيفة أداء ما هو مطلوب إليه أثناء التحاور، وأن يكون متحكما في كمية القول فلا يزيد فيها ولا ينقص، بحسب ما يقتضيه المقام من صدق قائم على تقديم المعلومات الموثوق بها، أي أن المتكلم لا يذكر إلا ما هو ملائم لمقام القول.⁽²⁰⁾

ونظرا لمثالية مشروع غرايس رأى كل من سبيربر وولسن **Dan Sperber** و **Deirdre Wilson** أن قانون الملازمة - وهو أحد قوانين نموذج غرايس - هو المبدأ الأساس في العمل التخاطبي من الناحية التداولية، ويذهبان في نظريتهما إلى أن الفكر البشري قائم على نظام ينحو دوما إلى ما هو مفيد وملائم، ودون ذلك لا يكون التعاون بين المتخاطبين، وقوام مبدأ الملازمة عندهما أن تُبيّن الطريقة التي بها تتفاعل الدلالة اللغوية للملفوظ مع المقام الذي تنتزل فيه.⁽²¹⁾

وحيثما نعابن الظاهرة السردية نجد أنها تقوم بمجملها على قاعدة التواصل وانطلاقا من بناء عالم افتراضي ذي محمولات ثقافية، تكون المادة السردية المكتوبة مناقلة بين الطرفين الأساسيين في عملية التواصل المرسل والمرسل إليه على سبيل الإنتاج والتلقي والتأويل والمشاركة في فضاء متخيل الأحداث والوقائع.

ولا شك أن الكاتب الذي يستطيع جذب القارئ إلى النص، ويلقي به في عمق الصياغات اللغوية وأساليب التعبير المتاحة، يقدم إنجازا روائيا ناجحا، لأنه يتحدث عن الآخرين ويصف الغرابة التي تقلقهم، وتمسّ الفضاء الذي يتحركون فيه، تماساً بين اليوميّ والخاص، والظرف الاجتماعي والسياسي المتحكم بالمصائر، وبناء وتركيباً لعوالم كاملة، ومغامرة لارتداد الحدود القصوى وملامسة لتخوم الغرابة إنه رصدٌ حقيقيّ واستجلاءٌ للحظة الفنية والفكرية وتسجيلٌ للمواقف الخالدة بصدده ما تكابده الذات الإنسانية، لكنه في الأخير لا يركن إلى معينٍ؛ إنه يرتفع بالواقعيّ المعين إلى الإنساني، مرتكزا على ما يوفره له المتخيل من ثراء يتجلى على مستوى الرؤية والشكل والدلالة، في إطار قانون الملاءمة.

ولما كان نص التخييل - كما سبق - لا يثير مراجع معينة يمكن التحقق منها في العالم أو السياق الخارجي، كان ضروريا أن نطرح السؤال التالي: كيف يتوق المتلقي/القارئ في المعلومات التي ينقلها الروائي بواسطة النص في غياب المراجع؟

تفيدنا القراءات المتعددة لهذا النوع من النصوص أن العالم الذي يصفه النص يُبنى ويُشيد انطلاقاً من وجود تمثيلٍ موسوعي يستوعب كل العناصر التي تنتجها الحياة، ويشغل كمعادل ثقافي لعالم التجربة المدركة في أبعادها الحديثة وبعبارة أخرى فإن الكون النصي التخيلي لا يمكن أن يدرك أو أن تُفك رموزه إلا من خلال وجود تشابه بين التجربة المؤسسة فنياً أي؛ البنية المخيالية المحددة من خلال قوانين الفن، وبين التجربة الفعلية الواقعية التي تتحكم فيها قوانين التجربة المحسوسة، إن هذا التشابه هو الذي يسمح بإمكانية الحديث عن شيء اسمه التواصل بين المبدع والمتلقي. (22)

وعليه فإن القارئ بوصفه مشاهداً أو ناظراً إلى عالم تخيلي يفسر ما يحدث على نحو ما يماثل كثيراً ما نفعله في الحياة الاعتيادية، ملائماً بين الأحداث والشخصيات والحوافز (23) يقرأ الرواية كما لو كانت صحيحةً، وذلك بمعنى أنه

يضمن الوجود للشخصيات والأحداث، ويقوم بحل السلسلة اللفظية المشفرة التي يرسلها المؤلف في ضوء تجربته الثقافية فيشكل بذلك عالما خياليا، يستمد دلالاته من المضمرة النصية التي تستثار بعلاقاتها المختلفة - غير المحددة - بالمرجع⁽²⁴⁾ مميزا في إطار هذا العالم الحقائق من الأكاذيب، و«وجهات النظر الموثوق بها من تلك التي لا يمكن التعويل عليها».⁽²⁵⁾

إنه بطريقة ما، يدخل وعلى نحو طوعي في معاهدة غير ملزمة مع الكاتب الذي لا يفرض عليه آراء أو أهدافا شخصية، بل ويطلب منه، مقابل ذلك، أن يضع جانبا أهدافه العملية وأن يظهر للوجود عالما خياليا⁽²⁶⁾ حيث لا وجود للمراجع الواقعية، بل هناك فقط ذاتية القارئ، والكلمات المنصوبة كالأشراك تُثير المشاعر وتعكس الاتجاهات.

ولأنه في عالم التخيل تتوقف الحقيقة التي تمنح للواقع الخارجي، فإن القارئ قبل أن يفتح الكتاب/ الرواية يتطلب منه الدخول في الميثاق السردية الذي ينص من بين ما ينص عليه أن الموقف المقدم في النص السردية يتميز عن الموقف الخارجي؛ ميثاق يضع القارئ أمام التخيل لا الواقع الحقيقي وفي عالم إيقاف المرجعية خاصة أساسية فيه.⁽²⁷⁾

عالم أسماء الأعلام فيه لا مرجعية لها لكنها تتماهى مع الواقع العيني، وأحداث وأوصاف تتضافر في لغة واضحة إلى هذه الأعلام وكأنها حقيقة يمكن التأكد منها وظواهر تركيبية وتداولية، مما يدخل في موضوع الإحالة تعرف عند محلي الخطاب بالعناصر الإشارية، تدل على المكان الفعلي ويعتمد استعمالها على معرفة مكان التكلم، يكون معروفا للباث والمتلقي قريبا وبعدا، بل ويستحيل على الناطقين باللغة أن يستعملوا أو يفسروا كلمات مثل هذا وذلك وهنا وهناك ونحوها. إلا إذا وقفوا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة من المكان.⁽²⁸⁾

هناك أيضا ما يعرف بالإشارات الزمانية وهي كلمات تدل على الزمان محددة السياق بالقياس إلى زمان التكلم، لأن زمان التكلم هو زمان الإشارة الزمانية في

الكلام ، فإذا لم يعرف زمان التكلم التبس الأمر على القارئ⁽²⁹⁾ فقد تكون دالة على الزمان الكوني الذي يفترض سلفا تقسيمه إلى فصول وسنوات وأشهر وأيام وساعات... إلخ وقد تكون دالة على الزمن النحوي أو قد يتطابقان في سياق الكلام.⁽³⁰⁾

يحدث هذا في النص رغم أنه محروم من الحالة المرجعية التي تؤمن للفعل اللساني تحققه التام ورغم أنه يبدو أمام اللغة التي يحاكيها أو يتطفل عليها كأنه «نص منزوع كلياً من السياق»⁽³¹⁾ فليس للنص التخيلي من سياق إلا النص نفسه.⁽³²⁾

إن فعل السرد في التخيل هو الذي يزود القارئ بالنص، والعلاقة السردية هي التي تدمج سلسلة من التعليمات التي ينبغي أن تساعد في إنتاج المضامين المقدّمة من جديد، بدلاً من أن تشير مباشرة إلى الدال الذي تنقله. فبقدر ما يستوعب الروائي العالم الواقعي الممكن وبقدر ما تتعدد تجاربه في التقاطه، بقدر ما يستطيع من خلال الخطابات المتداولة والمألوفة في راهنه الزماني والمكاني خلق جدلية جديدة في بنيتها وإحالتها⁽³³⁾ وإذا كان من الضروري أن تقوم العوالم الممكنة باستيعاب كل ما يوفره العالم الواقعي، فإن العالم الذي يحتوي كائنات جديدة لا يمكن أن يتحدد كعالم ممكن تجاه العالم الواقعي.⁽³⁴⁾

في اللغة الاعتيادية نحن نعني ما نقول إننا جادون مخلصون وملتمزمون بحقيقة تعبيراتنا⁽³⁵⁾ في حين لا توجد نظرية لحد الآن استطاعت أن تظهر أن التخيليين يعنون ما يقولون، وإن كانت لهم طريقة خاصة في القول داخل الأدب نفسه⁽³⁶⁾ لأن خطاباتهم / نصوصهم عطلت فيها القوانين الاعتيادية، فهي «أعمال دون مترّيات من النوع المعتاد يستخدم الكاتب محاكاة أفعال الكلام، كما لو يقوم بها شخص ما»⁽³⁷⁾ أفعال كلام متظاهر بها انطلاقاً من اتفاق متبادل بين الكاتب والقارئ⁽³⁸⁾ وهي عملية شبيهة بالكذب الذي يتكون من انتهاك أحد القوانين التنظيمية لعمل

أفعال الكلام، إلا أن التخيل أكثر تعقيدا من الكذب بكثير، ولكنه يبدو في نظر من لم يفهم التقاليد المنفصلة للتخيل كذبا لا غير. (39)

ولما كان النص السردى ينهض على منطق الإيهام بصدق المسرود، وكانت مقولة الصدق لا تستلزم بالضرورة التماثل أو المطابقة بين محتويات النص والواقع الخارجي، فإن صدق النص ينبثق من إحلال الخيالي الإبداعي في ذهنية المسرود له لتبقى هناك مسافة محدودة بين متواجبات الواقع، وبين فنية احتواء هذا الأخير بناءً على فنية سياق الخارج ليست ولا يمكن أن تكون الخارج نفسه بما يتضمنه ويحويه.

يضاف إلى ذلك أن معنى الرواية الخاص يرتبط بالحكاية التي تحكيها، وأن هذه الأخيرة لا تكتسب طابعها الحقيقي إلا بروائيتها أي بالفني فيها، لذا يبدو الحقيقي بنسجه الروائي أثرًا لمرجع تحيلُ عليه الرواية وترتقي به، في الوقت نفسه، إلى ما هو أبعد من هذا المرجع، أي؛ إلى ما هو إنساني عام. (40)

وبهذا تكون الرواية أكثرَ نُظم التمثيل اللغوية قدرة على إعادة تشكيل المرجعيات الواقعية والثقافية وإدراجها في السياقات النصية، وأقدرها على تشييد عوالم متخيَّلة توهمُ المتلقي بأنها نظيرة العوالم الحقيقية، يعاد تركيبها بما يوافق حاجاتها الفنية، ووظيفتها التمثيلية، وبهذه الميزة تكون الرواية قد تخطت مسألة تثبيت أركان العوالم التي تحيل عليها، وتكون أمينة في التعبير عن قيمها الثقافية بما يجعلها تدرج في علاقة محاكاة لها، وقد يُفسر هذا جانبا من الحيوية والتجدد اللذين تنتصف بهما ؛ لأنها لم تقرن نفسها بحقيقة مطلقة، ولم توقر بصورة كاملة عالما ثابتا، فتمثيلها المتنوع للعالم والذي لا يخضع لمعايير ثابتة، جعلها نوعا سرديا حيا يتبادل استشفافاتٍ لا نهائية مع المغذيات المحيطة به، سواء أكانت مرجعيات حقيقية كالوقائع والأحداث، أم ثقافية كالأنظمة الفكرية والعقائدية والأخلاقية والاجتماعية، وأقامت رهاناتها على العلاقات التفاعلية والتواصلية بين العوالم الخارجية والعوالم النصية، على سبيل التمثيل السردى؛ تمثيلا يعاد فيه إنتاج

المرجعيات وفق أنساق متصلة بشروط النوع الأدبي، ومقتضيات الخصائص النصية، وليس امتثالا لحقيقة المرجع.

ختاما يمكن القول إن الحديث عن العلاقة بين المراجع والعبارات الإحالية في النصوص السردية **علاقات مصطنعة** يعبث المرسل بالصورة الحقيقية بعد تمثّلها تمثلا جيدا، يضيف إليها ما يشاء ويحذف ما يشاء، فيحيله إلى عالم لا يمكن التحقق من وجوده الفعلي إلا في ضمن الاتفاق الحاصل بين المرسل والمتلقي المعروف بميثاق السرد في إطار النوع الأدبي القائم على أساس التخيل؛ وهو أمر لا شك جدير بأن يثير الكثير من التساؤلات عن وضعية المرجع وطبيعته ضمن تداولية الخطاب السردية.

الهوامش:

- 1- ينظر، معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون، دار محمد علي للنشر، تونس، ط 1 2010، ص: 74.
- 2- Thomas Pavel, Univers de la fiction, Paris, Seuil, 1988, P : 63.
- 3- René Rivara, La langue du récit introduction a la narratologie énonciative, Paris L'harmattan, 2000, p:28.
- 4- ينظر، محمد الخبو من خصائص اللبس المرجعي في الرواية تصريح بالغياب لمنتصر قفاش أنموذجا، اعمال ندوة البحث في التداولية الإحالة وقضاياها في ضوء المقاربات اللسانية والتداولية كلية الآداب والعلوم الانسانية بالقيروان مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط1، 2008، ص: 156.
- 5- ينظر، معجم السرديات، ص: 80.
- 7- ينظر، مريم فرنسيس في بناء النص ودلالاته محاور الاحالة الكلامية، وزارة الثقافة، دمشق 1988، ص: 16- 17.
- 8- نفسه ص: 26.
- 9 - نفسه، ص: 14.
- 10- عبد المجيد جحفة، مدخل إلى علم الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 1، 2000 ص: 3.

- 11- نفسه، ص: 110.
- 12- ينظر، تودوروف وآخرون، المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، تر، عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، 2000، ص: 43.
- 13 - نفسه، ص: 33.
- 14- ينظر، مدخل إلى علم الدلالة الحديثة، ص: 110.
- 15- نفسه، ص: 110.
- 16- نفسه ص: 111.
- 17- نفسه ص: 111.
- 18 - نفسه، ص: 109.
- 19 - نفسه ص: 111.
- 20 - ينظر، معجم السرديات، ص: 81.
- 21 - نفسه، ص: 82.
- 22- ينظر، النص السردى، ص: 33.
- 23- ينظر، ولاس مارتين، نظريات السرد الحديثة، ترجمة حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة 1998. ص: 206.
- 24- ينظر، عبد الله ابراهيم، التلقي والسياقات الثقافية، منشورات الاختلاف، الجزائر ط2، ص: 14.
- 25- نظريات السرد الحديثة، ص: 211.
- 26- نفسه ص: 210.
- 27- ينظر، أساليب السرد في الرواية العربية، ص: 218.
- 28- ينظر، حمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية 2002 ، ص: 21.
- 29- نفسه، ص: 19.
- 30- نفسه، ص: 21.
- 31- فيرناد هالين وآخرين، بحث في القراءة والتلقي، ترجمة محمد خير البقاعي، مركز الانماء الحضاري، حلب، ط1، 1998، ص: 38.
- 32- نفسه، ص: 39.
- 33- ينظر، محمد سالم الأمين الطلبة، مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر دراسة نظرية تطبيقية في سيمانتيقا السرد مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، ط1، 2008، ص: 107.

34- Univers de la fiction. P : 63.

35- ينظر، نظريات السرد الحديثة، ص: 236.

36- نفسه، ص: 236.

37- نفسه، ص: 242.

38- نفسه، ص: 242.

39- نفسه، ص: 247.

40- ينظر، يمنى العيد، فن الرواية العربية، دار الآداب، بيروت، ط1، 1998، ص: 30.

مقاربة سيميولوجية بين المسرح كفن متكامل وخيال الظل (القراقوز) جماليات الفرجة في المسرح التقليدي

أ. باية كاهية

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

الملخص: قد يقع الكثير من الناس في لبس الحيرة المترتبة عن الخلط الواقع بين مفهوم المسرح كفن متكامل مشتمل على نص وكلمات وحوار وأغان، وبين تشكيلة واضحة من الديكور، والملابس والحركات الإيقاعية التي تتخللها بعض الرقصات التي تجسد مواقف معينة، كما تقوم الموسيقى كمؤثر للأحان والأغاني إلى جانب فنون الإخراج والأداء، والتمثيل في مقابل جمهور من المتفرجين على ركح المسرح لاستكمال العرض المسرحي، وبين الأشكال الفنية البدائية المعروفة في التراث العربي وبالخصوص الشعبية التي تطرح مجموعة من المصطلحات المقاربة لهذا الفن.

فهل فعلا الفن المسرحي الشعبي أو ما اصطلح عليه بالأداء التمثيلي كخيال الظل أو "الأراقوز" أو "الكراكوز" أو "القره قوز"، أو "عرانس القره قوز" - كما نفضل تسميته- وهي عندنا مصطلحات لمسمى واحد أو لفن واحد)، كلها فن خال من المقومات الأساسية التي تقوم عليها الدراما؟! فضلا عن كونها لا تتطابق مع التفكير في نقد الحياة، وإيجاد حلول لها بقدر ما تعرض للفرجة ولغرض التسلية التي تتبع غالبا من حالة شعورية خاصة.

الكلمات المفتاحية: (خيال الظل- المسرح التقليدي، جمالية الفرجة-
سيمولوجيا المسرح- الفن المسرحي الشعبي...)

Résumé : avoir beaucoup de personnes portant perplexe la confusion entre la notion d'une théâtre d'art intégré sans texte et paroles des chansons et de dialogue et une décoration claire, vêtement et rythmiques des mouvements qui imprègnent certaines danses qui reflètent des situations spécifiques et vous toucher le sanctuaire aux mélodies de la musique et de chansons ainsi que la sortie et l'art de la performance et la représentation dans retournent pour un public de spectateurs la scène d'origine jusqu'à la fin pour compléter les sales de cinéma mots clés : mots (ombre, spectacle, théâtre de la sémiologie, drame, alkarkuz.....)

جمالية الفرجة في المسرح التقليدي:

توطئة: من المحير فعلا الوقوع في الخلط المترتب عن مفهوم المسرح كفن متكامل مشتمل على عناصر النص المسرحي المكونة من نص وكلمات حوار وأغانٍ، وتشكيلية واضحة من الديكور والملابس والحركات الإيقاعية التي تتخللها بعض الرقصات التي تجسد مواقف الإخراج، والأداء والتمثيل في مقابل جمهور من المتفرجين لاستكمال العرض المسرحي، وبين الأشكال الفنية البدائية المعروفة في التراث العربي

فهل فعلا الفن المسرحي الشعبي أو ما اصطلح عليه بالأداء التمثيلي كخيال الظل أو "الأراقوز" أو "الكراكوز" أو "القره قوز"، أو "عرانس القره قوز" - كما نفضل تسميته- وهي عندنا مصطلحات لمسمى واحد أو لفن واحد)، كلها فن خال من المقومات الأساسية التي تقوم عليها الدراما؟! !!

فضلا عن كونها لا تتطابق مع التفكير في نقد الحياة، وإيجاد حلول لها بقدر ما تعرض للفرجة ولغرض التسلية التي تتبع غالبا من حالة شعورية خاصة جداً.

الموضوع: من الأشكال التعبيرية الشعبية القريبة من المسرح التي ينبغي الوقوف عندها في الجزائر هي لعبة "القرافوز" أو "العين السوداء" بالتركية التي ظهرت أثناء الحكم العثماني بالجزائر، وقد انتقلت هذه اللعبة من تركيا إلى الشام ومصر إلى أن وصلت إلى شمال إفريقيا.

وعرفت تغييراً كبيراً، إذ كان الناس يقبلون على مشاهدتها وتدور حول مغامرات "القرافوز" المتنوعة¹ - ولما عاشت الجزائر تحت ظل الحكم العثماني، فقد عرفت هذا الفن وأُعجب به شعبها وأهلها لدرجة تأثرهم به ففسجوا على منواله، وقاموا بتقليده في محاكاة فعلية له، وخيال الظل فن مسرحي متكامل، ولا سبيل إلى إنكاره، فهو مثله مثل المسرح يقوم على إخراج قصة ذات حبكة وشخصيات، فيقدمها بالتمثيل من خلال الشخصوس والحوار والفعل، بدلاً من سردها سرداً، وما يختلف به خيال الظل عن المسرح هو اعتماده الدمى بدلاً من البشر، أساساً في التمثيل²

وقد ورد شرح مصطلح "خيال" في المعجم الوسيط على أساس أن الكلمة تعبير عن الشخص، والخيال الطيف، وهو إحدى قوى العقل التي يتخيل بها الأشياء.

والخيال: قوة من قوى العقل تتخيل الأشياء، وهو شيء على صورة الإنسان يُنصَب في الحقول فتظنه الحيوانات والطيور إنساناً³

كما يرى الدكتور إبراهيم حماد أستاذ الدراما المسرحية بأن الفنون العروسية (الدمية-القرافوز-خيال الظل) وثيقة القربى بعضها ببعض وخيال الظل تحديداً من الناحية اللغوية هو مصطلح عربي شائع اتخذ معناه المستقل وانصهر في ضمير الشعب وحياته التعبيرية اليومية حتى اكتسب دلالة خاصة.... يعتبر ابن دانيال هو أول من مارس فن خيال الظل في

العالم العربي، وبالعموم هذا الفن من فنون الشرق، وجد في أندونيسيا الصين والهند⁴.

واصطلاحاً هو لون من الفن التمثيلي الشعبي ينشأ من تحريك لشخوص جلدية كاريكاتورية بين مصدر ضوئي وشاشة بيضاء تسقط عليها ظلال هذه الشخوص التي صُممت بحيث تظهر على الشاشة نقوشها وألوانها، وهو فن مسرحي متكامل إلى حد ما، يقوم على إخراج قصة ذات حبكة وشخصيات فيقدمها بالتمثيل من خلال الحوار والفعل بدلا من سردها سرداً، وما يختلف به خيال الظل عن المسرح هو اعتماده الدمى بدلا من البشر أساساً في التمثيل..... وتُسمى الواحدة من التمثيليات "بابة" ويسمى الرجل الذي يحرك هذه الشخوص بـ "المخايل" أما منشد أرجال "البابة" فيطلق عليه "الحازق"⁵ الفن الشعبي ارتقى بمخيلة الإنسان الشعبي إلى مصاف مضاهاة الأشكال الفنية في الفنون الرسمية.

حيث كان خيال الظل عبارة عن مصدر ضوئي، يكون قوامه الزيت والقطن حيناً، أو الشموع حيناً آخر ويحرك اللاعبون الشخوص بأعواد دقيقة من الخشب لتسقط ضلالها السوداء على ستار أبيض، يجلس أمامه المشاهدون، في حين يقوم اللاعبون بأداء أدوارهم التي قد يكون من بينها الغناء، وربما قلد أحدهم صوت المرأة، وفي بعض الأحيان يكون بين اللاعبين امرأة تؤدي دورها..."⁶

إذا نلاحظ بأن الشخصيات المعتمدة في فن خيال الظل، هي عبارة عن رسوم متحركة من الأوراق أو الأخشاب أو عبارة عن دمي تُحركها شخوص آدمية فالبطولة إذا ليست إنسان، وإنما هي لكل ما يحركه خيال الظل: "فالدمى التي يستخدمها خيال الظل، أنواع الجلد، أو من صفائح رقيقة من المعدن وتتخذ أشكالاً بشرية مختلفة وبأحجام صغيرة، يتراوح طولها بين

20 و 60 سنتيمترا وتتألف من عدة قطع ذات مفاصل تتحرك عليها بواسطة عصي تدخل في ثقوب مصنوعة من أشكال الشخوص، وقد تلون بعض هذه الأشكال بألوان زاهية، وقد يصحبها أشكال أخرى لحيوانات تشترك في التمثيل⁷

ولعل "خيال الظل" أو "الكراكوز" هو عبارة عن مسرح شعبي مقدم لعامة الناس في مساحات مفتوحة غالبا أو مغلقة فيما بعد تعبر عن قضية ما، أو عن لا قضية تقصد من وراءها، بأشكال مختلفة منعكسة على ستار أبيض مشدود من الطرفين منسدل من الأعلى إلى الأسفل، أمامه ضوء يعكس حركات الشخوص الممثلة من ورائه، فهو أي خيال الظل أو "قوة الكراكوز" مسرح ظلي ضارب في أعماق التاريخ يمثل بأشكال منعكسة على ستارة بيضاء مشدودة أمام ضوء مثبت خلف هذه الستارة، ومعظم الشخوص البشرية أو الحيوانية هنا مصنوعة من جلد الحيوان وخاصة الجمل، حيث تنعكس على الستارة تلك الأشكال البديعة بألوانها الساحرة⁸.

كما يتم التمثيل في خيال الظل بواسطة تلك الأشكال التي تنصب وراء ستارة من القماش الأبيض الرقيق، وبوساطة عصي يضعها المحرك ومساعدوه في ثقوب الأشكال أو مفاصلها ويقومون بتحريكها لتؤدي الأفعال المطلوبة على حين يضاء مصباح وراءها يُسقط ظلالها على القماش الأبيض من وراء، فيبدو خيال ظلالها للمتفرجين من أمام⁹ وفي أثناء التمثيل يُلقى محرك الأشكال حوارا ملونا صوته بما يناسب الشخوص، وقد يساعده أحد معاونيه في ذلك فإن كانت أكثر العروض تعتمد على مؤدٍ واحد يحرك الشخوص ويُلقى الحوار ولكن لا بد في كل الأحوال من ضارب على الطبله ليقوم بأداء بعض الضربات فاصلا بين مشهد ومشهد، وقد يصحبه نافخ في الناي أو عازف على العود لأداء بعض مقاطع الغناء¹⁰.

إن اللاعب في "القرافوز" أو صاحب "خيال الظل" أي الخيالي لا المتخيل، هو الذي يقوم بتحريك الشخصيات بإعطائها كريمة خاصة مميزة لكل شخصية، معتمدة كل الاعتماد على الحركة هذه الأخيرة هي التي تسهل عملية الفهم والاستيعاب، إضافة إلى إبعادها للإحساس بالملل من خلال ذلك النشاط وتلك الحيوية التي تفرضها، متقلبة بين الحديث حيناً والرقص حيناً آخر ثم القفز أو الجلوس، وغيرها من الحركات المناسبة لكل عرض والموافقة لكل مشهد أو حدث أو لاعب "قره كوز" أو الخيالي هو الذي يحرك هذه الشخصيات ويجعلها تتحدث وتتصارع وتقوم بحركة متمائلة وملتوية معكوسة مفصلية حيث إن هذه الحركات توظف في نفس المشاهد أحاسيس ورغبات دفينية وخيالات جذابة¹¹.

بهذه الطريقة البسيطة، والتي تذهب في بعض الحالات إلى حد السذاجة يمكن لهذا اللون الفني أن يتغلغل في أوساط الشعب خاصة وأنه عمد إلى لغة بسيطة مفهومه لدى الجميع وهي اللهجة العامية التي يفهمها البسيط والمتعلم المثقف، وإن كان هذا اللون مستعاراً من فن المسرح، يتميز بكونه ليس من إنتاج النخبة أي فئة معينة مثقفة ومتعلمة ففي بداياته الأولى حينما ظهر عند الأتراك، كانت اللغة التركية "قره كوز" كعربية "طيف الخيال" و"عجيب" المصري لغة صافية شعبية أصيلة خالية من أي دخيل منغمة بعيدة عن كل تعقيد، هي تركيبة أهالي إسطنبول، كما كانت لهجة القاهرة هي السائدة في بابات خيال الظل المصري تتكرر فيها من حين لآخر الأمثلة الشعبية والحكم والأقوال المأثورة والمناظرات والتورية المحببة إلى نفوس الشعب بكل طبقاته¹².

لا يشترط في تقديم هذا الفن أن يوجه كخطاب مُسفر إلى الجمهور المكون في المدارس وقد حاول غالباً أن يمس الحالة الاجتماعية والسياسية

والاقتصادية التي تعاني منها فئة الشعب من خلال اختياره لبعض الموضوعات المستقزة حيناً المُحمسة على مواجهة الاستعمار والاعتبار بالسلف الصالح خاصة بعض الشخصيات الإسلامية المعروفة والتي عُدت مثلاً أعلى يُقتدى به، وربما هنا يمكن الإشارة إلى فن "المغازي" الشعبية التي كانت يعرض لشخصية "علي كرم الله وجهه وإبنه "الحسن والحسين" وما قدماه من بطولات وأفعال خيالية أسطورية يشهد لها التاريخ، فاعتبرت أنموذجاً مثالياً يُقتدى به في بعض الموضوعات التي قدمها فن "خيال الظل" أو "القره كوز" أو "القراقوز" كما اصطلح المجتمع الشعبي على تسميته. والذي عُد بحق الأمل الذي لطالما انتظره المجتمع الجزائري فهو المنقذ للشعب ذلك أن العبر المستخلصة من هذه الحكايات أن السيد "علي" الذي هزم الكفار سوف يعود ليُساعد الجزائريين على التخلص من الاستعمار الفرنسي¹³.

وعلى هذا الأساس فإن مجمل الموضوعات المطروحة والمطروقة في فن خيال الظل والمحبة عند المشاهدين هي كل تلك الأخبار المستقاة من التاريخ القديم عن أخبار السلف، وهذا ما وجدناه في هذا الفن عند الأتراك عن طريق كتاب "قره كوز" التي جمعها "خيالي كوجود علي" إذ من الواضح أنها تناقلت من الأجداد إلى الآباء، وعلى الرغم من أنه من الصعوبة بمكان أن تعثر على انطباع صادق، ومحدد لمحتويات بذاتها لأي مسرحية "قره كوزية" إلا أنه أحب الموضوعات التي تطرق إليها هذا الفن الشعبي هي كالتالي:

- "قره كوز" يحاول أن يأتي بالمنوع من الأشياء بدافع حب الاستطلاع.
- بعض الحرف والألعاب التي يُسيء فهمها.

- إضافة إلى الموضوعات الكلاسيكية المستمدة من الأدب العربي الفارسي والمترجمات عن الآداب الأخرى، كقصص ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة والبخلاء وما شابه ذلك¹⁴.

هذا من جهة ومن جهة أخرى قد يتخذ "القراقوز" شخصيات معروفة ومشهورة من التاريخ العربي القديم، أو من أبطال السير الشعبية المنتشرة في الوطن العربي كسيرة عنتر بن شداد العبسي أو كشخصية ذياب الهاللي..... بعض فصول الكراكوز كانت تعتمد على جانب من التاريخ العربي القديم أو السير الشعبية ولكن شيئاً من هذه الفصول لم يحفظ وتدل عليها أشكال الشخوص المحفوظة وبعضها يمثل عنتر بن شداد والوزير سالم، و"أبو زيد الهاللي"¹⁵ بعض هذه الشخصيات مشهورة في مواطنها كأبو زيد الهاللي يعتبر من أهم أبطال السيرة في مصر والمشرق العربي بينما في شمال إفريقيا والمغرب العربي بالخصوص بطل السيرة هو "ذياب بن غانم الهاللي"

لكن خيال الظل أو "القراقوز" أو عرائس "القراقوز" ينحى في معظم الأحيان إلى طرح شخوص إلى نص واضح يتخذه كسيناريو للتمثيل أو كشكل تعبيرى أفرزته التقاليد الشعبية بواسطة أسلوب يتماشى ومضمون الرسالة الشعبية التي يقدمها. ففي البداية لم ترق أفكار وموضوعات وحتى شخصيات هذا المسرح التمثيلي، أو هذا الأداء التمثيلي إلى أعمال مسرحية ناضجة. ذلك أنها لم تعتمد على ترجمة ولا على اقتباس من المسارح العالمية "كاليونانية" و"الإغريقية" فمن جهة كان المجتمع الجزائري يئن تحت سيطرة الاستعمار، وبالتالي لم يكن له من الثقافة ما يعطيه القدرة التي تجعله يطالع على مثل هذه الأعمال المشهورة أو العالمية على العموم.

أما الفئة المثقفة فقد كانت جل اهتماماتها منصباً حول مجالات أخرى كالصحافة والكتابة النقدية، ومن جهة ثانية، فقد كان الفن العالمي المسرحي يجنح في أكثر الأحيان إلى موضوعات وثنية لا تمت بعلاقة إلى الدين الإسلامي، وبالتالي فالجانب العقائدي الاعتقادي الروحي يُخيف الدارس ويرهبه مما يجعله يتردد في الخوف فيه.

وزيادة على هذا كله التجربة المسرحية الجزائرية المُجسدة في "القرافوز" أو في "خيال الظل" إنما اعتمدت في قيامها في الأساس على الواقع الذي عُرض من أجل الفرجة لا من أجل القراءة أو النشر فمعظم رواده لم يتخرجوا من مدارس ولا من معاهد عليا متخصصة، وإنما مارسوا هذه المهنة كهواية، أو لحب لها فقط لا غير حيث تكتسي الكتابة المسرحية في الجزائر بين الأوائل على الترجمة والاقْتباس فقد اقترحوا نصوصاً مسرحية يمكن أن نقول عنها أنها نصوص وظيفية أي أنها كتبت من أجل العرض وليس للقراءة والنشر، فقد ارتبطت بالعرض بل تموت في الكثير من الأحيان بعد العرض مباشرة وهو مسرح شعبي ظل بعيداً عن رجال الأدب لمدة طويلة، كما أن الرواد الذين اضطلعوا بمهمة الكتابة المسرحية في الجزائر لم يكونوا أدباء¹⁶.

إن التجربة التمثيلية الجزائرية والتي تحولت إلى مسرحية بعد لعبة مارسها الصغار كما الكبار، كفن اندثر إلا ما بقي منه في بعض الأسواق الشعبية في المداشر والقرى والبوادي، كلعبة للأطفال استرسل في عرض للملهاة التي تُعرض للتسلية، ويغلب عليها الطابع الكوميدي الذي يُشاهد في الشوارع، وربما قد يتوارثها البعض كمهنة للتكسب أبا عن جد مثلما توارثوا الحكايات والألغاز والأمثال والأغاني الشعبية والشعر وغيرها، فاعتمدوها كخيال يُمثل: "إن المخيلة في تقديرنا بذور وجذور لمسارح الأطفال، أصلاً

وإن أقبل عليها الكبار وقد عرض لها كثيرون في كتبهم التي يمكن الرجوع إليها كأحمد تيمور- د إبراهيم حمادة، د- عبد الحميد يونس وفي تقديرنا أن هذه الأشكال يمكن أن تبعث من جديد كإطارات لأعمال مسرحية للأطفال مع تطويرها لكي تلائم العصر وتواكب التكنولوجيا الحديثة¹⁷.

ففي حين يعتبر خيال الظل "فن مسرحي متكامل، لا سبيل إلى إنكاره مثله مثل المسرح يقوم على إخراج قصته ذات حبكة وشخصيات، فيقدمها بالتمثيل من خلال الشخصوس والحوار والفعل بدلا من سردها سردا، وما يختلف به خيال الظل عن المسرح هو اعتماده الدمى بدلا من البشر، أساساً في التمثيل"¹⁸.

إن هذا التعريف قد أشار إلى الفارق الأساسي والأهم بين فن المسرح وخيال الظل على أساس أن الأول شخوصه تكون من البشر أي أناس عاديون في حين أن خيال الظل تقوم مجموعة من الدمى بالتمثيل فيه، غير أن هذه الأخيرة تسيورها شخوص إنسانية وتتحكم في أداؤها ولا يمكن لها أن تتحرك بمفردها إلا اعتمادا على هؤلاء الممثلين من البشر إذ يقومون بفصول المسرحية التي تنقسم إلى:

مقدمة تشتمل على افتتاح يليه الغناء ثم ابتهاج إلى الله سبحانه وتعالى ودعاء للحاكم وشكر للمتفرجين، وتمنيات لهم بالمتعة والعبرة، كل هذا على لسان الراوي.

أما المحاور فتدور في الغالب بين "الكره قوز" و"حاجي واد" زميله في التمثيل، يعتمدون على اللفظ اعتمادا كلياً، هدفها تسليط الأضواء على الفوارق الواضحة بين الشخصيتين اللتين تمثلان نمطا معيناً من البشر. ثم الفاصلة، وهي المسرحية نفسها، وتشتمل على كل الأحداث التي تتكون منها "البابة" وتشارك فيها بقية الشخصيات والشخوص الموجودة.

وأخيرا الخاتمة التي تقدمها إحدى الشخصيتين إما الأول أو الثاني، وفيها يتمنيان للمشاهدين أن يصيبهم ما أصاب البطل من خير، ويُجنبهم ما وقع فيه، من مآزق، ويعتذر عن أي قصور بدر منهما في هذا العرض متمنيا تلاقبهم في العرض القادم الذي يعلن عنه.

وقد تتنوع الأشكال والألوان والصور والحركات الدائمة لجموع هؤلاء الممثلين، يجذب المشاهد إليها مستمتعا حيناً ومستفيداً حيناً آخر، وأكثر من هذا قد لا يحس فيها المشاهد بالملل والكلل ولا حتى بروتين العرض والتمثيل إذ قد يتم هذا الأخير - أي التمثيل - في خيال الظل بواسطة تلك الأشكال لتعرض من وراء الستار الأبيض الذي يُظهر ظلها الأسود من أمام المتفرجين.

ولعل المفارقة التي يمكن استخلاصها من هذا الفن الشعبي التراثي وبين المسرح كفن متكامل، هو أن كليهما تُسيره قواعد ونظم وأسس ينبغي السير وفقها، هي نظم تُسير الإنسان من جهة، وبين شخوص آدمية تُسير وتحرك هذه الدمى والصور.

المفارقة كبيرة إذا، بين حرية الإنسان وقدره وبين هذه الدمى التي يتحكم فيها حيناً ويتحكم فيه آخر، لذلك رأى الشاعر رأياً وهو الشاعر "وحيد الدين بن عبد الكريم" من شعراء القرن الثالث عشر فيه عبرة قال فيها¹⁹.

رأيت خيال الظل أكبر عبرة لمن هو في علم الحقائق راقى
شخوص وأشباح تمر وتنقضي وتقنى جميعها والمحرك باقي

فمثل ما للمرء ربٌ واحد يُسير قدره ويتحكم في مصيره كخيال الظل أيضاً محرك واحد روحه بيده، وهو هذه الشخصية المخفية وراء الستار المعبرة عن قضية أو عن معضلة أو مشكلة، وعن رأي معين معتمدة على هذه الدمى المتحركة، فكما أننا نعلم ونعي بأن الله موجود في كل مكان

يسيرنا ويُخبرنا كذلك الإنسان موجود لأجل هذه الدُمية يتحكم فيها حيناً
وتتحكم فيه آخر من خلال النص أو السيناريو الذي يكتبه هو.

إنه لمن الظلم الكبير أن نوزع النشأة الأولى للمسرح عموماً والمسرح
الشعبي بصفة خاصة إلى اليونان والإغريق، إذ لا يمكن أن نغفل أبداً تلك
البذور والجذور التراثية لهذين الفنين، حيث قدمت لنا الآثار ما يؤكد بالدليل
القاطع أن وطننا العربي أصل الكثير من هذه الفنون العريقة في تربته²⁰.

وفي تراثه العربي القديم، فقد تكون الملامح الأولى لهذه الفنون ذات نشأة
آشورية أو بابلية أو شرق أوسطية مصرية أو فرعونية وحتى إفريقية لكن
الثمرة قد نضجت واقتطفت في اليونان القديمة.

وفي هذا مقطع من مسرحية شهيرة لموليير عرضها الدكتور حسن عبد
الله في تقديم كتابه الموسوم "المسرح المحكي" تأصيل نظري ونصوص من
التراث العربي²¹.

فيقول: تقديم أول من موليير:

السيد جوردان: أريد أن أكاشفك بشيء مهم، إنني عاشق متيم بإمرأة من
الصفوة الممتازة، وأرغب أن تساعدني على كتابة شيء لها على ورقة
صغيرة، أريد أن أدعها تسقط على قدميها
أستاذ الفلسفة: حسناً.

السيد جوردان: ألا ترى ذلك لطيفاً؟.

أستاذ الفلسفة: بلا ريب، وهل تريد أن تكتب إليها شعراً؟.

السيد جوردان: لا لا أريد نثراً ولا شعراً.

أستاذ الفلسفة: يجب أن يكون إما هذا أو ذلك.

السيد جوردان: لماذا؟.

أستاذ الفلسفة: لأن ثمة أسلوبين للتعبير يا سيدي، هما النشر والشعر.

السيد جوردان: ألا يستطيع الإنسان أن يعبر عن أفكاره بغير النثر والشعر؟.

أستاذ الفلسفة: لا سيدي، فكل ما ليس شعراً هو نثر، وكل ما ليس نثراً فهو شعر.

السيد جوردان: وعندما نتكلم ما ذا يدعى ذلك؟.

أستاذ الفلسفة: نثراً.

السيد جوردان: عجباً ! فعندما أقول مثلاً: أحضري يانكول مشاييتي وأعطيني قبعة النوم، أُنسَمي ذلك نثراً؟.

أستاذ الفلسفة: نعم سيدي.

السيد جوردان: وربي ! لقد مضى علي أربعون عاماً، وأنا أتكلم نثراً من غير أن أعرف ذلك، إني مدين لك بهذا الاكتشاف²².

كذلك تراثنا العربي قد عرف المسرح بأنواعه، ولكنه لم يكن ليعلم أنه كذلك غير أن عروقتنا سرية تمتد بين مفرداته فتغذيه بنسق متميز.... ينميه إلى فن... زعموا أن العرب لم يعرفوه.. وإذا كانوا قد عرفوه عن غيرهم فقد عجزوا عن فهمه.... فعجزوا عن مجاراته..."²³

هي قضية جد شائكة تحولت إلى ورقة من أوراق الصراع الحضاري بين الغرب والشرق، بل كانت إحدى مسوغات الزحف الاستعماري في القرن الماضي.

ومن بذور المسرح التمثيلي في التراث العربي، الدال على قدم هذا الفن هو ما يوجد قديماً في ماضي المجتمعات البدوية من مشاهد تمثيلية، يتفرغ لها لاعبون يحسنون أداءها جذبا للمتفرجين...، يتخذ ذلك اللاعب من أرض البادية مسرحاً له، في ليالي الصيف المقمرة، ويلبس قدميه لباس رأس رجل، ويمسك بكل يد عصا، يدخل فيها كم ثوب متصل بهما ويشد أطراف

الكم لا ينحدر عن العصا، وعند رأس اللاعب شخص يشده وآخر يغني له أغنية معلومة يبدل فيها بحيث يكون من معانيها، ما يفرح أو يحزن وفيها حركة واللاعب يحرك يديه بالعصوين وقديمه بحسب نغم الأغنية ومعانيها...²⁴

وما هذا إذا سوى تصوير واضح لفن "القرافوز"، إذ كان يُمثل في الشوارع على العموم، أو في أماكن خاصة بها، وبخاصة الأحياء الشعبية أو في الأسواق، سواء في مناسبات خاصة "كعاشوراء"، أو "المولد النبوي الشريف" أو المناسبات الدينية بالخصوص، أو في أثناء الاستعمار أو الاحتلال الأجنبي كما تعرضت له الجزائر فكان يعرض بطريقة رمزية مشفرة، أو في مناسبات عامة كسائر الأيام.

إن المقابلة كما نرى تعتبر بذورا حقيقية، وجذورا عميقة عريقة لفن المسرح إذا ما عممنا، ومسارحا للأطفال بصفة خاصة، حتى وإن شاهدها الكبار أو الصغار على السواء حيث مثلت له متعة ما بعدها متعة، فهي تلبي الكثير من احتياجاته للنمو العقلي والنفسي، كما تُيسر له سبل النضج الوجداني والارتياح النفسي، وتفسر له بعض الظواهر والأحداث التي تصعب عليه وتحاول أن تُجيب بالتجسيد التخيلي عن أسئلة لا تجد لها إجابة، ثم تعينهم على فهم جوانب من الحياة، وعلى مواجهة مشاكلها.

والطفل في كل هذا مُشاهد يُتابع بيقظة تامة، ولهفة كبيرة، فهو يندمج معها، ويقمص ما أمكنه من أدوار أبطالها، وهنا يمكن الإجابة على أحد الأسئلة الهامة التي طرحت قبل البدء، وهي كون هذا الفن لم يعتمد للفرجة اللاهية أو غرض التسلية فحسب، وإنما يعرض أيضاً مع هذا لغايات أسمى ومنها تربية الأجيال تربية يتذوقون من خلالها فن الدراما ويتعرفون فيها على مثل هذه الفنون الشعبية التي بدأت تغيب وتحجب عنا شيئاً فشيئاً.

إن أطفالنا إذا ما أريد لهم خيراً فلا أحسن ولا أروع ولا أجدر وأحق منه لذلك، حتى يتمكن من تربيتهم وتسليتهم وإمتاعهم، وقد رآه قديماً "ماكسيم جوركي" صاحب كتاب "الأم" أو رواية الأم الخالدة، أروع مؤسسة لتربية الأطفال، وكذلك كان يشيد به مارك توين...²⁵

أخيراً إن النظر في أوراق هذا الفن حتى وإن ضاع الكثير منها كونها لم يُدون في أوراق بادئ الأمر، ولم يصلنا سوى عن طريق المشاهدة قد تخلص وتحرر كلياً من كل سطوة واستبداد راجع إلى تحكم المؤلف أو الكاتب، وإنما ابتدع لنفسه صبغة خاصة به، صبغة جمالية فنية ملائمة لكل الأحوال وكل الأوضاع معالجة حيناً مناقضة أخرى، ومطابقة لذا وذاك، بين الفينة والأخرى، هو مسرح شعبي يحتكم إلى كل عناصر المسرح الأساسية ويسير وفق قواعد فنية أسسها لذاته تجعله يتفنى في التميز والتميز، حتى يكون صبغة عربية تراثية مستمدة من فن قديم، غير أنه لا زال يتطور إذا ما وجد الاهتمام فرغم أنه فن التمثيل غير المباشر إلا أنه يعتبر صورة بدائية لمسرحنا الغنائي وفي التمثيل المسرحي الذي يتوسل بالمثل الحي والوجود المباشر مع الجمهور، إذ يلتقي هذا الشكل المسرحي الغنائي بشكله البدائي مع فن التمثيل المسرحي والمسرح الغنائي البشري في أكثر من ناحية²⁶.

إذ أن الجمالية الفرجوية التي يعايشها المشاهد بمشاهدته لها، لا يمكن أن يجدها في فن آخر، لأنها مصبوغة بصبغة شعبية، فذوقها وتذوقها ممزوج مازج بين ما هو أصيل وحديث ومعاصر، تعرض لشخص حتى وإن تشكلوا من دمي، في توازن وانسجام غريبيين، هو توازن الحياة وانسجامها برغم ما يبدو فيها، وما يلوح في ظاهرها من تعدد وتناقض واختلاف.

وحتى من خلال المصطلح أو التسمية في حد ذاتها: "خيال الظل، نجد الرمزية الغربية الجاذبة التي تحوي العمق كما تشتمل على السطحية فالخيال يترك مجالاً للأحلام في ثوب من الحقيقة الرمزية المشفرة الخلاقة لتصوير إبداعي مميز، ثم أن العالم بلا خيال جدُّ ثقيل لا يمكن أن يُحتمل ممل لدرجة عدم القدرة على معاشته، هو إذاً عالم يشد انتباه الطفل ويجذبه هو بالنسبة له دنيا واسعة حياة لا حدود لها تتشكل من فضاءه وكيانه الخاص، جوه المثالي النموذجي الذي يريده أن يكون دون منع أو تحذير أو تخويف، هو المكان المسموح فيه كل ممنوع عالم يبهره ويفرحه ويغنيه عن عالمه الواقعي، حتى أنه يتمنى لو يلازمه فلا يخرج منه.

أما الظل ففي العامية الدارجة، أو في مجتمعنا الشعبي لا يمكن التفريق بين الظل والخيال، فهما مسميان لشيء واحد، وهو الصورة الثانية لا الأولى وليست الحقيقية عن الشكل الأساسي أي هي الأنموذج الثاني القريب إلى الأصل لكن في الحقيقة هو مشابه له فحسب.

ولأهمية هذين العنصرين في الحياة الإنسانية رأى البعض بأن "فكر الطفل وعقله وخياله شديد الشبه بالبالون الصغير الذي يحبه، إن البالون يحتاج منا إلى الهواء لكي يكبر وينتفخ والخيال بالنسبة لعقل الطفل كالهواء بالنسبة للبالون، الخيال يوسع من عقله، إنه يجعله كبيراً وإذا ما تركنا عقل الطفل دون محاولة منا لكي يتفتح فلن يستطيع أن يستوعب الكثير.... عقل الطفل عند مولده كالبالون قبل نفخه..... الأول يمتلئ عن طريق الخيال والثاني عن طريق الهواء ليكبر حجم كل منهما ويتسع، وإذا ما اتسع العقل وكبرت المدركات أصبح من أيسر الأمور علينا أن نجد فراغاً يملؤه بالعلم والمعرفة، إن حشد الأدمغة الصغيرة في السن المبكرة يُحملها فوق طاقتها ويغلق منافذها، أما توسيعها بالخيال فأمر لا بد منه، وضروري²⁷.

نستنتج من هذا أمراً جدياً مهم أن الخيال ضروري لتأكيد ما هو واقع والواقع هو كل ذلك الذي يعرضه الفنان من خلال عمله وهو الكلام الملفوظ المعبر مع الحركات عن المقصود إذ لا عجب في أن المسرح الحديث يركز على كل ملفوظ أو هو بصفة خاصة يُسَيِّد النسق اللفظي في الأعمال الإبداعية الفنية عموماً والمسرحية بشكل خاص.

الهوامش:

1. د/مخلوف بوكروح: المسرح الخصوصية والعالمية Mboukrouh@yahoo.fr
2. د/ احمد زياد محبك، فن التراث الشعبي، دراسة تحليلية للحكاية الشعبية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 205-206.
3. www.alaany.com/home.php? Langage = arabic = arabica orlang- names= خيال 8 ward=3 عربي
4. www.anna baa.org/nba / news/66/491-htm
5. www.annabaa.org/nba news/66/491-htm
6. عبد التواب يوسف: الطفل العربي والأدب الشعبي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1992، ص 119.
7. د/ أحمد زياد محبك، فن التراث الشعبي، مرجع سابق، ص 206.
8. . www.hiramagazine.com/archives/ title/ 270
9. أحمد زياد محبك، ص 206.207.
10. أحمد زياد المحبك، مرجع سابق، ص 206-207.
11. www.hira magazine.Com
12. www.hiramagazine.Com
13. د/ مخلوف بوكروح، مرجع سابق.
14. أحمد زياد محبك، من التراث، مرجع سابق، ص 222.
15. د/ مخلوف بوكروح، مصدر سابق.
16. عبد التواب يوسف، الطفل العربي والأدب الشعبي، ص 120.
17. أحمد زياد محبك، من التراث الشعبي، ص 206.
18. أحمد زياد محبك، فن التراث الشعبي، ص 208.
19. عبد التواب يوسف، الطفل العربي والأدب الشعبي، ص 117.

20. محمد حسن عبد الله، المسرح المحكي، تأصيل نظري ونصوص من التراث العربي، ص 10-11.
21. من مسرحية البرجوازي النبيل الفصل الثاني، المشهد الرابع، نقلا عن محمد حسن عبد الله، المسرح المحكي، تأصيل نظري ونصوص من التراث العربي، ص 10-11.
22. محمد حسن عبد الله، المسرح المحكي، مرجع سابق، ص 10-11.
23. أحمد غريب، نقلا عن المسرح المحكي، مرجع سابق، الغلاف الخارجي
24. عبد القادر عياش، دراسة بعنوان مشاهد تمثيلية في بادية الفرات، مجلة المعرفة السورية عدد خاص عن المسرح كانون الأول 1964.
25. عبد التواب يوسف: مرجع سابق، ص 128.
26. بقلم د: محمد عبد المنعم - مسرح خيال الظل.
27. د/ عبد التواب يوسف، مرجع سابق، ص 108-109.

مشاكل مهنة التعليم وصعوبات قطاع التربية الوطنية

أ. مليكة شارف خوجة

جامعة مولود معمري. تيزي-وزو

تمهيد: يعكس النظام التربوي في أية أمة من الأمم طموحاتها ويسعى في حركية دائمة إلى إيجاد السبل الملائمة لتنشئة الأجيال تنشئة اجتماعية تجعل منهم مواطنين فاعلين في المجتمع، ويعتبر قطاع التربية والتعليم المرآة الصادقة للفلسفة التي يتبناها مجتمع من المجتمعات تتطور وفقا لإمكانياته وتعتبر المدرسة المؤسسة التي توكل إليها مهام التربية والتعليم، وأهداف المدارس تتباين بتباين أنواع التعليم ومراحلها حتى تسد حاجات كل مرحلة تعليمية، ولو أنها في الوقت نفسه تقوم كلها على أهداف مشتركة، ويعتبر التدريس في كل مرحلة تعليمية فن لا يتقنه إلا من وهب هذا الفن النبيل والصعب في آن واحد باعتبار أن عملية التدريس تهدف أساسا إلى بناء شخصية الفرد في جوانب عديدة منها: العقلية، الخلقية الكمالية الصحية وعملية تعامل مع عقول على اختلاف ما فيها من فروق فردية وحاجات فردية أيضا وتخضع للعديد من المتغيرات والمستجدات التي تطرأ على ساحة العولمة والتي هي في تغير وتجدد دائمين.

لذلك تهتم المجتمعات المتقدمة بقطاع التربية والتعليم الذي تعتبره المنطلق الأساسي لأي تقدم حضاري باعتباره وسيلة جد فاعلة لصناعة الأفراد الذين يسحرون كل طقاتهم الجسمية، العقلية والمعنوية في خدمة مجتمعاتهم. ولا شك أن قطاع التعليم لا يختلف عن باقي القطاعات الأخرى، حيث تواجهه مشاكل عديدة تقف وراء تحقيق أهدافه النبيلة التي يسعى إليها.

في هذا البحث نحاول إبراز أهم المشاكل والعراقيل التي توجه مهنة التعليم وأهم صعوبات قطاع التربية الوطنية

1 - تعريف التعليم: لقد تعددت التعاريف المقدمة للتعليم من قبل التربويين

والباحثين، ومن بينها ما يلي:

تعريف "هنرسون ولينر" (Henderson et Iainer) (1973)

يرى هنرسون ولينر أن التعليم هي عملية معالجة مدخلات التدريس (غرفة الدراسة والتجهيزات والوقت والمتعلمين والمادة المنهجية...) بواسطة أسلوب تعليمي محدد لينتج في النهاية التغيير السلوكي المطلوب لدى التلاميذ.⁽¹⁾ ويعرف التعليم أنه إحدى حالات التدريس التي يعتمد فيها إيصال المعلومات على التفاعل بين المعلم والطالب أو أكثر، وهو نوع من أنواع التدريس يتضمن تفاعلا حيا وواقعا.⁽¹⁾

ويشير "لسنير سميث" (L. Smith) إلى أن التعليم عملية مستمرة هدفها تنمية الفرد وإعداد المواطن وضمن طفولة أسعد للناشئين، وأن من حق كل فرد أن يحصل على تعليم يتفق وعمره ويتناسب مع قدراته واستعداداته.⁽²⁾ في حين يرى "عبد الله الرشدان" (2002) أن التعليم الجيد هو ذلك التعليم الذي يضمن انتقال أثر التعليم والتدريب، وتطبيق المبادئ التي يحصل عليها المتعلم على مجالات أخرى في حياته، ولا تتم هذه العملية إنّ بوجود ثلاث عناصر:

- المعلم أو الموجه أو المرشد
- المتعلم وهو الفرد الذي يرغب في التعلم
- المادة أو موضوع التعلم.⁽³⁾

التعليم عملية اجتماعية تفاعلية مستمرة تهدف إلى إعداد الفرد للحياة وتنمية قدراته الفكرية والذهنية والوجدانية. فعملية التعليم هي عملية تحفيز وإثارة قوى المتعلم العقلية ونشاطه الذاتي بالإضافة إلى توفير الأجواء والإمكانيات الملائمة التي تساعد على القيام بتغيير في سلوكه الناتج عن المثيرات الداخلية والخارجية مما يؤكد على حصول التعلم.

أما التدريس عبارة عن مجموع من الإجراءات والنشاطات التعليمية المقصودة والمتوافرة من قبل المعلم والتي يتم من خلالها التفاعل بينه وبين الطلبة بغية تسهيل عملية التعلم وتحقيق النمو الشامل والمتكامل للمتعلم والبيئة، والوصول بالمتعلم إلى مستوى يكون فيه قادرا على التخيل والتفكير المنظم والتصور الواضح وتنمية شخصية في المجال المعرفي والانفعالي والمعماري وإخضاعه إلى عملية تقويم مستمرة.

ويرى "البيب رشدي" بأن التدريس هو العمل داخل الفصل الدراسي الذي يوفر الخبرات التعليمية بطريقة منظمة ومقصودة.⁽⁴⁾

يعتبر التعليم أشمل من التدريس من حيث الاستعمال خاصة في المجال التربوي، فهو يطلق على كل عملية يقع فيها التعلم سواء كان التعليم منظما مقصودا أو غير منظم، أما التدريس فهو عمل مخطط ومقصود تتولاه المؤسسات التربوية على خلاف مراحلها التعليمية على عكس التعليم الذي يحدث بقصد في المدارس أو بغير قصد، يعني خارج هذه المؤسسات لأن الفرد قد يتعلم في المدرسة في المجتمع وعند عائلته.⁽⁵⁾

يتضح أن التعليم والتدريس مفهومان متقاربان إذ يشيران إلى عملية واحدة بينما مفهوم التعلم أوسع فقط من حيث الاستعمال أما التدريس فغالبا يستعمل في المؤسسات التعليمية فقط.

2- تعريف العملية التعليمية: العملية التعليمية عبارة عن تنشئة اجتماعية وتربوية سلوكية تعتمد على عملية اتصال في تحقيق أهدافها. تعتمد أساسا على التفاعل القائم بين المدرس (المرسل) والتلاميذ (المستقبل) فيحرص كل منها على توجيه رسالة يفهمها نتيجة لهذا الفهم تنشأ استجابة المستقبل على هيئة سلوك يصدر عنه، وليكون التفاعل وفقا لا بدّ من توفير جو تتوافر فيه عوامل مادية ومعنوية.⁽⁶⁾ ويقصد أيضا بالعملية التعليمية مختلف الإجراءات والنشاطات التي تحدث داخل الفصل الدراسي، تهدف إلى اكتساب المتعلمين معرفة نظرية أو مهارة علمية أو

اتجاهات إيجابية، فهي نظام معرفي يتكون من مدخلان ومعالجة ومخرجات فالمدخلان هم المتعلمين والمعالجة هي العملية التنسيقية لتنظيم المعلومات وتفسيرها وإيجاد العلاقة بينها وربطها بالمعلومات السابقة، أما المخرجات فتتمثل في تخريج طلبة أكفاء متعلمين. (7)

ويشير و"السن" و"لوجان" (W Logan) إلى أن العملية التعليمية تتضمن عددا من المكونات منها المتعلقة بالتعليم والمتعلقة بالمعلمين والمتعلمين ومكونات تتعلق بنشاط التعليم والتعلم وهي:

1. الأهداف والأولويات: توجيه نشاط التعليم .
2. التلاميذ: تعليمهم قصد تحقيق الهدف الأساسي للنظام التعليم.
3. الإدارة التعليمية: توجيه وتنسيق وتقييم النظام.
4. البناء التعليمي والجدول الزمني، توزيع الوقت والتلاميذ على أنواع التعليم المختلفة.

5. المحتوى خلاصة ما سوف يحصل عليه التلميذ.
6. المدرسون مساعدة التلاميذ في الحصول على المحتوى.
7. الوسائل التعليمية: تتمثل في كتب، خرائط...
8. مدى توفر الإمكانيات الفيزيائية قصد تسهيل العملية التعليمية.
9. التكنولوجيا: تتمثل في كل الأساليب التكنولوجية المستهدفة في أداء أعمال محددة.

10. ضوابط التحكم في نوعية التعليم، قواعد القبول والامتحانات.
11. البحوث العلمية لتحسين الأداء الوظيفي للنظام وتطوير المسؤولية.
12. التكاليف ومؤشرات النظام وفعاليتها. (8)

وفي نفس الاتجاه يرى كل من "هوك" و"دونكان" أن العملية التعليمية عملية معقدة تتأثر بعوامل عديدة، وكثيرا ما تغيب عن وعي المدرس ولا يمكنه التحكم فيها إلا بكيفية جزئية، لذا يركز الباحثان أساسا على الهدف من العملية التعليمية

والذي يعني تسهيل التعلم لدى التلميذ وإحداث تغييرات في سلوكه قابله للملاحظة.⁽⁹⁾

3- العناصر الأساسية للعملية التعليمية: تتكون العملية التعليمية من عناصر

عديدة منها:

1.2.6- المدرس: يعتبر الركيزة الأساسية في العملية التعليمية حيث يجب أن تتوفر لديه مجموعة من الكفاءات والمؤهلات، وأن تكون لديه رغبة في التعلم قصد مساعدة التعليم على تحقيق الأهداف التعليمية بنجاح وسير وذلك من خلال:

- فهم العملية التعليمية وخصائص المرحلة العمرية التي يقوم بتدريسها ويشرف عليها.

- الإلمام بالمادة الدراسية وجزئياتها وتنظيم معدلاتها وأهدافها والمستويات التي ينبغي على المتعلم الوصول إليها.⁽¹⁰⁾

دراسة التلاميذ في إطار خلفياتها، من حيث استعداداتهم للتعلم ومستوى ذكاءهم ومختلف مشاكل التكيف لديهم.⁽¹¹⁾

2.2.6- المتعلم: يعتبر التلميذ أهم مدخلات العملية التعليمية، ويتم تقسيم مراحل التعليم وفقاً لأعمارهم، ووفقاً لذلك فالإدارة الفعالة لبيئة التعليم تتطلب من المدرس أن يقف على كافة النواحي المتصلة بالتلاميذ من حيث نموهم، النفسي، المعرفي... وحسب "بياجيه" يرى أن المعرفة تكتسب إذا ربطت بالمعارف السابقة، والتعلم لن يحدث إلا إذا أدمج في شبكة من ذي قبل في نسق معرفي، وفي كل تعلم لا بد أن يؤخذ بعين الاعتبار التصورات الموجودة في التلميذ وفي نظامه المعرفي، فعلى البيداغوجي (المدرس) أن يحلل طبيعة التصورات الخاطئة حتى يتغلب على عوائق التعلم. وقد أعطى "ميالاري" (Mialaret) أهمية لجانب مهم من مكونات الفعل التعليمي إن على المدرس أن يضع في حساباته خصائص المتعلمين من حيث (السن، الجنس، الوسط المعيشي، القدرات العقلية، الفروق الفردية...)

وهذا أمر يصعب على المدرس لذا عليه أن يكون على دراية بمبادئ علم النفس النمو، علم الاجتماع بالإضافة إلى تخصصه في مادة تدريسه.

3.2.6- المادة التعليمية: هي المحتوى المتنوع من المعلومات التي تصاغ من

أسلوب منهجي إذ تحتوي على مجموعة من الأنشطة، والتي تتماشى مع درجة نمو قدرات التلاميذ، وهي عبارة عن مجموعة من الرموز والإشارات والعبارات التي تصاغ في منهج علمي يقترح على التلاميذ من قبل المدرس بعد تخطيطها والإعداد لها مسبقا. وتحتوي المادة التعليمية على المقررات والبرامج التي يتم صياغتها حسب مميزات كل مرحلة عمرية يمر بها التلاميذ.⁽¹²⁾

وتكمن صعوبات العملية التعليمية في النقاط التالية:

ترتبط الصعوبة الأولى بالأهداف التي وضعت مجموعة القسم من أجلها فالتلاميذ لا ينتظرون من مدرسيهم تلقينهم المعلومات في مختلف المواد الدراسية بل مهمتهم تتجاوز ذلك إلى النظر في كيفية إعدادهم ليكونوا مواطنين صالحين في المجتمع وتزويدهم بكل ما يحتاجونه لمواجهة الحياة أو باختصار فإنّ المجتمع يرغب في أن تعمل المدرسة على مساعدتهم حتى تتفتح شخصيتهم، وتنمو نموا سليما، وهذه الغاية تجعل من التدريس عملية معقدة وصعبة.⁽¹³⁾

1. ترتبط الصعوبة الثانية بمحتويات التعليم ومواده، وبالمصادر الديدائكتيكية والتكنولوجية المتوفرة والمستعملة في كل قسم، وكذا الظروف السيكولوجية التي تحيط بالمدرسة وأنواع الامتحانات وأساليب التقييم المستعملة، والتي تجعل من ظاهرة القسم ظاهرة معقدة تتفاعل داخل عوامل متشعبة.⁽¹⁴⁾

2. ترتبط هذه الصعوبة بالتباين بين التلاميذ، فالقسم عبارة عن مجموعة من التلاميذ لكل واحد منهم شخصية متميزة وميولات خاصة تتحدّد بدورها بانتماءاتهم السوسيوثقافية، ومن بينها الاختلاف في وثيرة التعلم والتي تتفاوت لديهم رغم

تقارب أعمارهم، ويترتب على ذلك العديد من المشاكل خاصة ما يميّز أنظمة التعليم وهو طابعها الجماعي الذي يتجاهل الخصوصيات الفردية للتلاميذ.

وهذا الطابع الجماعي لمهنة التعليم يضيف معوقا آخرًا يزيد من تعقيد العملية التعليمية، فالمدرس لا يبدؤ أن يفكر باستمرار في ثلاثين أو أربعين تلميذا في نفس الوقت دون أن يكون بإمكانه إرضائهم جميعا، وغالبا ما يكون عاجزا وذلك باعتبار أن طبيعة عمله تقتضي منه إنجاز عدد معين من الساعات في حين أن ذلك العمل لن ينتهي وأنه لا يشعر بالارتياح على الرغم من مجهوداته، والسبب يكمن في حتمية الرسوب مما ينقص من قيمة نتائجه.

ويلاحظ أن مجموعة من تلاميذه تتخبط باستمرار في حملة من الصعوبات رغم جهوده، فيعتبره شعور بالعجز التام أمام الفشل الحتمي لفئة من تلاميذه والذي بإمكانه معرفتهم والتنبؤ بفشلهم وفي بداية السنة. (15)

3. تتعلق هذه الصعوبة بتطبيق مقارنة التدريس الحديثة (المقاربة بالكفاءات) وهذه المقاربة جعلت من المتعلم محور العملية التعليمية وتعمل على إشراكه في مسؤولية وتنفيذ عملية التعلم وهي على اختيار وضعيات تعليمية مستفادة من الحياة في صيغة مشكلات، وبذلك يصبح المعلم مبسّطا ومنظما وليس ملقنا والتأطير والبعض أن المعاينة الميدانية ولأسباب موضوعية عدّة يعود بعضها إلى التكوين والتأطير والبعض الآخر لظروف العمل كانوا يولون إلا أهمية نسبية لهذه المقاربة التي كثيرا ما افترضت على الجانب الشكلي والإداري في بداية تعاملهم معها على الأقل، وبذلك فعدم إتقان المقاربة يؤدي حتما إلى الشعور بتدني الأداء لدى المدرسين. (16)

4. عدم إلمام المدرس بالخصائص النفسية للتلاميذ فمن المدرسين من يجهل خصائص المرحلة التي يعلّم فيها، خاصة فترة المراهقة المبكرة مما يصاحبها من سلوكيات فيفسر تصرفاتهم بقياسها مع تصرفات الراشدين، وهذا ما يجعل منه التوقع الأشياء الكثيرة منهم.

4- مشاكل مهنة التعليم وصعوبات قطاع التربية الوطنية:

1.4- مشاكل مهنة التعليم: يعتبر التعليم مهنة إنتاج اجتماعي وهو بهذا المفهوم يصبح من أفضل المهن الإنتاجية في المجتمع، حيث ينتج القوى البشرية الضرورية لبناء المجتمع وتطوره ومهنة التعليم مهنة صعبة كونها تتعلق بمستقبل أطفال وأمة وشعب، ويواجه التعليم في أنحاء كثيرة من العالم مشكلات وتحديات كثيرة تملئها طبيعة العصر الذي نعيش فيه والتي تتمثل فيما يلي:

1.1.4- نقص الإمكانيات المادية والبشرية: التعليم في أماكن كثيرة من العالم يعاني من نقص كبير في الموارد المالية والمدرسين المؤهلين تأهيلا جيدا، والمباني والتجهيزات المدرسية.

ورغم أنّ هذه المشاكل تختلف من دولة لأخرى، إلا أنّ هناك عاملا مشتركا يجمع بينها وهو أنه لا يمكن التغلب على هذه المشكلات بدون العمل على إيجاد نظام للتعليم عصري وجديد في أهدافه ومحتواه وأساليبه ووسائله التعليمية.⁽¹⁷⁾

2.1.4 - التعليم في دول العالم الثالث لا يحقق مطالب العصر: التعليم لا يزال يعتمد إلى درجة كبيرة على تكنولوجيا تعليمية قديمة، إذا ما قرنناه بمجالات أخرى كالصناعة والزراعة والطب والاتصالات لوجدنا أنّ أساليب العمل في هذه المجالات قد خطت خطوات عملاقة وفعّالة في استخدامها للتكنولوجيات الحديثة

لتحسين كفاءة العمل، وهناك من يفسر أسباب هذا التخلف النسبي كون التعليم يعتبر من أكثر النشاط الإنساني صعوبة وتعقيدا. (18)

3.1.4- تخلف مناهج التعليم وأسلوبه عن التقدم التكنولوجي: يلاحظ في

الوقت الذي يستمتع فيه الكبار، والصغار بثمار التكنولوجيا والتطبيق العلمي في حياتهم اليومية وفي داخل المدارس، فإنّ محتوى التعليم لا يمكن التلاميذ من ممارسة التفكير العلمي والتطبيق العلمي للمعرفة، ومن هنا كان التناقض بين التعليم كنظام، وبين واقع الحياة التي يعيشها الناشئون والشباب. (19)

4.1.4- التعليم مهنة مفتوحة: في إطار تراكم المعارف وانتشارها من قبل

وسائل الإعلام المختلفة فإنّ المدرسين لم يعودوا المصدر الوحيد للمعرفة كما كانوا في الماضي، فكثيرا من الآباء يمكنهم أن ينقصوا من كفاءة المدرس، بل حتى التلاميذ أصبحوا في وضع يتمكنون فيه من التغلب على المدرسين وقد ساعد على ذلك أن التعليم في المدارس لا يزال يقوم بصورة تقليدية تقليد لفظي أكاديمي، وهو أمر يمكن أن تغني عنه الكتب وبعض وسائل الإعلام بحيث لم يعد معه للمدرسين دور مهني مميّز خاص بهم، وهكذا ليس غريبا أن يؤمن الكثير من الناس بأن مهنة التعليم وخاصة في المرحلة الابتدائية يمكن لأي فرد أن يمارسها. (20)

5.1.4- ضعف العائد المادي: إن التعليم لا يعطي لأعضائها المقابل الذي

يتناسب مع الجهد مقارنة بأجور المهن الأخرى، وضعف مرتبات المدرسين تتجلى بوضوح عند مقارنة الرواتب وخاصة بالنسبة لمدرسي المرحلة الابتدائية، فمرتب مدرس في بعض دول أمريكا الجنوبية وفرنسا لا يكفيه لسد حاجياته، لذا فغالبا ما يعتمد المدرسون على الإعانات والمساعدات التي تقدم من أسرهم، وأيضا أنّ التعليم كمهنة عامة تتسم باتساع القاعدة التي تتعامل معها، واتساع أعداد العاملين

بها أصبحت عاجزة على مكافأة أو إعطاء رواتب للمدرسين وهذه حقيقة يعاني منها المدرسين في معظم أنحاء العالم، وقد أدى قلة الأجر في التعليم إلى البحث عن مصادر دخل أخرى وغالبا ما يكون ذلك على حساب نواحي أخرى من أهمها سمعة المهنة.(21)

6.1.4- صعوبة فرص الترقية: إنّ المهن الأخرى تنتوع فيها فرص للترقية في الوظيفة، وغالبا ما يكون ذلك مرتبطا بنواح مادية وأدبية متمثلة في تقليد وظيفة مرغوبة تصاحبها مسؤوليات لها وزن ومكانة في المجتمع لكن المدرسين لا يحصلون على وظائف كبرى إدارية وتوجيهه إلاّ العدد القليل منهم. وهم الذين وجدوا في التعليم بأن مستواهم لائقا اقتصاديا واجتماعيا، أو ترقية متمثلة في نقل بعض العناصر الممتازة من مدرسين من المناطق الريفية إلى مدارس المدن أو المدارس النموذجية وتظل الترقيات لا تشبع الطموحات التي تتفق والعاملين في المهنة.

7.1.4- التعليم مهنة صعبة ومثقلة: من الصعوبة على المدرس التعامل مع كل الفئات العمرية للتلاميذ بطريقة مناسبة وليس سهلا النزول إلى مستوى المتعلمين وخاصة الأطفال أضف إلى هذا كله الظروف أو البيئات التي يعمل بها المدرسين فكثيرا ما تعاني من ازدحام الفصول، قلة الإمكانيات، كثرة الواجبات المنزلية التي تؤدي خارج حجرات الدراسة والتي تشغل الكثير من وقت المدرس وفي بعض الأحيان بعد المؤسسة يسبب له صعوبة الانتقال إلى المدارس، كل هذا يجعل من التعليم مهنة مثقلة، فقلما يخرج منها المدرس إلى إطار حياته الخاصة أو يستمتع بها على النحو الذي يراه.(22)

8.1.4- انخفاض الإقبال على مهنة التعليم: تعاني مهنة التعليم من انخفاض

واضح لدى المقبلين عليها رغم ما يلاحظ من تزايد الأعداد الملتحقة بكليات التربية، لكن المشكلة تكمن هل كل هذه الأعداد المقتلة للمهنة توجد عندها رغبة حقيقية في الانتساب إليها، والأمر الواقع يبيّن فعلا انخفاضا ملحوظا في الإقبال على الالتحاق بكليات التربية وفق رغبات حقيقية للعمل بالتعليم، وهذا ما أضّر بالعملية التعليمية نتيجة دخول عناصر غير مؤهلة للعمل بمهنة التعليم وقد ساعد في تفاقم هذه المشكلة ما يلي. (23)

1. نظرة القائم بمهنة التعليم لذاته على أنه أقل من غيره من أصحاب المهن الأخرى وبذلك ينتج عدم الثقة في النفس وفي المهنة التي يمارسها.
2. قلة إثارة مهنة التعليم لطموح الأفراد وفي الصعود الاجتماعي السريع
3. إحساس الأفراد بما يتحملة القائم بمهنة التعليم من إرهاق شديد نتيجة كثرة المسؤوليات والأدوار والعمل مع جماعات كبيرة من المتعلمين.
4. شعور الأفراد بسوء الظروف التي يعمل فيها من يمارس مهنة التعليم من حيث اكتظاظ الأقسام وقلة الإمكانيات وتعقد علاقات العمل.
5. ضعف العائد المادي لمهنة خاصة عند من لا يلجأ إلى مسالك أخرى تزيد من دخله كإعطاء دروس خصوصية، وذلك إذا قورن بما يتحصل عليه أصحاب المهن الأخرى والتي لا تتفق إطلاقا ما يبذله المدرس من جهده ووجود فرص متنوعة للعمل خارج مهنة التعليم خاصة في ظل التطورات الحديثة.
6. قلة فعالية التنظيم النقابي الرسمي لمهنة التعليم والمعروف بنقابة المعلمين في الدفاع عن حقوق المهنة وحقوق أعضائها، ويتولى كل ما يخص المهنة من أوضاع وحقوق وواجبات والدفاع عنها إذا ما قورنت بالنقابات الأخرى. (24)

9.1.4- التعليم مهنة محيرة: إنّ مهنة التعليم محيرة حقا وهذا يعود أساسا إلى طبيعتها التي تتطلب على القائم بها متطلبات عديدة وأدوار كثيرة والتي تستوجب أن يكون خارقا للعادة، فالمدرس مطلوبا أن يكون مربيا للشخصية في جميع جوانبها النفسية الجسمية... وأن يكون متفهما ومحبا وصديقا لتلاميذه هذا كله بجانب دوره كعضو في مهنته وبين كثرة هذه الأدوار غالبا ما ينشأ التعارض لهذا قد ينجح البعض منهم في أداء أدوار منها ويفشل في غيرها، أو تجد غالبية المدرسين يهربون من أدائها وإعطائها مكانا هامشيا ومن ثم تبقى هذه المطالب شعارات هامشية جوفاء لكنّها في نفس الوقت تظل مصدرا للتوتر والضيق بالنسبة للمدرس. (25)

10.1.4- مشكلة الهجرة إلى البلدان الأخرى: تعتبر من المشاكل الأساسية التي تعاني منها مهنة التعليم والتي تتمثل استنزافا للعقول من ذوي الخبرة والمهارة ومن ذوي الشهادات الجامعية العلمية والتقنية والفنية، كالأطباء والعلماء والمهندسين والباحثين، وهذا يؤدي إلى افتقار الدول التي يهاجر أبنائها للعناصر القادرة على تحقيق التنمية البشرية السليمة والتي هي أساس لأية تنمية أخرى، ولقد أكدت الدراسات في هذا المجال أنّ أسباب الهجرة تتمثل فيما يلي. (26)

أولا: الأسباب الداخلية: يقصد بها الحالة التي يعيشها المهاجر داخل وطنه والتي تعكس في مجملها أوضاعا المجتمع الفكرية والثقافية بما فيها من تيارات متعددة وضغوط سياسية واجتماعية يتعرض لها المدرس، وقلة وضوح السياسة التعليمية المنتهجة وقلة توفر مناخ الحرية الأكاديمية المشجعة لإبداع والإنتاج الفكري، هذا بالإضافة إلى الأوضاع المادية السيئة والتي تتناسب مع ما يواجهه المدرس من أعباء وما يقع عليه من مسؤوليات.

ثانياً: الأسباب الخارجية: عبارة عن مجموعة من القوى التي تساعد في إغراء واجتذاب هذه الكفاءات والتي تتمثل في الرواتب المغرية مع توفير الإمكانيات اللازمة، وإغراء في المناصب والدرجات العلمية المختلفة مع توفير المناخ المشجع على الإبداع والابتكار.

ثالثاً: الأسباب الذاتية: وهي مجموع الرغبات الداخلية الكامنة عند الشخص الراغب في الهجرة والتي تختلف من فرد لآخر تبعاً لظروفه كوجود رغبة في الحصول على جنسية المجتمع الذي يرغب في الهجرة إليه، إضافة إلى غيرها من الأمور الخاصة. (27)

2.4- صعوبات قطاع التربية الوطنية: عرف قطاع التربية في الجزائر مشاكل عدة، أدت إلى ضعف المستوى، وتعدد حالات العنف داخل المؤسسات التربوية وتذمر كل من التلاميذ والمربين والمسؤولين السياسيين وعدم رضاهم عن أداء قطاع التربية. وهذه الصعوبات تمس جميع المراحل التعليمية منها التعليم الأساسي والتعليم الثانوي والتي يمكن إرجاعها فيما يلي:

1.2.7- المحيط العام للمدرسة: لا يمكن الحصول على مدرسة سليمة ذات مستوى عالٍ إذا كان محيطها معتلاً مليئاً بالنقائص والصعوبات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية لهذا فإنّ المدرسة بما تحتويه من عناصر هي انعكاس لهذا الواقع المتردي.

2.2.7- نقص العناية المادية بقطاع التربية: رغم الارتفاع الظاهري لميزانية قطاع التربية، إلا أنها توجه في غالبيتها إلى أجور المستخدمين إذ أن المتفحص لميزانية التسيير لسنة (1998) المقدرة بـ (124) مليار دينار يتبين له أن (95%) من الميزانية مخصصة للرواتب ويبقى هامش قليل لتغطية النفقات البيداغوجية

للتلميذ والمدرس في مجال التوثيق والتكوين والوسائل التعليمية من جهة والصيانة وتسيير المؤسسات التعليمية من جهة أخرى.

وإذا قاننا ذلك بما هو معمول به في دول أخرى نجد أن المرتبات تمثل أقل من (90%) من الميزانية ونجد في فنلندا مثلاً أن (72%) فقط من الميزانية موجهة لأجور المدرسين والموظفين. (28)

فلا غرابة أن تعرف غالبية المدارس عبر الوطن حالة مزرية من الإهمال فالساحات غير مهياًة بطريقة سليمة القاعات الدراسية باردة، زجاج النوافذ مكسر وهناك مدارس بنيت فيها الأقسام الدراسية دون مكتب للمدير وليس نادراً وجود إدارة بدون إمكانيات، دون كاتبة إدارية، إلى جانب ذلك نجد غياب المطعم المدرسي وقلة النقل المدرسي في الأرياف، ونقص الإمكانيات داخل المؤسسات التربوية، يزيد من معاناة التلاميذ والمدرّسين معا ويؤثر سلباً على مستوى أرائهم.

3.2.7- تدني المكانة الاجتماعية للمدرس: يعاني المدرس من عدة مشاكل

ساهمت في تدني مكانته الاجتماعية من بينها ضعف القدرة الشرائية للمدرس وتحمله مسؤولية فشل التلاميذ ومشاكلهم، بل وحتى المشاكل السياسية والاقتصادية للبلاد، وقد استغل الكثير من المدرسين فرصة تسهيل شروط التقاعد، فتركوا التعليم، ذلك أن تراكم المشاكل اليومية والمهنية للمربين زاد من إحباطهم وضعف مردودهم.

4.2.7- الإدارة المدرسية: تعتبر الإدارة المدرسية من بين حلقات الضعف في

المدرسة الجزائرية إذ أنّ المدرس يترقى إلى منصب مدير بعد عدد معين من سنوات الأقدمية والحصول على علامة محددة في التفتيش، ولهذا تكون عملية تحمل مسؤولية الإدارة مرحلة قبل الخروج إلى التقاعد، وبذلك لا وجود لمعايير

عملية محددة ولا تكوينا مناسباً، فالمدرس الناجح ليس بالضرورة مديراً ناجحاً وبهذا فعدم إعطاء أهمية للإدارة المدرسية وعدم وجود معايير مدروسة وتكوين مناسب لمديري المؤسسات التربوية يؤثر سلباً على العملية التربوية.⁽²⁹⁾

5.2.7- المناهج الدراسية: تتميز المناهج الدراسية بالاحتفاظ وبالاحتواء على الكثير من المعلومات المكثفة والتي لا تخدم الهدف، وكثرة الكتب المدرسية والكراريس المستعملة، وهكذا اهتم التلاميذ بالمواد الثانوية على حساب المواد الأساسية، وضاع التلميذ وأصبحت اهتم التلاميذ بالمواد الثانوية على حساب المواد الأساسية، وضاع التلميذ وأصبحت الدراسة عقاباً له، وصار التلميذ يعمل على تلبية طلبات المدرسين تجنباً للعقاب.⁽³⁰⁾

6.2.7- تدني الدافعية للدراسة: يعاني التلاميذ من مجموعة من المشاكل الأسرية والاجتماعية والمدرسية تعود أسبابها إلى اكتظاظ الأقسام والمواد الدراسية وعدم كفاءة المدرسين وعدم مبالاة الإدارة وغياب محيط مدرسي مشجع، وانشغال الأولياء عن ابنائهم إمّا لانشغالهم بالحياة اليومية، إمّا أنهم يجدون صعوبة في فهم المواد المدرسية، كل هذه العوامل أثرت سلباً على المستوى التحصيلي للتلاميذ وازدادت كذلك من قلق وإحباط المدرسين.⁽³⁾

خلاصة: التعليم مهنة نبيلة، تحمل مسؤولية أخلاقية تتعلق ببناء شخصية الفرد في جميع جوانبها الصحية النفسية، الوجدانية، الفكرية، الأخلاقية قصد إعداده لحياة المستقبل، لكنها في نفس الوقت تعتبر مهنة شاقة ومتعبة تتضمن العديد من الاعتبارات ومحاطة بظروف متشابكة على المدرس مراعاتها إن أراد أن يقوم بدوره على أحسن وجه، ولعل من أهم تلك الاعتبارات أن يكون مستعداً لممارستها معرفة مرحلة نمو التلاميذ وقدراتهم والفروق الفردية بينهم وخلفياتهم الاجتماعية

بالإضافة إلى ذلك معرفة الأسس الفلسفية والسياسية والاجتماعية التي تتبناها المدرسة ومختلف المناهج المطبقة، وأن يكون على إطلاع دائم فيما يخص المستجدات الحاصلة في ميدان تخصصه، مع تحسين علاقاته المهنية وذلك قصد تفادي الضغوط الناجمة عن المهنة.

قائمة المراجع:

- 1- بوفلجة غيات، التربية والتعليم بالجزائر، دارا لغرب للنشر والتوزيع الجزائر، ط2، 2006.
- 2- تركي رابح عامرة، اصول التربية والتعليم، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1990.
- 3 - جابر عبد الحميد جابر، مدرس القرن الحادي والعشرين الفعال المهارات والتنمية المهنية، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان، ط1، 2000.
- 13- نواف أحمد سمارة، عبد السلام موسى العبدلي، مفاهيم ومصطلحات في العلوم التربوية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008.
- 14- لستر سميث تر رمزي عبد الفتاح بحث تمهيدي، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، القاهرة 1963.
- 15- محمد أحمد كريم، عنتر لطفي محمد وآخرون، مهنة التعليم وأدوار المعلم فيها، شركة الجمهورية الحديثة للنشر والتوزيع، مصر، 2002.
- 16- محمد الدريج، تحليل العملية التعليمية، قصر الكتاب للنشر والتوزيع، الرباط 2000. المنشورات الوزارية

- 17 - وزارة التربية الوطنية، مديرية التعليم الأساسي، اللجنة الوطنية للمناهج الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص3.
- 18- وزارة التربية الوطنية، المسار الدراسي للتعليم الأساسي، 2009.

الهوامش:

-
- (1) نواف أحمد سمارة، عبد السلام موسى العديلي، مفاهيم ومصطلحات في العلوم التربوية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008..ص:5
- (2) لستر سميث تر رمزي عبد الفتاح، بحث تمهيدي، 2 دار الفكر العربي للنشر والتوزيع القاهرة، 1963. ص10
- (3) نواف أحمد سمارة، عبد السلام موسى العديلي، مرجع سابق، ص55.
- (4) محسن علي عطية، الاستراتيجيات الحديثة في التدريس الفعال، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان، ط1، 2008، ص25.
- (5) نفس المرجع، ص26.
- (6) عبد الله عمر الفراء، مدخل إلى تكنولوجيا التعليم، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان 1999، ص66.
- (7) <http://teachegypt.net/showthread.php?t=2519>
- (8) وزارة التربية الوطنية، المسار الدراسي للتعليم الأساسي، 2009.
- (9) عبد الله رشدان، مرجع سابق، ص103.
- (10) محمد الدريج، تحليل العملية التعليمية، قصر الكتاب للنشر والتوزيع، الرباط، 2000. ص14.
- (11) جابر عبد الحميد جابر، مدرس القرن الحادي والعشرين الفعال المهارات والتنمية المهنية دار الفكر للنشر والتوزيع عمان، ط1، 2000، ص 38.

- (12) محمد عبد الباقي أحمد، **المعلم والوسائل التعليمية**، المكتب الجامعي الحديث للنشر والتوزيع، مصر، ص ص، 43، 44.
- (13) محمد الدريج، مرجع سابق، ص15.
- (14) نفس المرجع، ص15.
- (15) محمد الدريج، مرجع سابق، ص16.
- (16) وزارة التربية الوطنية، مديرية التعلم الأساسي، **اللجنة الوطنية للمناهج**، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص3.
- (17) تركي رباح عامرة، **أصول التربية والتعليم**، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع الجزائر، ط2، 1990، ص256.
- (18) نفس المرجع، ص256.
- (19) وزارة التربية الوطنية، المسار الدراسي للتعليم الأساسي، 2009.
- (20) محمد أحمد كريم، عنتر لطفي محمد وآخرون، **مهنة التعليم وأدوار المعلم فيها**، شركة الجمهورية الحديثة للنشر والتوزيع، مصر، 2002، ص46.
- (21) نفس المرجع، ص46.
- (22) محمد أحمد كريم، فاروق شوقي البوهي، مرجع سابق، ص39.
- (23) مجدي المهدي، مرجع سابق، ص217.
- (24) وزارة التربية الوطنية، المسار الدراسي للتعليم الأساسي، 2009.
- (25) محمد أحمد كريم، فاروق شوقي البوهي، مرجع سابق، ص41.
- (26) مجدي المهدي، مرجع سابق، ص225.
- (27) مجدي المهدي، مرجع سابق، ص ص227، 228.
- (28) بوفلجة غيات، **التربية والتعليم بالجزائر**، دارا لغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2 2006، ص65، 66.

علاقة الذكاء الانفعالي بكل من تقدير الذات ومستوى الطموح لدى الطالب الجامعي الجزائري.

أ. محذب رزيقة

جامعة مولود معمري. تيزي- وزو (الجزائر)

مقدمة: يتضمن مفهوم الذكاء الانفعالي القدرة على الانتباه والإدراك الجيد للانفعالات والمشاعر الذاتية وفهمها وصياغتها بوضوح وتنظيمها وفقاً لمراقبة وإدراك دقيق لانفعالات الآخرين ومشاعرهم، للدخول معهم في علاقات اجتماعية ايجابية تساعد الفرد على الرقيّ العقلي والانفعالي والمهني، وتعلم المزيد من المهارات الإيجابية للحياة.

حيث عرف كل من الباحثين ماير وسالوفي (1997) أن الذكاء الانفعالي هو قدرة الفرد على إدراك انفعالاته للوصول إلى تعميم ذلك الانفعال ليساعده على التفكير وفهم ومعرفة انفعالات الآخرين، بحيث تؤدي إلى تنظيم وتطوير النمو الذهني المتعلق بتلك الانفعالات.⁽¹⁾

إنّ الاهتمام بالذكاء ودراسته أدى إلى الكشف الهام عن الذكاء الانفعالي والجعل من الفرد ضابط لانفعالاته ومحوراً لها من انفعالات سلبية إلى انفعالات ايجابية مما يؤكد أن الفرد الأكثر ضبطاً لانفعالاته هو الأكثر ذكاء وجدانياً وكما أن المنضبط انفعالياً هو الماهر اجتماعياً وصاحب تواصل اجتماعي ايجابي، ومن خلال الدراسات التي تناولت الذكاء الانفعالي وعلاقته بالمتغيرات النفسية نجد دراسة محمد فرج (2005) التي هدفت إلى دراسة الذكاء الانفعالي وعلاقته بكل من مشاعر الغضب والعدوان لدى طلاب الجامعة، حيث يتضح أن الأشخاص ذو الذكاء الانفعالي المنخفض هم من لديهم مشاعر الغضب والسلوك العدوانية.

كما تؤكد دراسة **سعيد سرور (2000)** أن هناك فروقا في مواجهة الضغوط تبعًا لاختلاف مستوى الذكاء الانفعالي، ويعد هذا الأخير مدخلاً جديداً لتنمية قدرات الأفراد وتهيئتهم للحياة بصورة أفضل ويساعدهم على استثمار قدراتهم إلى أقصى حد ممكن، ويتبين ذلك من دراسة **دانييل جولمان (1995)** و**موراي (1994)** فيما يتعلق باحتمالات النجاح في الحياة، أن ما بين 10% إلى 20% فقط من التباين في اختبارات النجاح المهني، يمكن أن يعزى لقدرات عقلية، في حين يتطلب النجاح المهني قدرات أوسع من ذلك كمهارات اجتماعية وضبط الانفعالات وإدارة وحفز الذات، ومما لا شك فيه أن نجاح الطالب وتفوقه الأكاديمي يتوقف على عدة عوامل ثقافية واجتماعية وصحية ونفسية، إلا أن الانفعالات تعتبر عاملاً رئيسياً، وقد أعطى **(دانييل جولمان) Daniel golman** مجموعة من المهارات الانفعالية والاجتماعية التي تميز مرتفعي الذكاء الوجداني، وتشمل: الوعي بالذات، التحكم في الاندفاعات، المثابرة، الحماسة، الدافعية الذاتية، التقمص العاطفي، اللياقة الاجتماعية.

كما أشار بأن انخفاض تلك المهارات الانفعالية والاجتماعية ليس في صالح تفكير الفرد أو نجاحه في تفاعلاته المهنية، بالإضافة إلى ذلك يتسم الذكور ذوي الذكاء الانفعالي المرتفع بأنهم متوازنون اجتماعياً، ولا يميلون إلى الاستغراق في القلق، ويتمتعون أيضاً بقدرة ملحوظة على الالتزام بالقضايا، وبعلاقتهم بالآخرين وتحمل المسؤولية، وهم أخلاقيون وتتسم حياتهم الانفعالية بالثراء فهي حياة مناسبة وهم راضون فيها عن أنفسهم وعن الآخرين وعن المجتمع الذي يعيشون فيه، أما الإناث ذوات الذكاء الانفعالي المرتفع فيتصفون بالحسم والتعبير عن سلوكهن بصورة مباشرة، ويتقن في مشاعرهن، والحياة بالنسبة لهن لها معنى، واجتماعيات غير متحفظات، ويستطعن التحفظ مع الضغوط النفسية، ومن السهل تحقيق توازنهن الاجتماعي، وتكوين علاقات جديدة.⁽²⁾

فيعدّ طلبة الجامعات عماد الأمة بشكل عام وزهرة المجتمع بشكل خاص وهم نخبة الجامعة الصاعدة، وتهتم معظم الدراسات بطلبة الجامعة لما لها من الأثر على الحياة والتأثير في المجتمع في مجال العلم، ونجاح طلبة الجامعة يعتمد في الدرجة الأولى على كيفية تفاعلهم مع الأحداث والأشخاص المحيطين بهم، واهتمت الكثير من الدراسات بالطلبة الجامعيين ووجّهت الاهتمام بالدرجة الأولى على المتغيرات التي تؤثر على مستوى التحصيل الأكاديمي لديهم، وبدأت تسود الآن البحوث التي تربط بين قدرات الفرد العقلية وصحته النفسية وتقديره لذاته وطموحاته لما لها الأثر الأكبر على حياة الطالب الجامعي.

كما أن الفرد الذكيّ انفعاليًا لديه صورة ايجابية عن ذاته، ويقدر ذاته حق قدرها، ويتمثل التقدير المرتفع للذات في الثقة بالنفس واحترام الذات وتقديرها وحتى يصبح الفرد سعيداً مع نفسه، عليه أنّ يحدث نوعاً من التوازن بين مطالب الهو ومطالب الذات العليا، أي عليه أن يشبع قدرًا كافيًا من حوافزه دون أن يشعر بالإحباط طوال الوقت وذلك دون أن يصاب بالضرر، وبطريقة تسمح له بالشعور بأنه شخص مهذب ومقبول، حيث يكون صورة عن نفسه يحبها ويرغب فيها وعندئذ يتكون لديه تقدير الذات بدرجة عالية، فكل فرد ينظر إلى نفسه بطريقة ما تختلف عن الآخرين، فالبعض يرون أنفسهم أقل من الآخرين، فلا يتصرفون بإقبال وحماس، والبعض الآخر يقدر نفسه حق قدرها، فينعكس ذلك على سلوكهم ونجدهم يتصرفون بشكل أفضل من غيرهم.

كما أنّ التقدير الذي يضعه الفرد لنفسه يؤثر بوضوح في تحديده لأهدافه ولاتجاهاته ولاستجاباته نحو الآخرين ونحو نفسه، ولقد حظي هذا بالعديد من المنظرين في مجال الصحة النفسية إلى تأكيد أهمية تقدير الذات في حياة الأفراد وإيريك فروم **Erick From (1939)** أحد الأوائل الذين لاحظوا الارتباط الوثيق بين تقدير الشخص لنفسه ومشاعره نحو الآخرين حيث أشار إلى أنّ الإحساس ببغض الذات لا ينفصل عن الإحساس ببغض الآخرين، ويشير رانجيت سنيج

مالهي وآخرون (2006) أنّ ضعف تقدير الذات يرتبط بشكل ملموس بالعديد من الاضطرابات النفسية كالاكتئاب والقلق والتوتر والعصبية، والنزوع إلى العدوانية والخجل وقلة الشعور بالرضا في الحياة، وكما أنّ الطموح يلعب دوراً بارزاً لدى الإنسان بشكل عام والطالب الجامعي بشكل خاص، وهذا الدور البارز يعمل بمثابة حافز يدفع الطالب للقيام بسلوكات معينة للوصول إلى هدف ما، وهذا يعتمد على مدى كفاءة الطالب وقدراته وتقديره لذاته، وما دام هناك طموح، فإنه لا يوجد سقف للتطور والتقدم، وبذلك يعتبر الطموح أيضاً من الثوابت التي تميّز طالب عن آخر حسب الظروف البيئية والاجتماعية والنفسية التي نشأ فيها، حيث أنّ الطالب الطموح يتميّز بالاتزان الانفعالي السويّ، لذلك فهو أكثر استبصاراً بذاته وبقدرته على مواجهة المواقف التي تواجهه في تحقيق أهدافه، لذلك فهو أكثر ثقة بالمستقبل فالطلاب يختلفون من حيث أنماط الطموح التي يسعون إليها، فإذا كان بعض الطلاب لهم طموحاتهم الاقتصادية، فالآخرون لهم طموحاتهم الاجتماعية، بينما البعض الثالث لهم طموحاتهم الثقافية، والرابع لهم طموحاتهم المهنية، وكذلك مستوى الطموح مرتبط ارتباطاً قوياً بعدة عوامل لعل من أهم هذه العوامل التنشئة الأسرية والاجتماعية، والتي بطبيعة الحال تؤثر بشكل كبير جداً على ثقة الطالب بنفسه، ونظرته عن نفسه، وكذا تقديره لذاته.

أ- الذكاء الانفعالي:

1- تعريف الذكاء الانفعالي: - يقول ماير وسالوفي Mayer et Salovey

(2000) على أنّ الذكاء الانفعالي هو أيضاً الذكاء العاطفي وذكاء المشاعر ويعرفه على أنه: "مجموعة من المهارات والكفاءات العقلية المرتبطة بتجهيز ومعالجة المعلومات الانفعالية وتخص بصفة عامة بادرار الانفعالات واستخدام الانفعالات في تسيير عملية التفكير والفهم الانفعالي وتنظيم وإدارة الانفعالات." (3)

2- نماذج ونظريات الذكاء الانفعالي: مع حداثة مفهوم الذكاء الانفعالي، إلا أنّ

العديد من النماذج والنظريات تسارعت في الظهور لشرح مكوناته وأبعاده، وساهم

الاتصال المباشر بشبكة المعلومات (internet) وانتشارها في جميع أنحاء العالم وسهولة الوصول إلى مصادر المعلومات، وثورة المعلومات وسهولة الاتصالات بين الباحثين والعلماء في سرعة ظهور تلك النماذج للمفاهيم التي ظهرت حديثاً مثل مفهوم الذكاء الانفعالي ومن بين هذه النماذج نجد:

1-2- نموذج القدرات لماير وسالوفي Mayer et Salovey (1997): يقوم هذا النموذج على تعريف الذكاء بأنه: "القدرة على الإدراك الدقيق والتقدير الجيد والصياغة الواضحة للانفعالات الشخصية، وترقية وتطوير المشاعر لتيسير وتسهيل عمليات التفكير، وفهم الانفعالات وتنظيمها والسيطرة عليها والمعرفة الانفعالية لزيادة النمو الانفعالي المعرفي".

2-2- نموذج الكفاءات والمهارات لدانيل جولمان: Daniel Goldman (1998):

عرف الذكاء الانفعالي باعتباره مجموعة من الكفاءات (compétences) الشخصية، ويعرف الذكاء على أنه مجموعة من القدرات الأساسية للذكاء الانفعالي وتعتبر عن نفسها في مجال العمل كمهارات للتعامل مع الآخرين وحل الصراعات والجدول التالي يوضح مكونات هذا النموذج:

جدول رقم (01): نموذج جولمان Goldman (1995) يوضح كفاءات ومهارات الذكاء الانفعالي.⁽⁴⁾

المعرفة الأساسية	الكفاءة الشخصية	الكفاءة الاجتماعية
المعرفة Recognition	* الوعي الذاتي: self awareness - الدقة في تقييم الذات. - الثقة بالذات.	*الوعي الاجتماعي: social- awareness - توجيه الخدمة. - الوعي المؤسسي.

Relationship management	* إدارة الذات: self management	التنظيم Régulation
تطوير الآخرين	التحكم في الذات	
التأثير في الآخرين	الثقة والجدارة.	
الاتصال بالآخرين	التوافق	
إدارة الصراع وحل النزاعات	الإنجاز.	
- القيادة والعمل في فريق.	التحديث أو الإبداع.	

3-2- نموذج بار- أون Bar-on (1997):

هدفت نظرية بار- أون (1997) إلى فهم كيفية تمكن بعض الأفراد من النجاح في الحياة بينما يفشل البعض الآخر، وقد قدم عام (1997) نموذجاً للذكاء الوجداني يشمل على خمسة عشر بعداً فرعياً هي:

- الذكاء الوجداني داخل الشخص: ويتضمن خمسة أبعاد فرعية هي: الوعي بالذات الوجدانية والتوكيدية، واعتبار الذات، وتحقيق الذات والاستقلالية.
- الذكاء الوجداني بين الأشخاص: ويتضمن ثلاثة أبعاد فرعية هي: التعاطف والعلاقات بين الأفراد والمسؤولية الاجتماعية.
- القدرة على التكيف: ويتضمن ثلاثة أبعاد فرعية هي: حل المشكلة، اختبار الواقع والمرونة.
- إدارة الضغوط: ويتضمن بعدين فرعيين هما: تحمل الضغوط وضبط الاندفاعات.

- المزاج العام: ويتضمن بعدين فرعيين هما: السعادة والتفاؤل.⁽⁵⁾

4-2- نموذج ديفيد كامبل David Campbell (1981): هو نموذج مؤسس

لشرح كفاءات القيادة ويسمى قائمة كامبل للقيادة في المعاملات الإنسانية، وتم استعارته لدى بعض الكتاب لهذا النموذج للذكاء الانفعالي، ويتكون من خمس مجموعات من السمات القيادية وكل منها يشمل على عدد من الخصائص المنفردة وهي:

- المهارات الاجتماعية: يشمل الطموح والبعد في وجهة النظر والخبرة والأصالة والتحدي والإقناع.

- الدافعية: يشمل النشاط والحيوية والبحث الدائم عن إشباع حاجات الجماعة.

- التأثير الاجتماعي: يشمل مراعاة مشاعر الآخرين والحنان والصدقة ومنح السلطة.

- الدعم الاجتماعي: يشمل التنظيم والثقة والإنتاج والاقتصاد.

- إدارة الذات: يشمل الهدوء والتفؤل والمرونة والثقة.⁽⁶⁾

2-5- نموذج مسيت Msceit: هذا نموذج مشتق من نموذج "ماير وسالوفي"

ويرى بأنّ الذكاء الانفعالي مجموعة من الاستعدادات غير المعرفية وكفاءات ومهارات تؤثر في قدرة الفرد على النجاح والتوافق مع متطلبات وضغوط البيئة الخارجية، ويرى أنّ الذكاء الانفعالي ينتج عن توافر:

- المكونات الشخصية: والتي تتمثل في الوعي بالانفعالات الذاتية والإصرار وتحقيق الذات وتقدير الذات والاستقلال.

- المكونات الاجتماعية للشخصية: والتي تتمثل في التعاطف والعلاقات الاجتماعية الناجحة، والمسؤولية الاجتماعية.

- إدارة الإجهاد: ويتمثل في حل المشكلات والمرونة واختبار الحقيقة.

- القدرة على التكيف: وتتمثل في القدرة على تحمل الجهد والسيطرة على الاندفاع والتروي في الموقف المشكل.

- المزاج العام: المتمثل في السعادة والتفؤل في الحياة.⁽⁷⁾

3- مكونات وأبعاد الذكاء الانفعالي: تباينت آراء العلماء والباحثين حول

مكونات وأبعاد الذكاء الانفعالي، ويشير ماير وسالوفي Mayer et Salovey أنّ الذكاء الانفعالي يتكون من أربعة أبعاد وهي:

1- إدراك الانفعالات: وهي القدرة على إدراك مشاعر الفرد ومشاعر من حوله

من البشر، أي التعرف على انفعالات الوجود والتصميمات.

2- استعمال الانفعالات: أي القدرة على إنتاج وترقية الانفعال، وكيفية التفاهم والتعامل مع الانفعال، أي تحسين التفكير وتوظيف الانفعالات.

3- فهم الانفعالات: أي القدرة على فهم الانفعالات المعقدة أو السلاسل الانفعالية وكيفية انتقال الانفعالات من مرحلة إلى أخرى.

4- إدارة الانفعالات: تشير إلى القدرة على إدارة انفعالات الفرد في علاقتها بالانفعالات الآخرين.⁽⁸⁾

وتوصل فاروق عثمان ومحمد عبد السميع (1998) إلى أن الذكاء الانفعالي يتكوّن من خمسة أبعاد هي:

1- المعرفة الانفعالية: القدرة على الانتباه والإدراك الجيد للانفعالات والمشاعر الذاتية وحسن التمييز بينهما مع الوعي بالعلاقة بين الأفكار والمشاعر الذاتية والأحداث الخارجية.

2- إدارة الانفعالات: القدرة على التحكم في الانفعالات السلبية وكسب الوقت للتحكم فيها وتحويلها إلى انفعالات ايجابية، مع ممارسة مهارات الحياة الاجتماعية والمهنية بفاعلية.

3- تنظيم الانفعالات: القدرة على تنظيم الانفعالات والمشاعر وتوجيهها إلى تحقيق الانجاز والتفوق واستعمال المشاعر والانفعالات في صنع أفضل القرارات وفهم كيف يتفاعل الآخرون انفعالات مختلفة؟ وكيف تتحول الانفعالات من مرحلة إلى أخرى؟

4- التعاطف: القدرة على إدراك انفعالات الآخرين والتوحد معهم انفعاليًا مع فهم مشاعرهم وانفعالاتهم والتناغم معهم.

5- التواصل: التأثير الايجابي القوي في الآخرين، ومتى تتبعهم وتساندهم والتصرف معهم بطريقة لائقة.⁽⁹⁾

ب- تقدير الذات:

1- **تعريف تقدير الذات:** ويعرفه كوبر سميث **Cooper Smith** بأنه الحكم الشخصي للفرد على قيمته الذاتية، والتي يتم التعبير عنها من خلال اتجاهات الفرد نحو نفسه، وأن الصورة الصادقة التي يكوّنها الفرد عن نفسه تعتمد بالدرجة الأولى على تقديره لذاته. (10)

2- **العوامل المؤثرة في تقدير الذات:** هناك عوامل متضافرة تعمل على تحديد مفهوم الذات عند الفرد وتقديره لها، منها ما هو وراثي كالاستعدادات والقدرات ومنها ما هو بيئي مكتسب كالقيم التي تسود الثقافة التي ينتمي إليها الفرد.

1- **العوامل الشخصية:** هناك العديد من العوامل الشخصية نلخص بعضها فيما يلي:

- **متغيرات نفسية وعقلية:** يساهم النمو العقلي الطبيعي والتفوق والابتكار على ظهور تقدير الذات السليم أما التأخر العقلي فيؤدي إلى الشعور بالنقص ومنه تقدير الذات المنخفض، وعليه فإذا كان الفرد متمتعاً بصحة نفسية جيّدة ساعده ذلك على نموه طبيعياً ويكون تقديره لذاته مرتفعاً، أما إذا كان الفرد من النوع القلق غير المستقر فإنّ فكرته عن ذاته تكون منخفضة وبالتالي ينخفض تقديره لذاته.

- **متغير الجنس:** أما تأثير عامل الجنس في تقدير الذات فقد اهتم بذلك عدة باحثين بالدراسة والتحليل لحصر الاختلاف بين الذكور والإناث في سمة تقدير الذات، ففي هذا المجال برزت نتائج متباينة، ففيما توصلت بعض الدراسات إلى وجود فروق بين الجنسين أوضحت نتائج أخرى عدم وجودها.

- **صورة المرء عن جسمه:** فالفرد يستمد من الثقافة السائدة معلوماته حول النموذج الجيّد للجسم، ويقارن تلك المعلومات بما هو عليه، وينعكس ذلك في مدى رضاه عن صفاته الجسمية. (11)

2- **العوامل المحيطة:** تؤثر البيئة الخارجية على تقدير الفرد لذاته، فإذا كانت تهيبّ له المجال والانطلاق والإنتاج والإبداع، فإنّ تقديره لذاته سيزداد، أما إذا

كانت محببة له تصنع أمام الفرد العوائق لمنعه من استغلال قدراته بشكل لا يستطيع تحقيق طموحاته فإنّ تقديره لذاته سينخفض.⁽¹²⁾

ومن بين هذه العوامل نجد:

- **متغيرات أسرية:** فالتنشئة الأسرية لا تخلو من تحمل مسؤولياتها عن تشكيل تقدير الذات لدى أفرادها، بما تظهره من اتجاهات نحوهم وتوفره من إشباع الحاجات النفسية الأساسية، وهي المسؤولة عن إشعارها بأنهم مقبلون من طرف آخر، وإنهم مرغوب فيهم حتى يستطيعون تقبل ذواتهم.⁽¹³⁾

- **متغيرات مدرسية:** كما نعلم أنّ الأفراد يرغبون دائماً النظر إليهم على أنهم أفراد ذوي قيمة، ففي المجال المدرسي نجد التلاميذ الذين لديهم فكرة إيجابية عن أنفسهم بالمقارنة مع التلاميذ الذين لديهم فكرة سلبية عن ذواتهم، يمكن لهم مواصلة تعليمهم إلى مستويات عالية وتحقيق النجاح وقادرين على مواجهة الصعوبات والعراقيل التي تواجههم في المدرسة باستغلال قدراتهم وإمكاناتهم المتوفرة لديهم وهذا ما أظهرته دراسة **هارتر Harter (1990)** ودراسة **باتريك وتشامبن، Patrick et Chambon** حول تقدير الذات والنجاح المدرسي، حيث أنّ التلاميذ الذين لديهم تقدير ذات إيجابي يستغلون إمكاناتهم وقدراتهم في التعليم والأداء المدرسي أكثر من غيرهم ذوي تقدير الذات السلبي، وهذا يعني حسب **هيلمك Helmke وفان أكان Van Akan (1995)** أنّ تقدير الذات وتقييم الطالب لذاته يؤثر على نجاحه المدرسي ودافعيته للنجاح.⁽¹⁴⁾

- **متغيرات اجتماعية:** وفي هذا الصدد يشير الباحث **علي سعيد (1993)** إلى أنّ مفهوم ذات الفرد وتقديره لها يرتبط بما يعيشه من خبرات ويتوقف تأثيره على طبيعة هذه الخبرات، فالخبرات الإيجابية هي تلك التي تتسجم مع مفهوم الذات وتقديرها ومع المعايير الاجتماعية وهي التي تؤدي بالفرد بالشعور بالطمأنينة والسعادة، بينما تترك الخبرات السالبة التي تنتج عن تعارض قوانين الضبط

المعيارية مع مفهوم الذات وتقديرها قيمة سالبة والشعور بالإحباط والتوتر والهزيمة، وبالتالي بروز الاضطرابات في العلاقات الاجتماعية.⁽¹⁵⁾

- **المستوى الاقتصادي والاجتماعي:** يلعب المستوى الاجتماعي والاقتصادي دوراً بارزاً في تقدير الفرد لذاته، غير أنّ هذه المسألة لا تزال تثير الجدل رغم وجود دراسات تشير إلى أنّه من الأكثر احتمالاً أنّ توجد علاقة بين تقدير الذات والمستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة، ويُرجع بعض الباحثين السبب إلى أنّ المستوى الاجتماعي مؤثر على المكانة والاعتبار والنجاح، وأن الأشخاص الذين يحتلون مكانة أعلى في النظام الاجتماعي لهم عادة وظائف ومناصب عمل أفضل ويحصلون على دخل أعلى، ويتمتعون بمستوى معيشي مرتفع، ويُنظر إلى هؤلاء على أنّهم أكثر نجاحاً، وينظرون إلى أنفسهم على أنّهم أكثر أهمية.⁽¹⁶⁾

3- النظريات المفسرة لتقدير الذات: لقد تباينت آراء الباحثين في تفسيرهم لتقدير الذات، وكل منهم ركز على جانب دون الآخر، ولكل منهم اتجاهاته الخاصة، ومنهج في إثبات المتغير، ومن بين هذه الاتجاهات نذكر:

3-1- نظرية التحليل النفسي: يعتبر المحليون النفسيون أمثال فرويد **Freud**، **يونغ Yong**، **أدلر Adler**، أن تقدير الذات مرتبط بالأنا الأعلى، فالأنا يمثل ذلك القسم من العقل الذي يشمل الشعور والحركة الإدراكية، يقوم بمهمة حفظ الذات ويخضع لمبدأ الواقع، كما يعمل على تحقيق التوافق مع المحيط في حل الصراع بين الفرد ومحيطه.

أما الأنا الأعلى فيقوم بوظيفة تقويم سلوك الفرد والتحكم في طريقة إشباع حاجاته، فهو ذلك القسم من العقل الذي يمثل الوالدين والمجتمع ويتشكل الأنا الأعلى من أساليب الكبت التي يمرّ بها الفرد أثناء تطوره في الطفولة الأولى.⁽¹⁷⁾

3-2- النظرية المعرفية: ارتكزت أعمال روزنبرغ **Rosenberg (1975)** حول دراسة نمو سلوك تقييم الفرد لذاته، وسلوكه من زاوية المعايير السائدة في الوسط الاجتماعي المحيط به، وقد اهتم بالدور الذي تقوم به الأسرة في تقدير الفرد

لذاته، وعمل على توضيح العلاقة بين تقدير الذات الذي يتكوّن في إطار الأسرة وأساليب السلوك الاجتماعي للفرد مستقبلاً، مستعيناً بمنهج مفهوم الاتجاه باعتباره أداة محورية تربط بين السابق واللاحق من الأحداث والسلوك.⁽¹⁸⁾

3-3- النظرية السيكلولوجية المعرفية: يؤكد إيس (1961) أنّ أساليب التفكير

الخاطئة والسلبية عن الذات تؤثر في سلوك الفرد تأثيراً سلبياً، فإذا كان نسق التفكير واقعياً والنظرة موضوعية فإنّ النتائج تكون تقديراً مرتفعاً للذات، أما إذا كان هذا النسق غير عقلانياً فإنّ الاضطراب الانفعالي هو المتوقع والمصاحب لتقدير الذات المنخفض.⁽¹⁹⁾

3-4- النظرية الاجتماعية: أما زيلر (1973) فقد تعامل مع تقدير الذات

باعتباره يمثل البناء الاجتماعي ويصف تقدير الذات بأنه تقدير يقوم به الفرد لذاته ويلعب دور المتغير الوسيط، أو أنه يشغل المنطقة المتوسطة بين الذات والعالم الواقعي.

وعلى ذلك عندما تحدث تغيرات في بيئة الشخص الاجتماعية، فإنّ تقدير الذات هو العامل الذي يحدد نوعية التغيرات التي ستحدث في تقييم الفرد لذاته تبعاً لذلك ولهذا افترض زيلر أنّ الشخصية التي تتمتع بدرجة عالية من التكامل تحظى بدرجة عالية من تقدير الذات.⁽²⁰⁾

4- مستويات تقدير الذات: سنتعرض إلى هذه المستويات فيما يلي:

4-1- تقدير الذات المرتفع: لقد أظهرت الدراسات التي أجريت في مجال

تقدير الذات أنّ الأشخاص ذوي التقدير المرتفع لنواتهم يؤكدون دائماً على قدرات وجوانب قوتهم وخصائصهم الطيبة.⁽²¹⁾

4-2- تقدير الذات المنخفض: يرى روزنبرغ Rosenberg أنّ هؤلاء الأفراد

يفضلون الابتعاد عن النشاطات كما يميلون للخضوع وتغيير أفكارهم تبعاً للمحيط الاجتماعي، حتى إنّ كانت لا تتماشى مع خصوصياتهم النفسية، فهم يميلون إلى التقليد الأعمى، ولا يتخذون القرارات بسهولة اعتقاداً منهم أنّ الحلول الجيدة لا

يمكن أن تصدر عنهم، متخوفون من أحكام المجتمع اتجاههم، ولا يتكلمون عن ذواتهم. (22)

5- تقدير الذات ومستوى الطموح: هناك مصدران للطموح أولهما الشخص نفسه والثاني الثقافة التي يعيش في إطارها، إن فكرة الفرد عن نفسه تؤثر في مستوى طموحه، حيث أن طموح الفرد يتأثر بتقديره لذاته ولكن يحدث أن يضع المراهقون الذكور أهدافهم وإنجازاتهم، وفي حالة فشلهم تضعف ثقتهم بأنفسهم ويؤدي ذلك إلى تقويم منخفض للذات، ويمكن أن يخفض المراهق من طموحاته لتجنب الفشل وإذ قاده ذلك إلى تحقيق نجاح سهل، فربما ألقى اللوم لفشله السابق عن الآخرين، إن ذلك يؤدي إلى تقدير سلبي للذات. (23)

هناك ارتباط موجب بين تقدير الذات والعلاقات الاجتماعية المتبادلة، من هنا فلو نظرنا إلى تقدير الذات كدافع فإن أهميته تعتبر واضحة، إذ أنه يحدد وعي الفرد بذاته وقدراته وبالتالي فإن لتقدير الذات تأثيراً تشبثياً على مستوى الوعي العام لدى الفرد، ويحدد وجهة الضبط الداخلي مما يؤدي إلى رفع مستوى طموحه الذي يؤثر على درجة تقبل الفرد للمعلومات، حيث ترتفع درجة الانتباه، ومن ثم يؤثر على التحصيل والإنجاز في ذات الوقت، حيث تتعكس المعادلة التي صاغها "جيمس" تلك العلاقة بين تقدير الذات والطموح والإنجاز حيث يرى أن تقدير الذات = الطموح/الإنجاز. (24)

على حين يرى "مادي" Maddi (1989) أن الصورة المثالية للنمو لدى الفرد تتمثل في قيامه بتطوير ذاته تلقائياً، حيث يتميز هذا النمط من أنماط الذات بتقدير عالٍ للذات والثقة فيها وبالطموح وتنمو مواهب المرء ومهارته لخدمة طموحاته وتحقيق أهدافه. (25)

الإنسان الذي يخبر نفسه جيداً، ويعرف قدراته وإمكانياته ويسير في الحياة وفق هذه القدرات والإمكانيات، هو الإنسان الذي ينظر بواقعية إلى المستقبل، يقدر نفسه ويعرف حقيقتها، ويسير في الحياة وفق ما لديه من قدرات، لذلك فإن مستوى

الطموح عند هذا الإنسان سيكون مرتفعاً، وهناك علاقة طردية وثيقة بين مستوى الطموح وفكرة الفرد عن نفسه، حيث يزداد احترام الإنسان لنفسه وتقديره لذاته، إذا حقق مستوى طموحه أما إذا أخفق في ذلك فإنه يصغر ذاته بل يكرهها ويحتقرها أحياناً. (26)

6- تقدير الذات والذكاء الانفعالي: يبدو من التعريف الذي وضعه "إيريك فروم" أنه قد لمس عن قرب، أو تعرض دون قصد لما يمكن أن يسمى بالذكاء العاطفي (الوجداني) أو الانفعالي وذلك المفهوم الذي ذاع صيته في العقد الثامن من القرن العشرين، والذي ظهر لأول مرة في سلسلة المقالات التي كتبها ماير وسالوفي (1990-1993)، حيث عرف كل من ماير وسالوفي (1993) الذكاء الانفعالي بأنه نوع من الذكاء الاجتماعي يشمل القدرة على مراقبة عواطف الشخص وعواطف الآخرين للتمييز فيما بينهما واستخدام المعلومات لتوجيه تفكير الشخص وأفعاله، على حين عرف "جولمان دانيل" الذكاء الانفعالي بأنه مجموعة من المهارات اللازمة للنجاح المهني وفي الحياة، ويعطي جولمان (1995) مجموعة من المهارات الانفعالية والاجتماعية التي تميّز مرتفعي الذكاء الانفعالي وتشمل الوعي الذاتي، التحكم في الاندفاعات، المثابرة، الحماس، والدافعية الذاتية النقص العاطفي، واللياقة الاجتماعية. (27)

ج- مستوى الطموح:

1- تعريف مستوى الطموح:

- تُعرف كاميليا عبد الفتاح (1990) مستوى الطموح على أنه: "سمة ثابتة ثباتاً نسبياً تفرق بين الأفراد في الوصول إلى مستوى معين يتفق والتكوين النفسي للفرد وإطاره المرجعي، ويتحدد حسب خبرات النجاح والفشل التي مرّ بها". (28)

- يعرف أحمد عزت راجح (1973) مستوى الطموح على أنه: "المستوى الذي يرغب الفرد في بلوغه أو يشعر أنه قادر على بلوغه، وهو يسعى لتحقيق أهدافه في الحياة وإنجاز أعماله اليومية". (29)

2- الأهمية التطبيقية لدراسة مستوى الطموح:

تكمن هذه الأهمية كما عرضها " سيد عبد العظيم عبد الوهاب" (1992) في

الآتي:

* إن دراسة مستوى الطموح، قد تكشف عن العوامل والقوى الكامنة وراء تلك الظاهرة، وعليه من الممكن تنمية أو تعديل مستوى الطموح.

* إن دراسة الطموح تمثل إحدى المؤشرات والمنبئات للكشف عما تكون عليه الشخصية، ودراستها بطريقة عملية، قد تساعد على تحقيق التوافق الشخصي للأفراد، مما يعود على المجتمع بالفائدة وزيادة الإنتاج.

* إن معرفة الأفراد بطبيعة طموحهم، وبعض العوامل المؤثرة فيه، يجعلهم يحاولون موازنة قدراتهم وإمكانياتهم مع هذه الطموحات، مما يترتب عليه عدم شعورهم بالإحباط والفشل.

* إن دراسة مستوى الطموح وما تفسر عنه من نتائج قد تساعد على تطوير العملية التعليمية، حيث تقدم للمسؤولين من واضعي السياسة والخطط التعليمية إطاراً تجريبياً عما يؤثر في مستوى الطموح من عوامل، وعليه يحاولون تطوير وتعديل المناهج، وطرق التدريس بما يتماشى مع تلك النتائج.

* ترجع أهمية الطموح في أنه يلعب دوراً هاماً في حماية الفرد والمجتمع حيث يلقي الضوء على ملامح المستقبل من حيث مشاكل التطور والتخلق.⁽³⁰⁾

3- نمو مستوى الطموح: يمر الإنسان في حياته بمراحل نمو مختلفة، منها

الرضاعة والطفولة بمراحلها، المراهقة، الرشد والشيخوخة، وانتقاله من مرحلة لأخرى يزيد خبراته وتوسع مدركاته وتنتفتح قدراته، حيث تصبح نظرته للأمور مختلفة عما كانت عليه في السابق، ولا يقتصر النمو هنا على الناحية الجسدية والمتعددة، وانتقاله من مرحلة نمو لأخرى يساعده أيضاً على تحديد الصعاب ومواجهتها، كي يصل لمرحلة أفضل مما كان عليه، وبذلك فإن مستوى النمو عند الفرد ينمو ويتطور من مرحلة نمائية إلى أخرى، ولكل فرد طموحه المختلفة والذي

يتناسب مع مستواه ومرحلته العمرية، فطموح الطفل يختلف عن طموح المراهق وأيضاً عن طموح الرجل، وكلما كانت قدرته أكبر على التفكير في الوسائل والغايات.⁽³¹⁾

ويعلق ليفن على ذلك بقوله إنّ تدريب الطفل ليصبح أكثر مهارة، وكذلك السلوك المستقل والمعتمد على النفس بالتدريب قد يؤدي إلى ظهور الطموح المبدئي، وكلما تقدم الفرد في العمر كلما نما وتطور مستوى طموحه، وهذا النمو قد يكون عرضة للتغيرات إذا أعاقته الظروف، وقد يعيقه التطور السريع، وقد يتعرض للنكوص والارتداد إذا ما دعا الموقف لذلك.⁽³²⁾

وقد استطاع أندرسون Anderson من خلال دراساته المختلفة والمتعددة أنّ مستوى الطموح يزداد بازدياد العمر، حيث كان الأطفال في سن العاشرة أكثر نضجاً من الأطفال الأقل عمراً، وأن طموح الفرد قبل العشرينات يقل عنه في الثلاثين من عمره.⁽³³⁾

4- النظريات المفسرة لمستوى الطموح: هناك نظريات عديدة فسرت مستوى الطموح ومن بين هذه النظريات نجد:

4-1- نظرية المجال لكيرت ليفين Keart Levin: حيث يشير كيرت ليفين Keart Levin إلى وجود عوامل عديدة من شأنها أن تعمل كدافع للتعلم في المدرسة، أجملها جميعاً فيما أسماه مستوى الطموح، حيث أنّ شعور الفرد بالرضا والاعتزاز بالذات، يجعله يسعى إلى مزيد من هذا الشعور، ويجعله يطمح في تحقيق أهداف أبعد، ومستوى الطموح يخلق أهداف جديدة للفرد، وأهداف الفرد تترتب بعضها على الآخر، وكلما حقق منها شيئاً طمح إلى تحقيق آخر، والذي يكون في الغالب أصعب وأبعد منالاً، وتسمى الحالة العقلية هنا بمستوى الطموح وهناك العديد من الدراسات السيكولوجية التي دلت على أنّ الطموح درجات فرغبة الفرد في تحقيق هدف، تجعله يعمل على تحديد هدفه ويهيئ كل قواه لتحصيله، مما يجعلنا نطلق على الفرد هنا أنّ طموحه عالٍ أو راق.⁽³⁴⁾

4-2- نظرية أدلر Adler: يعتبر الباحث أدلر Adler من التحليليين الجدد وهو من تلاميذ فرويد، ولكنه انشق عنه لاختلافه معه في الرأي، ولعدم انسجامه مع العديد من أفكاره، ومن الأفكار التي يؤمن بها "أدلر" بأن الفرد يكافح للوصول إلى السمو والارتفاع، وذلك تعويضًا عن مشاعر النقص، ولقد أصبحت هذه فكرة الكفاح أو السعي وراء الشعور بالأمان من نظريات الشخصية الجديدة، ومما أكد عليه "أدلر" أهمية العلاقات الاجتماعية وأهمية الحاضر بدلاً من أهمية الماضي لدى فرويد. (35)

4-3- نظرية القيمة الذاتية للهدف: قدمت إسكالونا Escalona (1940) نظرية القيمة الذاتية للهدف حيث أنّ الاختيار يتقرر على أساس القيمة الذاتية للهدف، حيث أنّ الفرد يحدد ويضع توقعاته ضمن حدود قدراته وإمكاناته وأيضاً بناء على احتمالات النجاح والفشل، وهذه النظرية تقوم على ثلاث حقائق هي:

- أنّ الأفراد يميلون للبحث عن مستويات طموح مرتفعة نسبياً.
- أيضاً يميلون لجعل مستوى الطموح يصل ارتفاعه إلى حدود معينة.
- وجود فروق كبيرة بين الناس في رغبتهم البحث عن النجاح وتجنب الإخفاق فهناك أفراد يظهرون خوفاً شديداً من الفشل مما يقلل من مستوى القيمة الذاتية للهدف. (36)

4-4- تفسير ستانجر Estanger: اعتبر ستانجر Estanger مستوى الطموح من أحسن وسائل قياس الشخصية في موقف الاستجابة، وهو يرى أنّ تقييم صورة الذات تتم في ضوء إطار الفرد المرجعي، وهذا بدوره يتم على علاقته بالجماعات وقد رجح أنّ حاجة الفرد إلى أنّ ينسب النجاح إلى صورة الذات تدفعه إلى أنّ يحدد طموحاً أعلى من أدائه وميله إلى ذات أكثر مثالية. (37)

4-5- تفسير أيزنك Eysenck: بينت الدراسة التي قام بها أيزنك للتفرقة بين العصائبيين والأسوياء بالنسبة لمستوى الطموح فروقا بين الأسوياء والعصائبيين وبين الهستريين وغير الهستريين من جهة أخرى، وقد فسر أيزنك هذه الفروق

مستندا إلى النظرية التحليلية أنه في عالم المثل يتوقف الكثير على ما نسميه المسافة بين الذات الحقيقية والذات المثالية، فإذا كانت الفجوة واسعة بين الواقع والمثل فإننا نشعر بعدم الارتياح والإثم والنقص، وفسر الارتفاع المفرط في مستوى الطموح بالنمو الزائد لأننا الأعلى، أما الانخفاض المفرط فيفسره بالنمو الزائد للهو. (38)

5- العوامل المؤثرة في مستوى الطموح: هناك عدة عوامل تؤثر في مستوى الطموح منها عوامل ذاتية تتعلق بالشخص نفسه، وعوامل بيئية واجتماعية وما تقدمه من أنماط مختلفة من الثقافات والمرجعيات لكن هذه العوامل يختلف مقدار تأثيرها من شخص لآخر حسب العمر والمرحلة التعليمية التي وصل إليها، ومن هذه العوامل نجد:

أ- العوامل الذاتية الشخصية: بما أنّ مستوى الطموح يتغير حسب تغير العمر فإنه يتطور بتطور العوامل الشخصية للفرد مع تقدم العمر كالذكاء والتحصيل كذلك يتأثر بالخبرات التي يكتسبها الإنسان من خلال تجاربه التي مر بها في مراحل حياته المختلفة، فاشلة كانت أو ناجحة:

1- علاقة الذكاء والقدرات العقلية بمستوى الطموح: إنّ نجاح الفرد في أي عمل يتوقف على ما يتمتع به من ذكاء خاصة في مجال الدراسة، وأن الفرد الذكي يستطيع أن يستثمر كل إمكانياته المتاحة وقدراته المختلفة للحصول على ما يريد وذلك بوضع خطط واضحة ولو أخفق مرة فهذا يزيد إصرارا لمواصلة العمل على تحقيق ما يريد.

2- خبرات النجاح والفشل وأثرها على مستوى الطموح: إنّ الشعور بالنجاح والفشل يتحدد بمستوى الأهداف التي يحرص الفرد على تحقيقها، وأنّ الطموحات التي يضعها الفرد تستند إلى خبراته السابقة، أيّ إلى المستوى الذي وصلنا إليه في أعمال متشابهة، ويكون الشعور لدى الفرد بالنجاح أو الفشل بعد أداء العمل يقرر إلى أي حد ما الهدف الذي يطمح إليه الفرد في المحاولات التالية، وقد أكد الباحثة **جاك نات** من خلال الدراسات التي أجرتها لدراسة أثر خبرات النجاح والفشل في

مستوى الطموح، حيث توصلت إلى أنّ كلما كان النجاح كبيراً، كلما ارتفع مستوى الطموح، وكلما كان الفشل كبيراً، كان انخفاض مستوى الطموح كبيراً.⁽³⁹⁾

3- الثواب والعقاب: يعتبر أسلوب التعزيز من أهم الأساليب التي تنمي وترفع من دافعية الفرد والسعي نحو النجاح، ولا نبالغ إذا قلنا أن العمل في هذه الحياة قائم على التعزيز والعقاب، بل ربما العمل للحياة الآخرة، والتعزيز قد يكون معنوي وقد يكون مادي وكذلك العقاب، والتعزيز كثيراً ما يشكل دافعاً للطلاب إلى رفع مستوى الطموح لديه، حيث أنّ شعور الطالب بحلاوة النجاح يجعله يختار أهدافاً أبعد وهذا الأثر ذو أهمية في نواحي التربية لأن معناه أنّ الطالب قد قدم نشاطاً ووجهه نحو تحقيق هدف خاص، وكثيراً ما يؤدي إلى النجاح، وفيه تعزيز معنوي إلى ارتفاع مستوى طموحه، فيبحث عن هدف أبعد منالاً، وأصعب مثالاً.⁽⁴⁰⁾

ب- العوامل البيئية الاجتماعية: إن للبيئة الاجتماعية دوراً كبيراً في نمو مستوى الطموح، لأنّ البيئة هي التي تمد الفرد بمفاهيمه وثقافته وهي التي تشكل الإطار المرجعي له، ومن بين العوامل البيئية الاجتماعية التي تؤثر في مستوى الطموح نجد:

1- جماعة الأقران ومستوى الطموح: إنّ الأقران والجماعات المرجعية هي التي يرجع إليها الفرد في اكتساب وتعديل قيمه وسلوكه الاجتماعي ويتأثر بمعاييرها واتجاهاتها، وللاقران والجماعة المرجعية للفرد تأثير في كثير من النواحي سواء على مستوى الوجدان أو السلوك أو القيم أو الاتجاهات، ومن هذه النواحي مستوى الطموح وقد أشارت العديد من الدراسات إلى أثر الوالدين والأقارب والأصدقاء والمعلمين وأوضحت أنّ دور هؤلاء يعدّ دوراً مركزاً في قرارات الطالب فيما يتعلق بمستقبله التعليمي والمهني ومستوى طموحه المستقبلي.⁽⁴¹⁾

2- الأسرة وتأثيرها على مستوى الطموح: تلعب الأسرة دور كبير في تحديد مستوى طموح واقعي، أو تؤدي إلى نمو مستوى طموح غير واقعي، لأنّ أفرادها المنتمين للأسرة المستقرة اجتماعياً وبيئياً هو أقدر على وضع مستويات طموح

عالية، ومتناسبة مع إمكاناتهم، ويستطعون بلوغها أفضل مما لو كانوا ينتمون إلى أسر غير مستقرة، كما أن "Liven" قد استخلص عدة مبادئ من نظريته وهي أن السلوك يتوقف على كل من الفرد والبيئة، ويجب النظر إلى كليهما على أنهما مجموعة متشابكة من العوامل، وأن البيئة النفسية تختلف من فرد لآخر، وأن هناك عوائق تقوم أمام الفرد وتحول بينه وبين تحقيق أهدافه، وإن الحاجة المستتارة تتمثل في حالة التوتر في الفرد، واستعداده للعمل بالاتجاه الإيجابي أو السلبي.⁽⁴²⁾

3- المستوى الاقتصادي الاجتماعي وأثره على مستوى الطموح: يلعب المستوى الاقتصادي والاجتماعي دوراً بارزاً في تشكيل شخصية الفرد، وفي تحديد طموحاته، فإذا كان هناك تحسن في المستوى الاقتصادي وتحسن في دخل الأسرة سيصبح هناك نوع من زيادة التطلع إلى مستوى أعلى، وشغل مراكز أفضل وبالتالي قد يؤثر المستوى الاقتصادي والاجتماعي على مستويات الطموح، بأن يكون ذوي المستويات الاقتصادية العليا على قدر عالٍ من الطموح، لتوفر كل ما يريده بين يديه، كما أن المستوى الاقتصادي الاجتماعي المنخفض قد يكون دافعاً إلى درجة أعلى من الطموح، لأنه يشدد عزيمة الشخص للتحدي وتجاوز الظروف بالتغلب عليها وإثبات قدراته.⁽⁴³⁾

6- طبيعة مستوى الطموح: إن مستوى الطموح سمة من سمات الشخصية الإنسانية، بمعنى أنها صفة موجودة لدى الكافة تقريباً، ولكن بدرجات متفاوتة في الشدة والنوع، وهي تعبر عن التطلع لتحقيق أهداف مستقبلية قريبة أو بعيدة، ويتم التعبير عن هذه السمة تعبيراً علمياً باستخدام مصطلح مستوى الطموح، وهو مصطلح سيكولوجي إجرائي يستخدم لقياس هذه السمة.

6-1 مستوى الطموح باعتباره استعداداً نفسياً: والمقصود بالاستعداد النفسي بالنسبة لمستوى الطموح أن بعض الناس لديهم الميل إلى تحديد أهدافهم تحديداً يتصف بالطموح الزائد أو المنخفض ولا بد من القول أن مستوى الطموح لدى كل فرد يتأثر بالوراثة وعوامل التدريب والتربية والتنشئة المختلفة.

6-2- مستوى الطموح باعتباره سمة: إن مستوى الطموح يمكن القول إنه سمة

على أساس أنه استعداد عام أو صفة سلوكية ثابتة نسبياً تتأثر بما لدى الفرد من استعدادات موروثية أو مكتسبة، وكذلك تتأثر بالمواقف المختلفة في المجال السلوكي أيّ إننا لا نتوقع أن يكون مستوى الطموح سمة عامة ثابتة مطلقاً في كل المواقف، بل نسبياً واعتباراً للوقف وعناصره المختلفة، فمستوى الطموح نسبي لدى الأفراد من حيث الأهداف التي يطمح الفرد إلى تحقيقها ووصولها إلى الحد المناسب له شخصياً ومحاولة تحدي العقبات والضغوط والوصول إلى مستوى طموح واقعي يتناسب مع إمكانيات الفرد والجوانب الايجابية في شخصيته، من أجل محاولة تعويض لجوانب السلبية في الشخصية أو الحد من هذه الجوانب، ويزداد مستوى الطموح لدى الفرد شريطة توافر درجة من الثقة بالنفس والاتزان الانفعالي.⁽⁴⁴⁾

خاتمة: على الرغم من أنّ الذكاء الانفعالي يعتبر مفهوماً جديداً إلا أنه أحدث صيحة كبيرة في الأوساط العلمية والعامة، وقد ظهر في التسعينات من القرن الماضي وتناوله بالدراسة سلسلة من الكتب والمقالات من حيث طبيعته ومكوناته وتطبيقاته في الميادين التربوية والتنظيمية والاجتماعية أو المهنية، فهذا المفهوم لا يعتمد على قدرات الفرد الذهنية ولكنه يعتمد على ما يملكه من قدرات تسمى بقدرات الذكاء الانفعالي والفرد يكون لديه القدرة على التعامل الايجابي مع نفسه ومع الآخرين، بما يحقق أكبر قدر من السعادة له ولمن حوله، حيث أظهرت الدراسات التي تعرضنا إليها في هذا الموضوع التي أجريت على العواطف والمشاعر والانفعالات الإنسانية أنّ هناك قدرات ومهارات انفعالية يتفاوت الأفراد في امتلاكها، هذه المهارات والقدرات تؤثر في سلوك الأفراد نفسياً واجتماعياً، وهي مهارات وقدرات بالإمكان اكتسابها وبنائها وتنميتها بالتعلم والممارسة، وأنّ بإمكان الفرد الوصول إلى الأفضل في جميع شؤون الحياة إذا ما اخذ في اعتباره دور وأثر المشاعر والانفعالات، كما أن جميع الأولياء يطمحون إلى أنّ يكون أبنائهم ناجحين في الحياة وأنّ يكونوا على درجة عالية من الطموح والثقة بالنفس والشعور بالافتخار والرضا عن أنفسهم، فمهمة الأولياء لا

تتخصر بالعناية بأجسام الأبناء ليتمتعوا بصحة جيّدة فقط، بل لهم الدور الأول في تشكيل شخصيتهم وقيمهم ومشاعرهم تجاه أنفسهم، فعندما يكون تقدير نواتهم ايجابياً تزداد وتدعمّ تقّتهم بأنفسهم وتقديرهم لكرامتهم واحترامهم لذاتهم. فيعتبر مستوى الطموح من العوامل الهامة المميزة للشخصية، فبقدر ما يكون الطموح مرتفع، بقدر ما تكون الشخصية متميزة، وبقدر ما يكون المجتمع متقدم، وما دام الطموح موجود في شخصية الفرد فلا يوجد حدود للتطور العلمي والحضاري، لأنه من العوامل المهمة المؤثرة بما يصدر عن الإنسان من نشاطات وأفكار، ومقدار مستوى الطموح يحدد مدى تقدم وتطور الأمم.

الهوامش:

-
- 01- J. Mayer et P. Salovey (1997): What emotional intelligence? P. Salovey Dans Sloyter (ed), Emotion development and emotional intelligence education implication, USA, p 11.
 - 02- دانييل جولمان- ترجمة: ليلى الجبالي (2000): الذكاء العاطفي، عالم المعرفة، الكويت، ص71.
 - 03- J.mayer, P.salovey et all (2000): Models of emotional intelligence in R. Sternberg ed Handbook of inelegance, Cambridge UK: Cambridge university Press, p 86.
 - 04- D. Golman (1998): working with Emotional intelligence, New York: Bantom Book, p 47.
 - 05- R. Bar-on (1997): Development of the Bar-on EQ-I: A measure of emotional and social intelligence paper presented at the (105) the Annual convention of the American psychological Association, Chicago, p 17-20.
 - 06- J. Mayer et P. Salovey (2002): a book of emotional intelligence, Bantom Book, p 06.
 - 07- J. Mayer et P. Salovey (2002): Ibid, p 06.
 - 08- محمد عبد السميع رزق (2002): مدى فعالية برنامج التنوير الانفعالي في تنمية الذكاء الانفعالي للطلاب والطالبات، رسالة دكتوراه، قسم علم النفس، جامعة أم القرى، السعودية ص82.
 - 09- فاروق السيد عثمان وآخرون (1998): الذكاء الانفعالي، مفهومه وقياسه، مجلة كلية التربية العدد 38، ص10-11.
 - 10- فيوليت فؤاد إبراهيم وآخرون (1998): دراسات سيكولوجية النمو للطفولة والمراهقة زهراء الشرق، جامعة عين الشمس، ص192.

- 11- سعدية محمد علي بهادر (1980): من أنا؟ جامعة الكويت، الكويت، ص112.
- 12- فاروق عبد الفتاح السلام (1987): مقارنة نحو الذكاء وتقدير الذات في الطفولة والمراهقة دراسة ميدانية، مجلة كلية التربية، جامعة الزقازيق، مصر، ص21.
- 13- يوسف عبد الفتاح (1992): ديناميات العلاقة بين الرعاية الوالدية وتوافقهم وقيمهم، مجلة علم النفس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد42، ص29.
- 14- Delphine Martinot (2001): connaissance de soi et estime de soi: ingrédients pour les réussites scolaires, revue des sciences de l'éducation, vol, XXVII, n°03, p 485.
- 15- علي سعيد (1993): علم الشذوذ النفسي، منشورات جامعة دمشق، سوريا، ص58.
- 16- جبريل موسى عبد الخالق (1983): تقدير الذات والتكيف المدرسي لدى الطلاب الذكور رسالة دكتوراه- قسم علم النفس وعلوم التربية- الأردن، ص73.
- 17- صلاح حسن الداھري (2005): مبادئ الصحة النفسية، دار وائل للنشر، مصر، ص107.
- 18- صالح محمد علي أبو جادوا (2000): سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة، عمان ص153.
- 19- معتز سيد عبد الله (2000): بحوث في علم النفس الاجتماعي والشخصية، دار غريب للنشر، القاهرة، ص110.
- 20- صالح محمد علي أبو جادوا (2000): نفس المرجع السابق، ص155.
- 21- سلامة محمد ممدوحة (1991): تقدير الذات والضبط الوالدي للأبناء في مرحلة المراهقة وبداية الرشد، مجلة الدراسات النفسية، المجلد1، العدد الرابع، ص276.
- 22- C. André et all (1999): l'estime de soi, s'aimer pour mieux vivre, 3^{ème} édition, paris, Obèle Jacol, p 25.
- 23- رشا الناطور (2008): مستوى الطموح وعلاقته بتقدير الذات، جامعة دمشق، سوريا ص24.
- 24- جابر عبد الحميد وآخرون (1988): وجهة الضبط وبعض المتغيرات النفسية المرتبطة به دراسات في علم النفس التربوي، مركز البحوث التربوية، جامعة قطر، قطر، ص363.
- 25- رشدي خام وآخرون (2001): التيارات الأساسية في علم النفس المعاصر، الأنجلو مصرية القاهرة، ص41.
- 26- أبو زايد أحمد عبد الله (1999): دراسة مستوى الطموح وعلاقته بالقدرات الابتكارية لدى طلبة المرحلة الثانوية في ولاية الخرطوم وقطاع غزة، السودان، ص24.
- 27- فاروق عثمان وآخرون (2001): الذكاء الانفعالي مفهومه وقياسه، مجلة علم النفس العدد58- السنة الخامسة عشر- الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، ص36.

- 28- كاميليا عبد الفتاح (1990): دراسات سيكولوجية في مستوى الطموح والشخصية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ص12.
- 29- أحمد عزت راجح (1973): أصول علم النفس، المكتب المصري الحديث، الإسكندرية مصر، ص129.
- 30- سيد عبد العظيم عبد الوهاب (1992): دراسة مستوى الطموح وعلاقته ببعض القدرات العقلية والسمات الانفعالية للشخصية خلال بعض مراحل النمو، جامعة المنيا، مصر، ص32.
- 31- رمزية الغريب (1990): التعلم - دراسة نفسية- تفسيرية- توجيهية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص328.
- 32- سهام محمد (2008): اتجاهات معلمات رياض الأطفال نحو العمل مع الطفل في ضوء بعض متغيرات النفسية الديموغرافية، جامعة القاهرة، ص28.
- 33- كاميليا عبد الفتاح (1990): نفس المرجع السابق، ص14.
- 34- رمزية الغريب (1990): نفس المرجع السابق، ص327.
- 35- عبد الرحمن العيسوي (2004): الوجدان في علم النفس العام والقدرات العقلية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص101.
- 36- علاء سمير موسى القطناني (2011): الحاجات النفسية ومفهوم الذات وعلاقتها بمستوى الطموح لدى طلبة جامعة الأزهر بغزة في ضوء نظرية محددات الذات، غزة، فلسطين، ص48.
- 37- خالد أبو ندى (2004): التفكير الإبداعي وعلاقته بكل من العزو السببي ومستوى الطموح لدى تلاميذ الصفين الخامس والسادس الابتدائيين، غزة، فلسطين، ص48.
- 38- كاميليا عبد الفتاح (1990): نفس المرجع السابق، ص51-52.
- 39- كاميليا عبد الفتاح (1972): مستوى الطموح والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ص19.
- 40- أبو زيد أحمد عبد الله (1999): نفس المرجع السابق، ص22.
- 41- أبو زيد أحمد عبد الله (1999): نفس المرجع السابق، ص26.
- 42- صالح الداھري (2008): علم النفس، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ص159-162.
- 43- أسماء التويجري (2002): المتغيرات الاجتماعية المحددة لمستويات وأنماط الطموح الاجتماعي، رسالة دكتوراه، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، السعودية، ص198.
- 44- أمال عبد السميع باظة (2004): مقياس مستوى الطموح لدى المراهقين والشباب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص03.

اضطرابات اللغة النطقية العضوية والوظيفية

أ.غازلي نعيمة

جامعة مولود معمري تيزي-وزو

مقدمة: يعتبر التواصل من خلال الكلام واللغة عملية معقدة ولكنها طبيعية وإنسانية تطور مع التواصل غير اللغوي للطفل من خلال البكاء، الابتسامة والإيماءات وغيرها، وهي تتضمن جوانب معرفية وسمعية، وتعني استقبال وإرسال معلومات، وتعني كيف يتم ضبط الهواء من أجل إنتاج الأصوات والتحكم بالعضلات من أجل النطق وفهم كلام الطرف الآخر، ومع أن استخدام الكلام واللغة هو المقصود بالتواصل إلا أن لدى الإنسان نماذج مختلفة غير اللفظي عن طريق حركات الجسم والإيماءات يستعين بها الفرد خاصة الذي يعاني من إعاقات تجعله يصاب باضطرابات نطقية، والتي بدورها تؤدي إلى اضطرابات التواصل، وهنا نحاول التطرق بشيء من التفصيل إلى مفهوم الاضطرابات النطقية أنواعها المظاهر الإكلينيكية لها، التشخيص وأخيرا طرق علاج هذه الاضطرابات النطقية...الخ

1- مفهوم الاضطرابات النطقية: النطق هو حركة الفم واللسان التي تشكل أصوات ضمن ألفاظ تكوّن الكلام، أي استخدام اللسان والأسنان، وسقف الحلق لإخراج الأصوات المحددة اللازمة للكلام، كما هو الحال في الحروف الساكنة والمتحركة، ويمكن لأي تلف في هذه العمليات أن تؤدي إلى اضطراب النطق⁽¹⁾.
لقد عرف "الدلماني" (Dilaman) (1992) الاضطرابات النطقية على أنه:
«عدم القدرة على إصدار أصوات اللغة بصورة سليمة نتيجة لمشكلات في التناسق العضلي أو عيب في مخارج أصوات الحروف، أو فقر في الكفاءة الصوتية، أو

خلل عضوي، وهذا الاضطراب يعيق التواصل، ويستدعي اهتمام الشخص المتحدي، وقد تقضي إلى معاناته من القلق وسوء التوافق».

وقد صنفت اضطرابات النطق في (DSM.IV) عام 1994 تحت ما يسمى بـ"الاضطرابات الصوتية"، وتعرف بأنها فشل في استخدام الأصوات الخاصة بالنطق المتوقعة نمائياً طبقاً لعمر الفرد وذكائه، ولهجته، وتتضح في إصدار صوتي دريء، أو بلفظ غير مناسب، كإبدال صوت مكان آخر، أو حذف أصوات مثل الحروف الساكنة التي تقع في آخر الكلمة، أو تشويه وتحريف لنطق الكلمات وغيرها، مما يعطي انطباعاً بأنه كلام طفلي، وتتدخل هذه الصعوبات في كل من التحليل الأكاديمي، والإنجاز المهني الوظيفي اللغوي، وتزداد هذه الصعوبات أو الخلل الوظيفي اللغوي إذا ارتبطت بالتخلف العقلي، أو عجز الكلام الحسي الحركي، أو الحرمان البيئي⁽²⁾.

انطلاقاً مما سبق فإن الاضطرابات النطقية تمثل مشكلة أو صعوبة في إصدار الأصوات اللازمة للكلام بالطريقة الصحيحة، ويمكن أن تحدث عيوب النطق سواء في الحروف المتحركة أو الساكنة، أو في تجمعات من الحروف الساكنة، كذلك يمكن أن يشمل الاضطراب على بعض الأصوات أو جميع الأصوات في أي موضع من الكلمة.

2- أنواع اضطرابات النطق: هناك نوعين من اضطرابات النطق وهما:

2-1- اضطرابات نطقية عضوية: لقد أشار الباحثون إلى أن العوامل المؤدية لاضطرابات النطق متعددة، منها العضوية، التي ترتبط باختلال أعضاء النطق وباختلال في الجهاز العصبي والجهاز السمعي.

2-1-1- خلل أجهزة النطق: تعد أجهزة النطق من أهم الأجزاء الرئيسية في إخراج الكلام، ومن ثم فأى خلل يحدث بها يؤدي إلى اضطرابات النطق، وذلك على النحو التالي:

أ- **الحنك المشقوق**: الحنك هو سقف التجويف الفمي، وأرضية التجويف الأنفي ويمتد من أصول، الثنايا العليا إلى اللهاة وينقسم إلى قسمين:

1. **الحنك الصلب**: الذي يقع في مقدمة التجويف الفمي، إذ يمتد من اللثة إلى نهاية الغار.

2. **الحنك الرخو**: الذي يقع في مؤخرة التجويف الفمي وينتهي باللهاة.

إن اضطرابات النطق التي تظهر لدى الأطفال ذوي الحنك المشقوق يرجع إلى خلل أو عيوب تكوينية يحدث بسبب عدم التئام عظام أو أنسجة الحنك التي تتكون عادة خلال الثلاثة الأشهر الأولى من الجمل مما يؤدي إلى فتحة داخل الفم تجعل الهواء ينفذ عبر الأنف، مما يخلق نغمة أنفية في الكلام، وأصوات أنفية مرتفعة واختلال في الأصوات الاحتكاكية والاحتباسية والانفجارية.

ب- **شق الشفاه**: الشفاه عضوان مهمان في عملية التأثير على الصوت ونوعيته، وذلك لما يتمتعان به من مرونة تمكنهما من الانبساط والانطباع، وقد تحدث الإصابة لشفة واحدة أو كليهما مما يؤدي إلى احتباس الهواء عند نطق الحروف الاحتباسية مثل "ب"، "ك"، كما يصعب على الفرد نطق الأصوات التي تشترك فيها الشفتان مثل: "م". "ف"⁽³⁾.

ج- **مشكلات اللسان**: يحتل اللسان جزء كبير من التجويف الفمي الحلقي، إذ يمتد من خلف الثنايا إلى أعلى التجويف الحلقي، ووسط التجويف الحلقي، وهو مرتبط بالفك السفلي، حيث يعتبر أهم عضو نطق في إنتاج الكلام، ومن بين المشكلات التي تحدث للسان وتؤثر على النطق نجد:

1. **عقدة اللسان**: يتصل اللسان بمؤخرة قاع الفم بمجموعتين من الأربطة العضلية، فإذا كانت هذه الأربطة قصيرة أكثر من اللازم فإن ذلك يعيق سهولة حركة اللسان، فيتأثر تبعاً لذلك نطق بعض الأصوات التي تحتاج لاستعمال طرف ومقدمة اللسان كالأصوات: "ت". "د" والأصوات التكرارية "ر"⁽⁴⁾.

2. **اختلاف حجم اللسان:** قد يؤدي اختلاف حجم اللسان إلى اضطرابات النطق، فقد يكون حجم اللسان صغيرا جدا مما يعوق عملية تشكيل أصوات الكلام ويعد الأطفال المصابون بعرض "داون" من أوضح الحالات التي يكون فيها اللسان كبير. مما يجعله يتدلى خارج الفم، مما يعيق عملية النطق، في حين يعاني أطفال آخرون من قصر في اللسان بدرجة ملحوظة، مما يؤثر على نطق الأصوات بين الأسنان، وهي الأصوات التي تخرج من بين الثنايا العليا مثل: "أ" "د" (5).

3. **أورام اللسان:** إن أي تضخم غير عادي للسان سهولة حركته، وتكون النتيجة عموما هي في ضخامة الصوت وخشونته.

4. **اندفاع اللسان:** ويحدث اندفاع اللسان نتيجة للثقل الأمامي من اللسان اتجاه الأسنان العليا والقواطع أثناء البلع، مما يؤدي إلى تشويه بعض الأصوات، فهناك أطفال يركزون على الحركة الأمامية للسان، مما يؤثر على البلع والنطق.

5. **عدم تناسق الأسنان:** لا تقل أهمية الأسنان عن بقية أعضاء النطق لما تمتلكه من خاصية القدرة على التأثير في صفة الصوت، ونوعيته، وكذلك في كمية اندفاع هواء الرئتين، حيث تخضع إلى نسب متفاوتة من الانسياب والتوقف.

6. **عدم تطابق الفكين:** يلعب الفكين دورا هاما في عملية إطباق الأسنان بصور كاملة ولذا فإن حركة الفكين تحكم في حجم التجويف الفمي، ومن ثم تتمكن أعضاء النطق من أداء عملها عند إنتاج الأصوات، ولذا أي خلل في الفكين سوف يؤثر تأثيرا واضحا على وضوح الصوت وجودته (6). ومن بين الاضطرابات التي تصيب الفكين نجد:

- بروز أحد الفكين عن الآخر: هذا يؤدي إلى حدوث خلل في عملية انطباق الأسنان، إذ قد يتقدم الفك السفلي على العلوي أو العكس.

- عدم القدرة على التحكم في حركة الفك: خاصة الفك السفلي نتيجة الإصابة بمشكلة ما، مثلا أن يصاب الشخص بالشلل مما يعيقه عن ممارسة النطق والكلام بصورة طبيعية.

2-1-2- اختلال الجهاز العصبي: يؤدي اختلال الجهاز العصبي إلى كثير من

اضطرابات النطق، سواء كان الخلل إصابة حدثت قبل أو أثناء أو بعد الولادة، مما ينجم عنه مشكلات النطق من هذه الاختلالات.

- **الشلل الدماغي:** لقد أشارت الدراسات الخاصة بالاضطرابات النيرولوجية الحركية إلى أن اضطرابات النطق تنتشر بين الأطفال المصابين بالشلل الدماغي بما يقرب 80% ومن أشكال اضطرابات النطق التي يعاني منها المصابون بالشلل الدماغي نجد:

• **شيب عضلات النطق:** إن إصابة مراكز الدماغ تؤدي إلى عدم القدرة على ضبط وتحريك العضلات المسؤولة عن الكلام، منها الفكين، الحنك، اللسان الرئتين، الأمر الذي يؤدي إلى اضطرابات النطق ومخارج الكلام⁽⁷⁾.

• **تشوه الخياشيم والأنف:** إن تشوهات أو التهاب الخياشيم والأنف، نتيجة عكسية للغنة المفرطة، أي أنه في هذه الحالة لا يمكن أن يتابع الهواء طريقه عبر الأنف، وخاصة في الأصوات الغنية مثل: "ن"، "م" فيمر الهواء كله عبر التجويف الفمي، وينتج عنه ما يمكن تشبيهه بالحالات التي يكون فيها الإنسان العادي مصاب بنزلة برد⁽⁸⁾.

2-1-3- اختلال الجهاز السمعي: يلعب الضعف السمعي دورا كبيرا في تدهور

النطق، وكلما ازدادت حدة العف السمعي كانت اضطرابات النطق أكبر وأعمق بالتالي فالطفل المعاق سمعيا، يعاني من صعوبات وتشوهات نطقية نتيجة لافتقاده للعوامل السمعية التالية:

أ- **تمييز الأصوات:** إن تمييز الأصوات اللغوية مرتبط ارتباط وثيقا بالعوامل السمعية، فالطفل الذي يعاني من ضعف سمعي، يجد صعوبة في تمييز الأصوات المتقاربة وبالتالي يفقد القدرة على النطق السليم، وفي هذا الصدد اهتمت الدراسات بالمهارات الإدراكية السمعية.

ب-تمييز النغم: لقد أشارت الدراسات التي أجريت حول العلاقة بين تمييز درجة النغم وصعوبات النطق إلى أن الأطفال الذين يعانون من اضطرابات النطق أقل قدرة على تمييز الأصوات المتصلة بدرجة النغم.

2-1-4- الخلل في تتابع الكلام: يظهر الاضطراب في شلل أو خلل في تتابع الكلمات والعبارات بترتيب ونسق معين، مما يجعل الفرد غير قادر على إعادة الكلمات والعبارات بشكل صحيح، هذا يؤدي إلى اضطرابات في النطق.

2-1-5- عسر الكلام: اضطراب حركي في الكلام، يرجع إلى إصابة في الجهاز العصبي المركزي، يؤدي إلى تغيرات في النطق الصوتين والإيقاع، فتخرج الأصوات انفجارية وقد ينطق الفرد بعض مقاطع الكلمات دون أخرى.

2-1-6- الإعاقة العقلية: إن المتخلفين عقليا يعانون من انتشار اضطرابات النطق لديهم بصورة أكبر مقارنة بغير المصابين بالإعاقة العقلية، كما تختلف نسبة انتشارها بين المتخلفين عقليا حسب اختلاف العمر، وشدة الإعاقة⁽⁹⁾.

2-2- اضطرابات نطقية وظيفية:

إن هذا النوع من الاضطرابات تكثر عادة لدى الأطفال ويرجع إلى طريقة النطق المشوهة للأصوات مثل:

2-2-1- اللثغ: ينتج عن إصابة الأصوات الصفيرية مثل: "س، ش، ز، و" وهو على أنواع:

أ- اللثغ بين الثنايا: في هذه الحالة مقدمة اللسان توضع بين الثنايا العلوية والسفلية، عوض أن يأخذ حركته الذلوقية وفي هذه الحالة تكون ناجمة عن إصابة المخرج.

ب- اللثغ الجانبي: في هذه الحالة عوض أن يوضع اللسان وراء الثنايا يقلب بطريقة خاطئة فيرسب الهواء من الجانبين وهو يصيب الحروف الصفيرية⁽¹⁰⁾.

ج- اللثغ الأنفي: يعود إلى مرور الهواء من المخرج الأنفي بدلا من المخرج الأنفي بدلا من مروره من القناة الفموية عند إصدار الأصوات الصفيرية، وينتج ذلك بضغط مؤخره للسان على الحنك ليسد التجويف الفمي وينحني الحنك اللين.

د- اللثغ اللهوي: في هذا النوع من الاضطرابات تعرض فيه الأصوات بأصوات حبسية مزمارية والكلام يكون غير مفهوم.

هـ- الخمخمة المفتوحة: يعني هذا الاضطراب أن عملية إصدار كل الأصوات الفموية تتم من الأنف بدلا من مخرجها الطبيعي المتمثل في الفم، وذلك راجع إلى عدم تمكن الطفل، من إيصال مؤخره الحنك من مؤرخه الحلق مما ينتج عنه عملية النطق بهذه الأصوات.

و- الخمخمة المغلقة: الاتصال الدائم لمؤرخه الحنك يمنع وصول الهواء إلى المجاري الأنفية وذلك لأن مؤخره الحنك تكون دائمة الاتصال بمؤخره الحلق فتصدر كل الأصوات من الفم فتعوض الحروف الأنفية بالفموية⁽¹¹⁾.

2-2-2- أسباب الاضطرابات النطقية الوظيفية: هناك عدة أسباب يمكن أن نجعلها في الظروف الأسرية، المشكلات المدرسية، التقليد والمحاكاة، إضافة إلى التعلم الخاطئ للكلام في السنوات المبكرة.

أ- الظروف الأسرية: إن الظروف الأسرية التي يعيشها الفرد داخل أسرته تؤثر بطريقة مباشرة في ظهور الاضطرابات اللغوية عامة واضطرابات النطق خاصة ومن بينها:

- **عمر الوالدين:** فالوالدين صغار السن يتركان الطفل مهملا غير مستثار فيعاني من صعوبة النطق، كما أن كبار سن الوالدين يجعلهما يدللان الطفل، ولا يقومان بتصحيح الأصوات التي لا ينطقها، رغم أن الطفل في مرحلة اكتساب اللغة يميل كثيرا إلى استخدام الإشارة بالأصبع للتعبير عن الأشياء المرغوبة وعلى الوالدين هنا تعليم الطفل التعبير عن طريق اللغة.

- **الجو الأسري:** إن الظروف الأسرية غير السوية ترتبط باضطرابات اللغة خاصة النطقية فالأطفال الذين انفصلوا عن أحد الوالدين خاصة الأم بسبب الطلاق السفر، الموت، أو الأطفال المتواجدون في دور الأيتام والملاجئ فإنهم يعانون من اضطرابات النطق والكلام بكل أنواعها، وذلك راجع إلى عدم وجود الاهتمام العاطفي الكافي من أحد الوالدين أو كليهما، مما يؤدي بالطفل إلى الكسل، الانعزال الإحباط، والشعور بعدم الأمان، كل هذا يسبب اضطرابات نطقية بدرجة كبيرة.

- **تعرض الطفل لنماذج النطق المشوه:** أي يسمع الطفل نماذج صوتية بشكل متكرر من أحد أفراد العائلة، أو من أقرانه في جماعة اللعب وهي أصوات خاطئة فتصبح هذه الأخيرة جزءا من نظامه الصوتي العام، كأن يحاكي أحد أفراد المحيطين بالطفل كلام مشوه في سنوات عمل العمر الأولى، مما يجعله يترسخ في ذهن الطفل خاصة عند تكراره فيعتبره النطق الصحيح لأنه صدر من قبل الكبار.

ب- **المشكلات المدرسية:** إن العقاب والخبرات غير السارة، والمقارنات المتكررة بين الأطفال في الإخفاق والرسوب المتكرر، وأساليب معاملة المعلمين ترتبط جميعا باضطرابات النطق عند الأطفال.

ج- **التقليد والمحاكاة:** إذا توفرت نماذج نطقية خاطئة بسبب معاناة أحد الأبوية أو أفراد الأسرة من اضطراب نطقي ما فإن الأطفال يقلدون تلك النماذج.

د- **التعلم الخاطئ للكلام في السنوات المبكرة:** فالتعلم الخاطئ من نماذج كلامية غير سليمة وللمستويات المنخفضة من الاستثارة والدافعية، تؤدي إلى تثبيت الاضطرابات الخاصة بالنطق.

3- **المظاهر الإكلينيكية لاضطرابات النطق:** هناك عدة أشكال لاضطرابات النطق يمكن إجمالها في:

3-1- **الحذف:** يتضمن الحذف نطق الكلمة ناقصة حرفا أو أكثر، وغالبا يتم حذف الحروف الأخيرة من الكلمة مما يؤدي إلى صعوبة فهم كلام الطفل، وقد يميل الطفل إلى حذف أصوات أو مقاطع صوتية معينة ويكون الحذف خاصة في

بعض الأصوات الساكنة مثل "حمام"، فيقول: "مام"، و"مدرسة" يقول "مدسة" "خروف" يقول "خوف".

وبصفة عامة فإن حذف الحروف أثناء النطق يؤدي إلى صعوبة فهم كلام الطفل، لدرجة أنه لا فهمه سوى الوالدين، والمقربون، لألفتهم به ولمعرفتهم للإشارات والإيماءات التي يستخدمها في الكلام.

3-2- التثويه أو التحريف: يتضمن التحريف نطق الصوت بطريقة تقربه من الصوت العادي لكنه لا يماثله تماما، أي يتضمن بعض الأخطاء، وينتشر التحريف بين الصغار والكبار، وغالبا يظهر في أصوات معينة مثل: "س" حيث ينطق مصحوبا بصفير طويل، أو ينطق صوت "ش" من جانب الفم، أو اللسان مثل: "مدرسة" تنطق "مدرثة"، "ضابط" تنطق "ذابط"، قد يحدث ذلك نتيجة تساقط الأسنان أو عدم تموضع الأسنان في موضعها الصحيح أثناء النطق، أو انحراف وضع الأسنان أو تساقط الأسنان على جانبي الفك السفلي، مما يجعل الهواء يذهب إلى جانبي الفك بالتالي يتعذر على الطفل نطق الأصوات مثل: "س" "ز" (12).

3-3- الإبدال: في هذه الحالة يكون النطق صوت بدلا من الآخر، فكثير من الأحيان يكون الصوت غير صحيح مشابهها بدرجة كبيرة للصوت الصحيح، من حيث المكان، وطريقة النطق، وخصائص الصوت، مثل: "أحط فيها" بدلا من "أحط فيها"، "لاجل" بدلا من "رجل" "ساي" بدلا من "شاي".

ينتشر الإبدال بين الأطفال الصغار خلال أعوامهم الأولى، بحيث ينطقون الصوت الذي يمكنهم نطقه بدلا من الصوت الصحيح، الذي لا يستطيعون نطقه بعد مثلا يصعب على بعض الأطفال نطق حرق "الراء" حتى السادسة أو أحيانا السابقة من العمر، وهنا يتم إيداله بحرف (اللام).

قد يحدث الإبدال بصورة متعمدة، حيث يمارسه الطفل لجلب انتباه الكبار العطف، المداعبة، ويعتبر الإبدال من بين أكثر اضطرابات النطق شيوعا بين الأطفال الذين يعانون من اضطرابات النطق النمائية.

3-4- الإضافة: ينطق الطفل حرفاً أو صوتاً زائداً عن الكلمة الصحيحة مما يجعل كلامه غير واضح وغير مفهوم، وقد يسمع الصوت الواحد وكأنه يتكرر مثل: "صباح الخير" "سلام عليكم"⁽¹³⁾. وقد تجتمع هذه المظاهر سواء في مظهرين أو أكثر عند الطفل كالحذف والإبدال معا.

4- تشخيص الاضطرابات النطقية: يتم تشخيص اضطرابات النطق عن طريق فريق من الأخصائيين وأول من يلاحظ اضطرابات النطق عند الطفل هو الوالدين والأخوة، كما تلاحظها مربيّات الروضة ومعلمي المرحلة الابتدائية، فيجب عدم إهمال الوالدين والمعلمين لمثل هذه الاضطرابات ويتكون فريق التشخيص من:

4-1-أخصائي اللغة والتخاطب: فهو يقوم بجمع عينات من الكلام لدى الطفل لتحليلها وتحديد نوع الاضطرابات التي يعاني منها، ويتم ذلك باستعمال الحوار مع الطفل، الاستعانة بأسلوب تسمية الأشياء، وأسلوب الألفاظ المتتابة، إضافة إلى الملاحظة والتقليد والمحاكاة⁽¹⁴⁾.

4-2- أخصائي الأنف-الأذن والحنجرة: لابد لأخصائي التخاطب التأكد من وجود اضطرابات النطق لدى الطفل، وتحويله إلى أخصائي الأنف، الأذن والحنجرة، يهدف الوقوف على المشكلات العضوية المرتبطة بالنطق: كالتهابات الحلق، الزوائد الأنفية، مدى انتظام الحنك الصلب وسلامته، وفحص حركات اللهاة ومدى سلامة الأوتار الصوتية، وكفاءة حركة الشفتان، وانطباقهما، والقدرة على التحكم فيهما، وحركة اللسان، والقدرة على السيطرة عليه وملاحظة حركة الفكين.

4-3- أخصائي الفم والأسنان: يقوم بفحص مدى انتظام الأسنان، ووجود التوشهات بها، أو تساقط بعضها، أو وجود فجوات واسعة بينها، تؤدي إلى مخارج الحروف.

4-4-أخصائي السمع: الفحص درجة السمع عند الطفل، خاصة أن قدرته على السمع ترتبط بشكل كبير باضطرابات اللغة خاصة النطقية، ويكون الفحص على

ثلاث مستويات، فحص القدرة على التمييز السمعي، فحص الذاكرة السمعية، الفهم السمعي⁽¹⁵⁾.

4-5- الأخصائي النفساني: يقوم المختص النفساني بمحاولة الوقوف على العوامل النفسية المرتبطة باضطرابات النطق بالاستعانة بدراسة الحالة وقياس الكفاءات العقلية، هكذا يتسنى لهم من كتابة تقرير تشخيصي لحالة الطفل، من خلاله يتمكن المعالج من بناء برنامج علاجي مناسب⁽¹⁶⁾.

إذا للتوصل إلى تشخيص دقيق والذي يساعد على وضع خطة علاجية ناجحة لا بد من تضافر جهود فريق طبي كل حسب اختصاصه يتكون هذا الفريق من أخصائي اللغة، أخصائي الأنف (الأذن والحنجرة، وأخصائي الأسنان، وأخصائي السمع وأخصائي النفساني).

5- علاج اضطرابات النطق: ليس هناك طريقة محددة لعلاج اضطرابات النطق، فهي تختلف باختلاف كل حالة من حيث، نوع الاضطرابات في النطق اختلاف الظروف العضوية المسببة للاضطرابات اختلاف الظروف البيئية والاجتماعية التي يعيشها، بصفة عامة لا بد من أن يتضمن علاج اضطرابات النطق ما يلي:

- يجب على المختص الأروطفوني أن يعمل التقليل من وعي المفحوص بحدة اضطراب، وذلك لتقوية الثقة بالنفس لدى الطفل.

- تدريبات لتقوية أعضاء النطق، وتدريبات لغوية لتصحيح الاختلافات المرتبطة بالنطق.

- تدريب أعضاء النطق التي تشمل تمارين رياضية لتقويم أعضاء الجسم وتمارين لتقوية عضلات أعضاء النطق الفموية، ومخارج الحروف⁽¹⁷⁾.

- والتمارين الرياضية تهدف إلى تقوية عضلات البطن والصدر والرقبة لما تلعبه من دور في عملية الكلام ونطق الأصوات.

- تمرينات خاصة بالتنفس وتهدف هذه التمارين إلى تدريب الطفل على التنفس العميق لتوسيع الصدر، والتعود على الزفير وإخضاع الجهاز التنفسي لانتظام محدد، بحيث يكون الشهيق من الأنف مع ثبوت الأكتاف، وأن يخرج هواء الزفير من الفم بصوت مسموع، وأن يتم استيعاب سريع وزفير بطيء، أو استيعاب سريع وزفير سريع أو استيعاب بطيء وزفير بطيء.

- تمرينات لتقوية عضلات النطق والتحكم في حركاتها، ويشمل ذلك حركات الفكين والشفتان واللسان في أوضاع وتشكيلات مختلفة مثل:

- فتح الفم فجأة وبسرعة ثم غلقه ببطء.
- تقنية النفخ في الشمعة، لجعلها مائلة بدون إطفائها.
- تمارين لتقوية اللهاة، وجعلها متحركة عن طريق الضحك والنفخ في أنابي.
- تمارين لتقوية الحلق وتنشيط العضلات الصوتية، وتدريب العضلات لإصدار الأصوات.

- نفخ الخدين وانطباق الشفتين.
- تمارين لحركات الشفتين لنطق الحروف الشفهية ويتم ذلك بمساعدة مرآة لرؤية الشفتين أثناء الفتح والانطلاق، أو الانفراج أو الاستدارة، أو اقتراب الشفة السفلي من الأسنان العليا.

● تمارين لضبط حركة اللسان، يلمس اللسان للشفة العليا ثم السفلي، أو إلى الأنف أي يلمس اللسان الأنف.

- إخراج اللسان وإدخاله ببطء ثم بسرعة.
- تحريك اللسان يمينا وشمالا.
- يتكون البرنامج العلاجي التدريبي عادة من عدة جلسات، قد تكون فردية أو جماعية مع أخصائي عيوب النطق⁽¹⁸⁾.

انطلاقاً مما سبق فإن علاج حالات اضطرابات النطق سواء العضوية أو الوظيفية يتوقف على الحالة بحد ذاته، فكل حالة لها خصائص تميزها سواء من حيث لسن، درجة الاضطراب، نوعه، الحالة الصحية وغيرها.

خلاصة: إنّ اللغة هي الوسيلة التي يستعين بها الفرد في عملية التواصل لكن في بعض الأحيان تظهر عوائق دون الوصول إلى ذلك كالإصابة باضطرابات نطقية سواء العضوية أو الوظيفية، فالأولى راجعة إلى وجود خلل في أعضاء النطق واختلال في الجهاز العصبي والسمعي أما الثانية متعلقة بالنطق الخاطئ للأصوات نتيجة لتعلم خاطئ أو نتيجة للظروف المضطربة المحيطة بالطفل كالأسرة والمدرسة، والتكفل يكون بعد التشخيص الذي يقوم به فريق خاص وبعد تحديد نوع المتابعة اللازمة لكل حالة.

الإحالات:

- 1- أسامة محمد البطاينة، عبد الناصر ذياب الجراح، مأمون ومحمود عوامة (2007)، علم نفس الطفل الغير العادي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، ص519.
- 2- المرجع نفسه، ص529.
- 3- جمال الخطيب (1998)، مقدمة في الإعاقة الجسمية والصحية، دار النشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، ص54.
- 4- سهير محمد سلامة شاش (2008)، اضطرابات التواصل، التشخيص، الأسباب، العلاج زهراء الشرق، جمهورية مصر العربية، القاهرة، مصر، ط1، ص103.
- 5- المرجع نفسه، ص104.
- 6- نفسه، ص105.
- 7- إسماعيل لعيس (دون سنة)، اللغة عند الطفل، المطبعة الجزائرية للمجلات والجراند بوزريعة، ص72.
- 8- السيد كامل الشريتي منصور (2009)، خصائص المختلفين عقليا، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر ط1، ص82-83.

- 9- محمد حولة (2007)، الأرتوفونيا علم اضطراب اللغة والكلام والصوت، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص32.
- 10- المرجع نفسه، ص33.
- 11- سهير محمد سلامة شائش (2008)، نفس المرجع السابق، ص105.
- 12- عبد العزيز السيد الشخص (1998)، اضطرابات النطق والكلام خلفيتها، تشخيصها أنواعها، علاجها، كلية التربية، جامعة عين الشمس، ط1، ص108-109.
- 13- وليد السيد خليفة، ومراد علي عيسى (2007)، كيف يتعلم المخ ذو التخلف العقلي، دار الوفاء لدنيا الطبعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، ص231.
- 14- سهير محمد سلامة شائش (2008)، نفس المرجع السابق، ص102.
- 15- المرجع نفسه، ص103.
- 16- نفسه، ص104.
- 17- نفسه، ص110.
- 18-Daniel M. MOLIN (1980), « **Le développement de Langage** », La liberté, Québec, P61.

REY Alain (1977): *Le lexique : images et modèles du dictionnaire à la lexicologie*, Paris, Armand Colin, col : « Linguistique », 307 p.

VOLTAIRE François-Marie Arouet (1768) : *Correspondance*. Texte établi et annoté par Théodore Besterman (1964), Paris Gallimard, collection: « La pléiade », 162 p.

* - Docteur de l'Université Lumière Lyon II, Laboratoire de recherche C.R.T.T : 86 rue Pasteur. 69365 Lyon cedex 07.

1 - Voir Besnaci Mohammed, *La contextualisation dans la lexicographie bilingue : le cas dictionnaire français-arabe*.

2 - François-Marie Voltaire (1768), *Correspondance*, p. 99.

3 - cAlī Al-Qāsimī (1991), *Illm al-luġa wa šinācat al-mucjam*, p.4.

" على الرغم من أن علماء اللغة المحديثين أنجزوا الكثير في مضمار دراسة اللغة بصورة موضوعية، فإن المعجمين لم يستفيدوا كثيرا من النتائج التي توصل إليها هؤلاء العلماء".

4 - Henri Béjoint (2000), *Modern Lexicography: an Introduction* p.178. "Our general-purpose dictionaries as we know them are the result of a complex interaction between several factors that have solidified over the centuries and are now deeply ingrained in our societies".

5 - Alain Rey (1977), *Le lexique : images et modèles du dictionnaire à la lexicologie*, p.12.

6 - On notera par exemple *Le dictionnaire explicatif et combinatoire* qui est fondé sur la théorie sens-texte.

Liste bibliographique

I. Corpus

BOCTHOR Ellious (1828-1829) : *Dictionnaire français-arabe*, Paris, revu et corrigé par GAUSSIN De Perceval, éditions Firmin Didot, 2 vol, 461, 435 p.

EI-NAGGARY Mohammad Bey (1903-1905) : *Dictionnaire français-arabe*, Alexandrie, Imprimerie F. Mizrahi, 3 vol : 1036 976, 723 p.

NEHME Antoine, MEDAWAR Issam, MITRI Chammas et al (1972) : *Mounged français-arabe*, Beyrouth, Dār al-Mašriq, 981 p.

REDA Mohammed Yousof (2004) : *Al-Kamel Al-Kabir : dictionnaire français-arabe*, Beyrouth, Librairie du Liban Publishers, 1576 p.

SOUHEIL Idriss (2004) : *Al-Manhal : Dictionnaire français-arabe*, Beyrouth, Dār al-'Adab, 1289 p.

II. Ouvrages

BÉJOINT Henri (2000): *Modern Lexicography; An Introduction*, Oxford University Press, 276 p.

BESNACI Mohammed (2012) : *La contextualisation dans la lexicographie bilingue : le cas du dictionnaire français-arabe* Université Lumière Lyon II, Thèse de doctorat en L.T.M.T soutenue le 20 mars 2012, Sous la direction de M. Hassan Hamzé. 489 p.

QĀSIMĪ (AL) °Alī (1991): *°Ilm al-luġa wa šinaā°at al-mu°jam*, l'Arabie Saoudite, Jāmi°at al-Malik Sa°ūd, 214 p.

Comme tout travail susceptible d'être perfectionné, le dictionnaire bilingue français-arabe a ses limites. L'étude des cinq ouvrages a révélé qu'il s'agit d'un ensemble de dictionnaires fondé sur l'esprit intuitif des lexicographes. Nous savons parfaitement que l'intuition n'obéit pas à un critère rigoureux en termes de sélection et d'organisation de la matière linguistique. Nous avons également constaté que la notion de dictionnaire bilingue dédié spécialement aux traducteurs est loin d'être concrète. Il suffit de rappeler que les dictionnaires bilingues sont l'entreprise d'auteurs qui ne sont pas à la base des lexicographes. De nos jours, l'élaboration des dictionnaires est de plus en plus une tâche confiée à des groupes de spécialistes dans les différents domaines technique et scientifique. En conséquence, la conception individuelle des dictionnaires devrait laisser place au travail institutionnel. Ce dernier donne au produit final une certaine touche de fiabilité dans le choix des équivalents. Dans ce sens, il est, plus que jamais, indispensable de prendre en considération les besoins des traducteurs avant de leur adresser des dictionnaires.

Nous avons insisté sur la nécessité de structurer la microstructure. Car l'organisation des données selon une certaine hiérarchie facilite davantage la consultabilité. Nous avons relevé que le recours aux corpus comparatifs entre le français et l'arabe constitue une piste prometteuse pour l'extraction des correspondances lexicales et des contextes traductifs. Dans ce stade, l'outil informatique, avec tous ses supports, permet justement de rendre le travail lexicographique plus performant. Enfin, le dictionnaire bilingue peut être nettement efficace lorsqu'il offre des solutions ou, du moins, le début de réponses aux questionnements qui hantent le traducteur.

La lexicographie est donc passée par des étapes. N'oublions pas qu'il s'agit d'une pratique humaine de 4000 ans. De l'époque des tablettes de pierre, on est arrivé à l'ère des tablettes électroniques. Le dictionnaire est maintenant en ligne et assez facile à consulter en comparaison avec le dictionnaire sur papier. Il peut même être sur CD-Rom, beaucoup moins léger qu'un dictionnaire volumineux traditionnel. Désormais, les lexicographes tendent de plus en plus à utiliser diverses méthodologies et à appliquer des approches lors de l'élaboration des ouvrages de référence. D'ailleurs, on notera plusieurs considérations théoriques⁶ qui ont effectivement constitué des fondements pour des productions dictionnaires. Les approches tentent, entre autres, de justifier l'adoption de la matière lexicale et l'organisation de l'information linguistique dans la logique d'une certaine systématisme. En outre, l'outil informatique aide à la mise en application de ces approches et neutralise la méfiance des linguistes à l'égard de la lexicographie. Celle-ci est restée pendant longtemps sous l'influence des contraintes commerciales : le volume, la taille, le prix, et la quantité. À côté de la lexicographie qui tente de se fonder sur des approches théoriques, il faut rappeler par ailleurs que la lexicographie qui repose sur l'intuition existe encore. En témoignent les cinq dictionnaires bilingues que nous avons mis sous la loupe.

Conclusion

Le présent travail est une synthèse de notre thèse qui a examiné en profondeur plusieurs aspects de la contextualisation. Il convient ici de citer quelques traits saillants relatifs à l'œuvre lexicographique français-arabe. Nous soulignons d'abord que la mise en discours du mot-vedette est importante dans la microstructure. L'encodage ne montre pas seulement les facettes d'usage de l'unité lexicale, mais suggère surtout à celle-ci des équivalents traductifs.

science à part entière, mais plutôt un art qui permet d'appliquer certaines traditions, quelquefois très anciennes.

Quand nous parlons de la théorisation à propos de l'élaboration lexicographique, il faut entendre surtout des justifications du choix de la nomenclature, des principes de l'arrangement de la matière lexicale ainsi que des critères régissant l'inclusion d'une information microstructurelle donnée. Il est donc question, dans l'ensemble, d'opter pour des orientations qui découlent principalement d'un ou de plusieurs critères (s), qui seront appliqués par la suite de manière objective et systématique. En tout cas, un ouvrage qui émane d'un cadre prédéfini est naturellement le contraire d'une collection hasardeuse.

Dans une collection hasardeuse, on peut facilement constater l'écart entre la théorie linguistique et la pratique lexicographique. Une compilation qui ne s'appuie pas sur une approche théorique se justifie probablement par le fait que le lexicographe considère qu'il est compliqué de mettre entièrement en application un ensemble de fondements théoriques bien déterminés lors de la confection dictionnaire. Il se contente ainsi, tout au long de son entreprise, de certaines techniques et conventions lexicographiques.

La production lexicographique moderne se caractérise par le recours à la compilation des dictionnaires élaborés par des équipes de rédacteurs ; il s'agit donc de plus en plus de rédaction collective. La rectification et la révision sont aussi deux tâches qui s'opèrent à l'occasion de chaque nouvelle édition de certains dictionnaires répandus. La mise à jour des données lexicographiques s'effectuera régulièrement pour certains ouvrages et moins souvent pour d'autres. Reste à signaler une autre caractéristique des dictionnaires d'aujourd'hui, ce sont les contraintes commerciales qui influent évidemment sur le produit final, qualitativement et quantitativement. « La décision de publier un dictionnaire relève plus de facteurs économiques ou politiques que d'un noble souci didactique ou scientifique »⁵.

d'autrefois, il n'est pas véritablement question de rupture avec celles de nos jours. Cela nous amène à dire que la linguistique saussurienne et les différents courants qui sont venus par la suite n'ont pas donc changé les pratiques caractérisant l'activité lexicographique ancienne. « Pourtant les linguistes contemporains ont beaucoup produit en matière d'étude linguistique de façon objective. Les lexicographes n'ont pas ainsi profité des résultats obtenus par ces linguistes »³.

La pratique lexicographique la plus apparente, qui est toujours conservée, est la tendance à organiser les entrées selon l'ordre alphabétique ou en suivant l'arrangement thématique. Le type d'information, quant à lui, n'a pas trop changé : gloses synonymies, définitions, exemples, citations et équivalences. Même les fonctions de décodage ou d'encodage restent toujours d'actualité. Dans ce contexte Béjoint reconnaît que « nos dictionnaires généraux comme nous les connaissons sont le fruit d'une interaction complexe entre plusieurs facteurs qui se sont consolidés au fil des siècles et profondément ancrés aujourd'hui dans nos sociétés »⁴.

Les avancées apportées dans la lexicographie moderne résident, semble-t-il, dans deux éléments principaux : l'organisation et la quantité. Les dictionnaires visent à plus de finesse quant à la sélection et à l'organisation de la matière dictionnaire. La séparation des articles les uns des autres, l'utilisation des caractères différents entre les vedettes, la sélection de l'information contextuelle et la classification des données lexicographiques selon un ordre donné. Tout ceci permet entre autres une meilleure consultation.

Certains chercheurs affirment que la théorisation a certes apporté de nouvelles approches au niveau linguistique. Mais, la lexicographie n'est pas obligée de s'en servir, sous prétexte que c'est une activité qui repose essentiellement sur des conventions pour mieux présenter une partie du lexique. De ce point de vue ils considèrent que la lexicographie ne pourrait pas être une

explorer le sujet avec un élargissement du corpus. Elle suscite notre curiosité à examiner les dictionnaires bilingues dans le sens arabe-français. Enfin, l'examen de corpus constitués de bi-textes est particulièrement intéressant, parce qu'il est prometteur pour l'établissement des traductions lexicographiques.

III. La lexicographie : une activité qui se modernise

L'homme ne s'est pas contenté d'inventer l'écriture, mais il a veillé à la préserver pour les générations futures. Les lexicographes anciens faisaient preuve d'imagination afin d'enregistrer le lexique en se contentant de moyens dérisoires qui étaient à leur disposition. Le plus souvent, leurs travaux furent le fruit de certains besoins vitaux qui touchèrent parfois de façon directe la survie d'une langue.

Le dictionnaire remonte *a priori* à des périodes lointaines de l'Histoire. Il existe encore, et sa production est à la fois importante et variée. Depuis toujours, le produit lexicographique était un outil essentiel pour les sociétés linguistiques. Évidemment, sa conception a plus au moins changé avec le temps selon les besoins de chaque groupe social. Chaque société utilise et produit différemment le dictionnaire compte tenu de ses propres besoins et, par voie de conséquence, de sa prédilection pour le dictionnaire monolingue ou le dictionnaire bilingue.

Le dictionnaire était et reste encore un moyen de communication qui se propose une matière lexicale et des données linguistiques et non linguistiques nécessaires qui vont avec. Il peut, aussi, être un outil qui s'articule autour de la mise en communication de systèmes lexicaux différents. Dans l'époque contemporaine, on remarque certes une multiplication de publications d'ouvrages de référence de tous types et de tous formats. Cependant, les traditions lexicographiques anciennes restent parfois les mêmes en termes de conception et des fonctions relatives au dictionnaire. De plus, du point de vue de certaines techniques appliquées dans la lexicographie

les équivalences contextuelles. Il y a lieu également de noter que la discrimination des contextes est susceptible de permettre une meilleure orientation de la consultabilité. Il semble opportun, à ce stade, de prendre en considération les spécificités relatives à chaque type contextuel dans l'opération de traduction.

Au regard de l'interdisciplinarité du texte lexicographique, les dictionnaristes n'ont pas eu recours aux travaux de disciplines avoisinantes telles que la traductologie, la terminologie l'informatique, la sociolinguistique, l'analyse du corpus, en partie la linguistique moderne. Les résultats ont également mis l'accent sur la nécessité de se fonder sur une approche théorique pour aboutir à un ouvrage lexicographique, notamment à l'aide de l'exploitation d'un ensemble de corpus élargi et varié. Celui-ci fournit précieusement une mine d'exemples authentiques. Dans ce sens la compilation d'un dictionnaire est synonyme d'une recherche de l'information et de son organisation selon un ordre déterminé. La représentativité des renseignements rime avec une quantité raisonnable de contextes pour ne pas encombrer l'article de redondances. En tout cas, plus l'espace microstructurel est structuré, plus l'accès à l'information est pratique et simple. Le dictionnaire qui ne traduit pas une approche théorique de façon systématique a très peu de chances de satisfaire les attentes des traducteurs.

Les dictionnaires bilingues français-arabe ont donc leurs limites. Ces dictionnaires peuvent être perfectionnés et améliorés pour le plus grand plaisir des traducteurs. La nouvelle génération attendue de dictionnaires bilingues doit, d'une part, accorder un intérêt particulier à l'établissement des correspondances lexicales, et des équivalences discursives (des deux langues mises en parallèle) ; et d'autre part elle doit présenter la masse contextuelle selon une organisation optimale. Ce type de dictionnaire sera en mesure de venir en aide aux traducteurs car il leur apportera des réponses appropriées.

Notre étude a ouvert de grandes perspectives pour approfondir davantage la nature des questions traitées. Elle nous incite à

dictionnaires bilingues dans le processus de traduction. A partir du moment où le traducteur est appelé à consulter les ouvrages de référence, nous sommes en mesure de nous interroger sur la fiabilité de son bagage. Bon nombre de questions, liées à la nature des langues vivantes, ont été soulevées lors de notre recherche. Nous citerons l'exemple suivant : vu que le savoir se vulgarise, à qui revient le rôle de la création néologique ? Au traducteur, au lexicographe ou bien encore aux moyens de communication ? Car quand on traduit, on véhicule des notions et des références qui n'ont parfois pas de correspondances, ni d'équivalences en langue d'arrivée. Reste que dans nos sociétés actuelles, le dictionnaire jouit d'une autorité incontestable, alors qu'il a des lacunes et des défauts. Aussi, nous avons exposé une étude critique entre deux langues (qui ont des centaines de millions de locuteurs) pour que la conception des dictionnaires bilingues réponde positivement aux diverses attentes des traducteurs. D'ailleurs, nous avons estimé nécessaire de nous pencher précisément sur l'exploration des dictionnaires bilingues, parce qu'il y a très peu d'études autour de ce sujet.

L'étude a rendu compte de la nécessité de concevoir des ouvrages de référence bilingues dédiés spécialement à la communauté des traducteurs. En effet, la microstructure des dictionnaires bilingues renferme une masse contextuelle qui manque nettement de cohérence. C'est pourquoi, la décontextualisation des vedettes ainsi que la mise en correspondance approximative ne favorisent pas une traduction lexicographique pertinente pour le traducteur. N'oublions pas que l'influence du dictionnaire monolingue sur le bilingue peut être néfaste, à plus d'un égard. La démarche des deux types de dictionnaires diverge ; la nature du contenu microstructurel de l'un ne correspond absolument pas aux objectifs de l'autre. L'amélioration de la qualité de correspondance et de la traduction des contextes lexicographiques est toujours possible. Cette amélioration peut se réaliser dans le cadre du travail sur les corpus comparatifs pour établir les correspondances lexicales et

terme devient de plus en plus un élément essentiel dans la nomenclature du dictionnaire bilingue.

II. L'amélioration du dictionnaire bilingue pour mieux servir le traducteur

Par l'étude de la contextualisation, nous avons présenté les pratiques et les tendances lexicographiques de cinq dictionnaires. Nous avons mis en évidence des éléments indiquant l'évolution de la lexicographie bilingue au fil du temps. L'étude a donné un relief particulier à l'apport du dictionnaire bilingue dans une perspective contrastive. Nous avons insisté sur la nécessité d'améliorer ce qui est moins développé dans l'ouvrage de référence afin qu'il puisse venir, plus efficacement, en aide au traducteur. Ainsi, pour placer le dictionnaire bilingue au cœur de l'activité de traduction, il faut que l'utilisateur/traducteur y trouve une matière riche, adéquate et adaptée à ses besoins. La perspective d'encodage, en microstructure, permet notamment d'avoir des résultats satisfaisants dans une visée traductionnelle. Nos résultats ont, entre autres, montré qu'il n'y a ni structuration optimale, ni aménagement microstructurel dans les dictionnaires bilingues. En clair, l'organisation de la matière linguistique dans les articles lexicographiques fait cruellement défaut. Nous avons pu démontrer que le recours aux corpus comparatifs et parallèles représente la solution idéale pour établir une matière dictionnaire. En outre, l'aménagement des renseignements est primordial pour une consultabilité pratique. C'est pourquoi la disposition de la microstructure doit reposer sur une méthode théorique donnée.

Dans nos sociétés, la communication prend, de plus en plus de l'ampleur, notamment grâce aux nouvelles technologies. Dans un monde globalisé, le savoir se diffuse et se partage entre les peuples des cinq continents. C'est ainsi que la traduction est une opération vitale qui permet la transmission des messages ; d'où l'intérêt de notre thèse dans l'analyse de la place des

L'étude a pu montrer que l'influence du dictionnaire monolingue est apparente sur le dictionnaire bilingue. Les ouvrages qui confirment ces propos sont les dictionnaires de *Boctor* et le dictionnaire d'*El-Naggary*. Le premier s'inspire de la conception du monolingue français dans la mesure où l'information de la langue de départ est expliquée avant que la traduction correspondante lui soit attribuée en langue d'arrivée. Le second dictionnaire contient certaines caractéristiques relatives à la lexicographie monolingue arabe : par le volume de l'information microstructurelle et par les types contextuels utilisés.

Mis à part l'aspect linguistique, le discours lexicographique est aussi porteur d'une vision culturelle corrélative à une communauté linguistique. Le contact entre les langues engendre des écarts, des similitudes et des interférences aux niveaux lexical et contextuel. L'échange lexical et le transfert des notions se manifestent à travers les néologismes et les emprunts. Le voyage de la charge culturelle enrichit dans une certaine mesure la langue réceptrice. Le dictionnaire bilingue peut alors se révéler le lieu d'interculturalité par excellence. Mais, au niveau du traitement dictionnaire, les lexicographes n'ont pas eu une vue suffisamment globale sur les contextes qui reflètent des traits culturels. Il arrive parfois que le contexte aille au-delà de la langue, notamment lorsqu'il s'agit de discours portant sur l'idéologie, le politique ou encore le préjugé. Le contexte, dans ce cas, véhicule beaucoup plus de renseignements d'ordre social moral et personnel.

Nous soulignons au passage que le décodage est une activité nécessaire dans le développement microstructurel. On utilise la suite définitionnelle pour mieux éclaircir le correspondant proposé, en particulier s'il s'agit d'une création lexicale. Le contexte définitoire peut également encadrer et gloser le contexte lexicographique. En outre, le discours de métalangage a pour fonction de commenter l'exemple. Ainsi, les données terminologiques fournissent des solutions au traducteur, car le

l'effet de la neutralisation et de l'adaptation, les syntagmes sont détachés de toute situation de communication. L'élection des contextes lexicographiques doit en principe prendre en considération certains critères permettant une consultation pratique. Les critères susceptibles de mieux orienter la recherche sont la clarté, la simplicité, la mise en discours de la vedette et l'expressivité.

Nous pouvons affirmer sans outrance que l'aspect sémantique est particulièrement important dans un dictionnaire bilingue. La contextualisation couvrant les acceptions ou encore les nuances sémantiques permet à l'utilisateur/traducteur d'avoir un large éventail d'équivalences. Les contextes contenus au sein d'un article donné ne touchent pas uniquement au sens de base de l'unité lexicale, mais évoquent également le glissement sémantique, ainsi que le sémantisme global des expressions idiomatiques. L'exemplification montre du point de vue syntaxique, les combinaisons dans lesquelles le mot, faisant l'objet de description lexicographique, peut figurer. Les différents contextes fournissent ainsi à l'utilisateur les possibilités d'associations et de distributions linguistiques du mot-vedette. Cependant, les lexicographes n'ont pas échappé à l'accumulation contextuelle limitant ainsi l'apport réel de la microstructure.

L'intégration des exemples signés est une valeur sûre dans le corps de la microstructure. Dans ce sens, Voltaire affirme qu'«un dictionnaire sans citation est un squelette»². Les contextes signés mettent notamment l'accent sur l'usage de la vedette dans le discours, alors que les syntagmes forgés, quant à eux, restent toujours le fruit de l'intuition du lexicographe. Nous avons noté, par ailleurs, que les perceptions divergent à propos du niveau de langue. L'emploi du dialecte est frappant chez *Bothor*, mais moins important chez *El-Naggary* et encore très limité dans *Al-Kamel*, alors qu'on se contente du niveau littéral dans le *Mounged* et dans *Al-Manhal*.

aide au traducteur par lui offrir des équivalents et des énoncés exemplaires.

Notre étude est conduite sous un angle double: descriptif et analytique. Etant donné la pluridisciplinarité du texte lexicographique, la contextualisation a été abordée suivant les approches linguistique et contrastive. Dans le développement de notre discours, nous nous sommes appuyé sur l'observation des articles tirés évidemment des dictionnaires. Nous avons recouru également aux données statistiques en vue de consolider notre analyse. Nous avons fait appel à la comparaison de façon limitée afin de mieux étayer les caractéristiques des ouvrages lexicographiques.

I.III. Les résultats de l'étude contextuelle

Au cours de notre thèse, l'accent a été mis sur l'état de l'unité lexicale en contexte et hors contexte. Et plusieurs autres aspects relatifs au contexte ont été également évoqués. Ainsi donc l'examen de la pratique lexicographique bilingue a donné lieu à plusieurs constatations. Les contextes revêtent d'abord de l'importance dans la démonstration des équivalents de l'unité lexicale. Cette importance s'intensifie sensiblement dans une perspective d'encodage. La contextualisation permet justement d'avoir des résultats satisfaisants dans une optique de traduction. L'analyse a aussi révélé que la microstructure est de nature plate. La répartition de la donnée contextuelle ne s'est donc pas fondée sur une approche théorique. Ce type de disposition a engendré une carence de la classification des renseignements apportés et un manque d'indication des différents types de contextes. Nous soulignons, en outre, que l'œuvre lexicographique bilingue français-arabe se caractérise comme étant l'exemple parfait d'initiatives individuelles. Ces types d'ouvrages sont, dans le meilleur des cas, le fruit d'une équipe réduite de rédacteurs.

L'analyse a mis en évidence que les contraintes lexicographiques spécifient en grande partie l'exemple. Sous

Enfin, la dernière partie aborde la contextualisation sous les angles extralinguistique et traductionnel. Nous savons que le dictionnaire bilingue met deux systèmes lexicaux en contact. C'est pourquoi nous avons étudié les manifestations du paramètre culturel dans l'exemplification. Nous avons également mis l'accent sur le reflet de l'environnement social au niveau de la production discursive. Nous avons discuté de certains phénomènes comme les écarts culturels, les ressemblances et les interférences, qui figurent lors de la transmission de la charge culturelle. Nous avons examiné les influences mutuelles entre la langue de départ et la langue d'arrivée. Nous nous sommes intéressé à explorer la subjectivité dans le choix des contextes illustratifs. L'examen de la subjectivité s'explique par le fait que le dictionnaire est un ouvrage de référence et pourtant il maintient certaines idéologies, certains dogmes et autres préjugés. Par ailleurs, la présence du contexte définitoire nous a amené à explorer sa relation avec l'information traductionnelle. A ce propos, nous nous sommes demandé si la glose est un message secondaire ou essentiel ou encore complémentaire par rapport aux correspondants lexicaux et aux traductions syntagmatiques. Nous avons répondu par identifier la nature des unités lexicales qui ont fait l'objet d'explication. Puis, nous avons énuméré les raisons du recours à l'information définitionnelle. Quant à l'axe relatif à la traduction lexicographique, nous avons mis en évidence sa nature. Nous avons démontré ses spécificités et soulevé les difficultés objectives lors de la transmission des données microstructurelles. Nous avons surtout relevé les méthodes du transfert interlinguistique. Nous avons souligné les moyens d'assurer la mise en correspondance lexicale et la mise en équivalence contextuelle. Nous avons mis en relief l'apport précieux de la traduction pour la langue d'arrivée et ce par l'examen de la créativité lexicale. L'aspect traductionnel revête, par conséquent, de l'importance. Car le dictionnaire bilingue est censé venir en

avons présenté le corpus et relevé les raisons de son choix. Puis nous nous sommes intéressé à examiner les deux composantes de la structure dictionnaire: la macrostructure et la microstructure. Nous nous sommes demandé selon quelle organisation les lexicographes ont synthétisé leurs données. Enfin, nous avons fait également l'inventaire des types de renseignements lexicographiques illustrant la vedette qui figure dans l'espace microstructurel.

Dans la seconde partie, nous nous sommes rapprochés de l'aspect fonctionnel de la contextualisation. En clair, il était question de mettre en lumière la fonction du contexte lexicographique dans un dictionnaire bilingue. Dans un premier temps, nous avons mis en relief la nature de l'unité lexicale hors contexte. Car elle est l'élément central qui fait l'objet de mise en discours. Dans un second temps, nous avons rendu compte du fonctionnement des contextes du point de vue linguistique avec une focalisation sur les paramètres sémantique, syntaxique etc. Nous avons tenu compte de la distinction entre deux grands sous-ensembles contextuels à savoir les expressions et les exemples. Nous avons disséqué chaque type contextuel pour déterminer ses propres spécificités linguistiques et ses propres problèmes. Les expressions englobent les contextes codés (idiotismes, collocations, proverbes), alors que les exemples renferment les contextes construits (exemples forgés et exemples signés). Dans le chapitre relatif aux expressions, nous avons décelé leurs caractéristiques, leur traitement lexicographique leur transfert interlinguistique et leur évolution diachronique. Le chapitre consacré à l'exemple a mis en évidence la présence de l'exemplification du point de vue quantitatif. Il a rendu compte de la répartition des données informationnelles, de leur traitement dictionnaire et de l'usage du niveau de langue notamment dans la partie arabe. La typologie des exemples nous a permis de mieux comprendre le rôle ainsi que les fonctions du contexte en microstructure.

(2004), et Al-Kamel de Youssof Mohammed Ridha (2004). Tous ces lexicographes ont d'ailleurs tenté de venir en aide aux traducteurs, du moins telle fut leur intention clairement énoncée. Les paramètres pris en compte dans le choix du corpus sont la diachronie, l'encodage et le décodage, la matière lexicographique et le type du public : francophone ou arabophone ou les deux. Le corpus est ainsi varié, riche et représentatif. Le choix de ce corpus nous a permis d'avoir une vue d'ensemble sur la pratique lexicographique bilingue.

Dans notre étude, nous avons ainsi analysé la structure des cinq dictionnaires. Nous avons examiné la problématique de la contextualisation afin de vérifier son apport pour le traducteur. L'idée centrale était de savoir dans quelle mesure le dictionnaire bilingue est utile dans une visée traductionnelle. Pour ce faire nous avons mis en évidence la place de la contextualisation partant du fait que le traducteur cherche des équivalences discursives et non des correspondances lexicales.

I.II. L'organisation du travail et la méthodologie suivie

Au regard du caractère interdisciplinaire de l'ouvrage de référence, l'analyse de la problématique est centré sur trois axes :

1. L'axe organisationnel
2. L'axe fonctionnel
3. Les axes extralinguistique et traductionnel.

L'architecture interne du texte global se compose ainsi de trois parties, de sept chapitres. Chaque chapitre répond à certaines questions pour une meilleure appréhension de l'enjeu des contextes lexicographiques, et ce pour des fins traductionnelles.

Dans la première partie, nous avons exposé d'abord une esquisse du cadre théorique et des notions de base relatives au contexte et au texte lexicographique. L'objectif était de dégager les caractéristiques de l'ouvrage de référence. Ensuite, nous

I. Le cadre général de la thèse

I.I. Les motifs et les origines de la recherche

De nos jours, le dictionnaire fait partie des ouvrages qui connaissent des taux de tirage élevés. Bien évidemment, les différentes éditions varient entre productions originales et réimpressions. Cet état de fait s'explique par l'importance grandissante de la communication. Cette dernière s'alimente par le lexique et la terminologie. Il faut aussi mentionner que le passage d'un univers linguistique à l'autre amène les locuteurs non natifs et les traducteurs à faire appel au dictionnaire bilingue ou multilingue. Par le recours aux ouvrages de référence, on aspire donc trouver des réponses aux problèmes de la traduction.

Nous noterons, avant toute chose, que la culture arabe s'est intéressée depuis longtemps à la lexicographie monolingue. Avant *la Nahda (Renaissance arabe)*, on a principalement mis sur la compétence linguistique des traducteurs pour effectuer les traductions vers l'arabe. Ni l'élaboration, ni non plus la production des dictionnaires bilingues n'ont suscité un quelconque enthousiasme chez les Arabes. Pour le cas des dictionnaires français-arabe, ils ne sont apparus qu'au XIX^{eme} siècle. Tout au long de ce même siècle l'intérêt porté aux dictionnaires entre les deux langues et dans les deux sens s'est essentiellement manifesté chez les lexicographes français. Mais à partir du XX^{eme} siècle, les lexicographes arabes se sont penchés à leur tour, sur la production des dictionnaires bilingues. Ils cherchaient essentiellement à offrir des correspondances aux termes techniques et scientifiques.

A propos du choix de notre corpus, nous soulignons qu'après une longue réflexion, nous avons opté pour un florilège de dictionnaires tourné vers un seul et unique sens : du français à l'arabe. Le corpus se compose de cinq ouvrages : le dictionnaire d'Ellious Boethor (1828-1829), le dictionnaire d'El-Naggary (1903-1905), le Mounded (1972), Al-Manhal de Souheil Idriss

L'aspect contextuel dans le dictionnaire bilingue français-arabe.

Dr. Mohammed Besnaci*
Université Lumière Lyon II, France

Résumé :

L'actuelle recherche reprend l'essentiel des résultats de notre thèse soutenue en 2012 à l'Université Lyon II. Nous y avons étudié la contextualisation dans la lexicographie bilingue¹. La problématique principale évoquée est la suivante : dans la pratique, le traducteur travaille sur des mots insérés dans des contextes, et non sur des unités lexicales dépourvues de toute situation de communication. Tandis que l'ouvrage lexicographique, constituant un des outils du travail traductionnel, met en contact deux systèmes lexicaux. Tout ceci nous amène à nous interroger sur l'état de la contextualisation dans le dictionnaire bilingue français-arabe pour en déterminer son apport pour le traducteur. Ainsi, dans l'actuel travail, nous donnons une radiographie de la contextualisation sur les plans organisationnel, quantitatif et qualitatif. Nous mettons en lumière le contexte lexicographique sous plusieurs angles : son fonctionnement linguistique, sa relation avec le paramètre extralinguistique ainsi que son dynamisme dans une optique contrastive. Nous mettons, par ailleurs, l'accent sur la répercussion de l'amélioration de l'ouvrage de référence sur le rendement du traducteur. Nous finirons par discuter de l'évolution de l'activité lexicographique, notamment grâce à l'outil informatique.

Mots clés : contextualisation, dictionnaire bilingue, encodage traduction, langue de départ, langue d'arrivée, utilisateur.

- Fradinger, Moria. *Binding Violence. Literary Visions of Political Origins*. Stanford: Stanford University Press, 2010.
- Hamilton, Paul. *Historicism*. London, New York: Routledge,1996
- Horowitz, Louis Irving(Ed). *Power, Politics, and People: The Collected Essays of C. Wright Mills*. New York: Ballatine,1963.
- Kegan, Paul. *Gramsci and Marxist Theory*. London: Routledge,1979.
- Kolbas, E.Dean. *Critical Theory and the Literary Canon*. Colorado: Westview Press, 2001.
- Mc Culloch, Jack. *Colonial Psychiatry and the African Mind*. Cambridge: Cambridge University Press, 1995.
- Mouffe, Chantal. Laclau, Ernesto (1985). *Hegemony and Socialist Strategy*. London New York: Routledge, 2001.
- Nancy, Jean Luc (1988).*The Experience of Freedom*. Trans, B. Mc Donald Stanford: Stanford University Press, 1993.
- Norman, Richard. *On Humanism. Thinking in Action*. London, NewYork: Routledge,2004.
- Paine, Thomas. *The Rights of Man*. Easyread Edition. Kent: Wordsworth Edition Ltd, 1996.
- Solomons, John.Back, Les (Eds) *Theories of Race and Racism. A Reader*. London, New York: Routledge, 2000.
- Said, Edward. *Representations of the Intellectual*. New York: Vintage Books,1996.

reconcile but to articulate: why and how one must call for both popular sovereignty and freedom of the individual; the universality and diversity of mankind; the absolute or relative character of value judgment, free or determined action, each of these questions. Paine and Fanon encourage the reader not to choose one term to the detriment of the other, but consider both simultaneously. There are not choices to be made but discrepancies that define the thought of man and his societies. Every epoch had its prophets and its men of inspiration, but each one spoke the life of his times as it seems clear in the case of Paine and Fanon for whom revolutionary wars are considered as the most dramatic and important events in their political life. But questions of the two intellectuals' contribution to the construction of a better and peaceful world, their humanism, and their global visions of man let them bypass their revolutionary claims. The study of Paine and Fanon together is one of the areas where critics are most seriously lacking at and, therefore, today more than ever, that the question be posed that is rarely being invoked.

Bibliography

- Browitt, Jeff. Milner, Andrew. *Contemporary Cultural Theory*. Sidney: Allen& Unwin, 2002.
- Bulhan, Hussein Abdilahi. *Frantz Fanon and the Psychology of Oppression*. New York and London: Plenum Press, 1985.
- Camus, Albert (1957), Dec, 10th. From *Nobel Lectures, Literature 1901-1967*, Ed. H. Frenz. Amsterdam: Elsevier Publishing Company, 1969.
- Caute, David, *Frantz Fanon*. London: Fontana Collins, 1970.
- Ekers, Michael. Hart, Gillian. Stephan Kipfer. Alex. Loftus. *Gramsci Space, Nature, and Politics*. London: Wiley-Blackwell, 2013.
- Fanon, Frantz. *Black Skin, White Masks*. (trans. Markmann). New York: Grove Press, 1967.
- Fanon, Frantz. *The Wretched of the Earth*. London: Penguin Books, 1990

radical movement for decolonization; a struggle to produce a meaningful life. The utopian elements that is constitutive of Paine and Fanon's imagination of freedom. Creative engagement, intellectual commitment, and freedom of expression in the *Right of Man* (1791) and *Black Skin White Masks* (1952) is what the works focus on. Freedom insists on being claimed as a general value to be championed and imposed no matter the means. Paine and Fanon variously entail, promote and defend the form of active physical resistance to oppression with all the ethical quandaries and dilemmas connected to the use of violence. Their liberating way of thinking fits, therefore Albert Camus's vision of the intellectual (writer). In his speech at the Nobel Banquet in Stockholm on December, 1957, Camus pays homage to the intellectuals could not put themselves in the service of those who make history; they are at the service of those who suffer it. None of us, reiterates Camus, is great enough for such a task. But "all circumstances of life, in obscurity of temporary frame, cast in the irons of tyranny or for a time free to express himself. The writer (intellectual) can win the heart of a living community that will justify him, on the one condition that he will accept to the limit of his abilities. The two tasks that constitute the greatness of his craft: The service of truth and the service of liberty. Whatever our personal weaknesses may be the nobility of our craft will always be rooted in two commitments, difficult to maintain: the refusal to lie about one knows and the resistance to oppression (Camus.1957).

Camus's words apply so well to Paine and Fanon as they lived in a permanent interest to different subaltern and oppressed groups, not as instrumental additions, but as co-constitutive and transformative of these groups. For both thinkers internationalism was more than the sum total of national party or institution strategies. It involved the production of translocal transnational forms of solidarity. Paine and Fanon never adhere to a single dogma, but that they begin by recognizing two forces, two requirements, and two contrary needs which they seek not to

advance. Both were intensely active as journalists with the publication of numerous newspaper articles and pamphlets. Both put themselves in the service of those “who suffer history” and those who to resist all forms of falsehood and subjugation seen to be a grand self-renovating project. Resistance underpins Paine and Fanon’s passionate reflection in all his essays and articles. Likewise, resistance runs through Paine and Fanon’s discussion of *The Wretched of the Earth* (1961), it surfaces in the screaming voices of slaves and colonized people. His intoxicating insurrection against race subjection and abjection; the right to resist and live a descent life still holds, and it circulates in the many routes that men, women, and children follow in the hope to achieve freedom. Because of unequal global distribution of wealth and of the quality of life regulated by power, freedom is not granted to everyone and it is still an unaffordable dream for millions of people.

Utopia also coexists with Paine and Fanon’s desire for a home that may composite the devastating effects of imperial history and colonialism. A world that allows each of its citizens to find a place that may contain their future. Their present was “seldom” free and because there is of necessity a utopian element in freedom, a moment of deferral in its experience which calls for belief and hope. *The Rights of Man* and *Black Skin and White Masks* radiate a “spirit of utopia” that does recall in spite of the different contexts, refer to Paine and Fanon’s writing about the future. In the American history when all was death and destruction, Paine saw hope in the future as strictly related to the darkness of the present. Similarly, Fanon’s work has been written exactly at a crucial juncture between memory and prophecy, where darkness may be dispelled and unfreedom overcome by searching for alternative truths in the past and hoping for a free future. Both afford themselves the right to believe in alternative ethical, sociopolitical models that might lead to freedom. Alongside the apparent exhaustion of the utopias of liberation that supported some of the most powerful

define themselves as that of humanists, neither individualists defending liberty against all its enemies. How Paine and Fanon's engagement in public illustrate their principles?

Both are not contented with elaborating doctrines, on several occasions in their lives, they become men of action, politically active. They were reproached with having been advocates of violence but behind the declaration of the noble principles dissimulated the defense of oppressed people. Paine and Fanon's choice of revolution to end the colonial terror, to establish a popular sovereignty that does not override personal freedoms can be defined by two negatives: the rejection of those who are against revolution, and the rejection of those who want to push it to the point of terror. Their centrist positions make them fight the two extremes which do not put them in contradictory position. They are not party men: not because they are saints or unable to take their interests into account, but because they extend their loyalty to the ideas in which they believe, not to the apparatuses: to defend what is right and just, not to serve specific interests. They are faithful not to individuals, but to principles. They do not believe in an immutable identity of the person that would remain insensitive to circumstances, they always proclaim the same ideals. People change, principles stay. Both choose ideals rather than parties, devoted themselves with zeal and perseverance to the defense of any individual whom they saw oppressed. In the midst of political tempest, they lend all the support of their action and courage to persecuted people. This kind of position professed by Paine and Fanon is more valuable as a political philosophy than as a political action. It makes it possible to fight the extremes, to escape sectarianism and remain faithful to an ideal rather than a party. One thus grants to Paine and Fanon that they remained in practice, faithful to their own theories.

During their careers, both know that printing is the essential tool of democracy, but for this tool to be accessible to all requires a pluralist press and publications not controlled in

reformulate them over the rest of their lives. This is the point to which they return most often and it is what they consider the leitmotiv of their political philosophies. For both, “to be happy” men need only to be allowed perfect independence, regarding everything that touches on their occupation, their sphere of activity, and their imagination. Freedom, a utopian word, is all that is required for the happiness of modern man whose part Paine and Fanon resolutely take. The plots of tragedies, as imagined by Paine and Fanon, all lean in the same direction. Whether the black slave fighting for his release; his adversary is “the iron-clad institutions, the regime of blood, the hanging judges, the pitiless masters, and all that arsenal of a police force crushing a single unfortunate person because his color is different are the back bone on which their works rest and will be the domains inside which Paine and Fanon will exert their critical and constructive spirit. The political, social world of public action, the realm of diversity, intimate life of affection and love, such will be the intellectual and militant plan that will animate Paine and Fanon in all their activities. Their attitude is not dogmatic but dialogical because they do not seek to close the debate with simple and definite answer, but to shake off initial certainty and lead toward more enlightened convictions.

Equality is another universal value that dominates the public space and provides the foundation for justice to be exercised. Throughout their lives, Paine and Fanon would grant considerable weight to this driving force in human action. Their political choice is defined by a double contrast, hidden in the dual meaning of the word “liberty” the anti-thesis of traditional authority, at the same time, of the materialist Western causality. Both remain uncompromisingly partisans of each one’s right to choose his own life, rejecting blind subservience to any arbitrary tradition. They are resolutely opposed to ambioned determinism which resulted from the materialism of Enlightenment. They found support in the triumphant scientific spirit. By rejecting both these points, Paine and Fanon’s position

themselves nor of what is called glory. They are not politicians who left the reader a reflective work exposing the lessons of their experiences. They are rather thinkers, philosophers and writers who cannot remain indifferent to the fate of the world and who decided to accept their responsibility. Their engagement was crowned with success, even if, since the time of their death many critics have forgotten Paine and Fanon's many merits. Democracy for all is the direct heir of the ideal that they defended. While the interest of critics is on the aspect of violence, it is by no means the only driving force, aspiration to justice, equality, and liberty must also be considered. Paine and Fanon suggest an answer to this question in their *Rights of Man* (1791) and *Black Skin and White Masks* (1952), two texts that contrast the idea of reducing the two thinkers' ideologies of merely advocating violence. Paine and Fanon's thoughts on revolution cannot be limited to the well known theories of advocating violence, theories that are quite old and are certainly present in their texts. While using the language and arguments of these theories, Paine and Fanon give their readers their own social thoughts which incarnate an ideal of justice and generosity. Both adhere to a sophisticated religion which submits to any interest other than that of the oppressed. Paine and Fanon were able to sacrifice themselves, to find values higher than their own life. The "force of sacrifice" is the mother of all virtue for these two dedicated thinkers who have given up seeking glory and content themselves with the enthusiasm, the power, and convictions of ideals they defended and the reader should not be deluded on this point. What interests Paine and Fanon above all is the suffering of others, or more precisely, the dominated, the exploited, and the oppressed. Adopting this line of behavior for the whole central period of their life, Paine and Fanon have the noble faculty of living through and for others. They shared their burning desire for independence, a great impatience with bounds by which they were surrounded. Their ideas on freedom were fixed since their first writings; both would only revisit them and

institutions. For him: “the independent intellectuals are among the few remaining personalities equipped to resist and to fight the stereotyping and consequent death of genuinely living things. Fresh perception now involves the capacity to continually unmask and to smash the stereotypes of vision and intellect with which modern communications swamp us. These worlds of mass-art and mass-thought are increasingly geared to the demands of politics. That’s why it is politics that intellect solidarity and effort must be centered. If the thinker does not relate himself to the value of truth in political struggle, he cannot responsibly cope with the whole of live experience (Mills.1963:299).

To observe the dangers that Paine and Fanon describe and to examine the remedies that they propose, it is useful to return to what they themselves judge to be the focal point of their analyses, the liberty, equality, and justice in the sense that they use them. Both start with a plea for liberty, the supreme value and believed in a universal humanity, founded in liberty but, at the same time, to take into account the development of various societies and the forces of social pressures. Their common utopian vision of man and their utopian world where freedom equality and justice reign; the same world continues to be “waved” as a banner by endless parties and movements across the political spectrum. The utopian project of Paine and Fanon resembles the proposal of Jean-Luc Nancy’s *Experience of Freedom* (1988) where the author closely links the right in free futures with thinking of freedom which means: freeing freedom from manipulations, including, first of all, those of thinking. Such a way of thinking requires something on the order of revolution, and also a revolution in thinking (Nancy.1988:102).

The utopian project of Paine and Fanon is to build a world devoid of a common language of exploitation and warfare, the projection of a dream of universal and substantive democracy which ends with the deep crisis of freedom as a universally accepted human value. Both Paine and Fanon neither think about

and persons. Accordingly, there is an inestimable value to what Paine and Fanon did to ensure the community's survival during periods of extreme national emergency, loyalty to the group's fight for survival. They are often looked to by members of their nationality to represent, to speak out for, and testify to the sufferings of that nationality. They are in symbolic relationship with their time: in the public consciousness, they represent achievement, fame, and reputation which can be mobilized on the behalf of ongoing struggle or embattled community. Inversely, they are very often made to bear the burns of their community's opprobrium, either when factions within it associate the intellectual with the wrong side.

Gramsci and Said's visions of the intellectual accord to the way Paine and Fanon whose task is explicitly to universalize the crisis, to give greater human scope to what a particular nation suffered, to associate that experience with the suffering of others. Both start out as potential legal scholars, critics, historians essayists, philosophers and social theorists with public welfare as their goals. Though they are issued from different societies, but they do serve the same purpose, which is something, panoramic realistic of their periods, of showing intellectuals in action, beset with numerous difficulties and temptations. Their representations, their articulations of a cause or idea to society, are not meant primarily to fortify ego or celebrate status. Nor are they principally intended for service within powerful bureaucracies and with generous employers. Their representations are activity itself, dependent on a kind of consciousness that is skeptical, engaged, unremittingly devoted to rational investigation and moral judgment. They stand therefore, for what the American sociologist C. Wright Mills calls a fiercely independent intellectual with an impassionate social vision and a remarkable capacity for communicating his ideas in a straightforward and compelling way. They were faced either with a kind of despondent sense of powerlessness at their marginality, or with the choice of joining the ranks of

deliberate or inadvertent violation of these standards need to be testified and fought against courageously (Ibid.12).

Real intellectuals for Edward Said, constitute a clerisy, very rare creatures indeed, since what they uphold are eternal standards of truth and justice that are precisely not of this world. They are never more themselves than when, moved by metaphysical passion and disinterested principle of justice and truth, they denounce corruption, defend the weak, defy imperfect or oppressive authority. They conceded their moral authority to what, in a prescient phase “the organization of collective passions”. Real intellectuals risk being burned at the stake ostracized or crucified. They are symbolic personages marked by their unyielding distance from practical concerns in a state of permanent opposition to the status quo: their blinding insights into eternal principles might, like those of Don Quixote, be little more than private fantasies. They are able to speak the truth to power, a crusty, eloquent, fantastically courageous and angry individuals for whom no worldly power is too big and imposing to be uncriticized and pointedly taken to task (Ibid.5).

With reference to Fanon, Said reiterates that: “It is inadequate only to affirm that a people was dispossessed, oppressed or slaughtered, denied its rights and its political existence, without at the same time doing what Fanon did during the Algerian war affiliating those horrors with the similar afflictions of other people. This does not at all mean a loss in historical specificity but rather its guards against the possibility that a lesson learned about oppression in one place will be forgotten or violated in another place or time. Said’s notion of the “intellectual” who exists in a kind of universal space, bound neither by national boundaries nor ethnic identity accords with Paine and Fanon as they are individuals whose capacity for thought and judgment make them suitable for representing the best thought as they are not allied with the stability of the victors and rulers. Both Paine and Fanon took the difficult path of taking account of the experience of subordination, the memory of the forgotten voices

good sense that workers share with one another, namely “practical transformation of the world”. As they are actively involved in society; they constantly struggle to change minds. Organic intellectuals, reiterates Gramsci, are able to carry needs from the private into the social, or extend the political functions of the social into the private. On the contrast, there are traditional intellectuals who domesticate needs by forcing them back into private sphere or administering them as experts (Ekers.Hart.Kipfer. Loftus.2013:35).

Subsequent to Gramsci’s vision of the intellectual, Edward Said insists that there has been no major revolution in modern history without intellectuals; conversely, there has been no major counterrevolutionary movement without intellectuals. They have been the fathers and mothers of movements. One task of the intellectual is the effort to break down the stereotypes and reductive categories that are limiting to human thought and communication. They are those figures whose public performances can neither be predicted nor compelled into some slogan, orthodoxy, party line, or fixed dogma. They are the ones who question patriotic nationalism, corporate thinking, and a sense of class racial privilege (Said.1996:11).

The intellectual, adds Said, is an individual endowed with a faculty for representing, embodying, articulating a message, a view, an attitude, philosophy or opinion to as well as for, a public. And this role has an edge to it, and cannot be played without a sense of being someone whose place it is publicly to raise decisive, confront orthodoxy and dogma rather than producing them. To be an intellectual is to be someone who cannot easily be co-opted by governments or corporations, and whose “raison d’être” is to represent all those people and issues that are routinely forgotten or swept under the rug. He does so on the basis of universal principles: that all human beings are entitled to expect decent standards of behavior concerning freedom and justice from worldly powers and nations, and that

historical convulsions and revolutions to put new questions, their avant-garde, works stood in opposition to the dominant “Bourgeois culture” as an essentially “adversarial” force, in the words of Andrew Milner and Jeff Browitt, aspiring to a positively “redemptive” social function (2002:148).

Following on Gramsci’s pioneering vision and his social analysis of the intellectual who fulfills a particular set of functions in the society, his vision of the function of the intellectual will be applied to Paine and Fanon, the organizers of the working-class movement, and as journalists and the most consciously reflective of the social analysts, whose purpose was to build not just a social movement but an entire cultural formation associated with the movement. As an organic intellectual himself, Gramsci was put on trial for treason in 1926 and was condemned to twenty years imprisonment. He would die in prison in 1937 but not before writing his celebrated *Prison Notebooks* (1926-1937) that immortalized him as the towering figure of the Western thought. Among the great Marxist theorists of the twentieth century, Gramsci is unique in the attention he pays to the role of intellectuals in elaborating popular consciousness, and connecting it to vistas of national and global history. In his prison diaries, he wrote: “All men are intellectuals, one could therefore say: but not all men have in society the function of intellectuals”. He divides the intellectuals into two categories: teachers, administrators, priests, and clerks that he calls “traditional intellectual” as they continue to do the same thing from one generation to another. In the second category, Gramsci puts what he considers “organic intellectuals” who are directly connected to organize interests, gain more power; get more control as they would liberate “good sense” from what is known as “common sense”. Organic intellectuals are able to fight a worker’s “common sense” inherited from past and uncritically absorbed that leads to what is “moral and political passivity”. At the same time, they are elements in the struggle for hegemony because they can elaborate the kernel of

More significantly, in order to show how convergent was their thinking and, at the same time, how their affinities make complementary contributions to their historicism which articulates both space and time in order to weave analyses of the multiple rhythms of history and revolutionary strategy, both reached beyond the polemical battles of their times, which make them superficially different. That requires exploring the political and ideological context that gave meaning to their parallel projects. For the two figures their engagements with historical forces is inseparable from their theoretical developments. If the overarching logic of colonial discourse was to “construe” the colonized as people of degenerate types, the hegemony of such discourse needs counter-hegemonic practices, which according to the Italian revolutionary theorist, Antonio Gramsci (1891-1937) are produced as an alternative by the practices of conscious agents. For him, the intellectuals are the dominant group’s “deputies” exercising the subaltern functions of social hegemony and political government. There are, however, two kinds of intellectuals: what he calls “organic intellectuals”, by which he means the type of intellectual that each major social class creates for itself so as to give it homogeneity and an awareness of its own function. The “traditional intellectuals” already in existence which seem to represent historical community including the clergy, administrators, theorists, and philosophers who affect a kind of autonomy from the dominant social classes, but their autonomy is illusory. The problem for him was the creation of a layer of organic working-class intellectuals capable of leading their class in battle for counter-hegemony. The concept of “organic intellectual” will be applied to the way Paine and Fanon mount a stunning indictment of colonialism and invest their hopes in the possibility for the oppressed to gain their freedom. The role of the intellectual, in this regard, is understood as that of cultural leader, moving ahead of the wider society, much like the revolutionary vanguard in the Leninist view of politics. As individuals who are led by such

It may be important to note that from its beginning with its precursors, Nietzsche, Marx, Hegel, and Freud to its modern form with its promoters such as Michel Foucault, Stephen Greenblatt, Jack Lacan among many others, pursue especially the reflexive implications of this skepticism as they distrust not only tradition that denies that all writing end up conniving at the political power that permits it but also any interpretation which does not acknowledge that its history of the past is relativised by also being also a history of the present. The theorists featuring in the historicist-materialist fashion are also as keen to consider and define human beings as primarily historical creatures. They insist, in their different ways, on the primacy of the material circumstances of humans' lives and ideas as well as in their elucidations of the ways of understanding the world. The stress on the specificity of human historical context, Milner, Browitt observe, echoes the more generally romantic preoccupation with human individuality. These contexts were often seen as distinctively "national". So that historicism often seemed readily compatible with cultural nationalism (Milner.Browitt.2002:22).

To address and interpret Paine and Fanon's works as pointing towards an emancipator politics, despite their appraisal of the possibilities for radical social change, and make their accounts of rational and irrational individual behavior in their studies of oppressive and repressive domination, the present paper revolve around three key concepts: that of the "intellectual" and his role as a consciousness awakener; that of "hegemony and counter hegemony", and that of "utopia". All of them will be set out to outline the similarities that emerge from hitherto unexamined and unexpected convergence in the writings of Paine and Fanon. Before proceeding to their works, however, it seems useful to consider the more obviously theorization of these cognate concepts, which might be applied to the selected works of Paine and Fanon, two longstanding opponents of colonialism with their ambivalent operations of colonial stereotyping.

personal, professional experiences and also an integration of the principles of humanistic philosophy with its highlights as they connect with the philosophy of global peace. Paine and Fanon are certainly intellectuals with a humanist attitude, which makes the reader aware that all human beings are equal and their lives are sacred. As humanists, their interests are very broad as they seek ways to assist oppressed people and to add to their personal growth by their interest in history and philosophy.

It is the desire for freedom of colonized people to live with dignity and self respect that animated Paine and Fanon's lives; that transformed frightened young men into bold ones; that drove two journalists and writers to become revolutionaries; and that turned family dedicated husbands into men without home and even country. Their universality means taking a risk in order to go beyond the easy certainties provided by a specific background, language, nationality, which so often, shield from the reality of others. It also means looking for and trying to uphold a single standard for human behavior when it comes to such matters as foreign and social policy; and that made these life-loving and more independently minded intellectual and history makers. The challenge of Paine and Fanon's lives is to be found in dissent against the status quo at a time when struggle on the behalf of the unrepresented and disadvantaged groups is unfairly weighted against them.

These larger dilemmas will be the real subject of inquiry which takes its theoretical bearings from Historical materialism that examines relation between the texts and their political cultural, and historical environments. Its point of departure begins with Historicism that is related to the view that historical events can properly be understood only in the immediate context of their occurrence, rather than as instances of some kind of universal abstract theory, such as that propounded by the Enlightenment. As a critical movement, historicism insists on the prime importance of historical context to the interpretation of texts of all kinds (Hamilton.1996:02).

political thought and all elements of their thoughts which represented a break with the humanist and utopian visions were ignored. So, unwilling to merely accept the views of others about these authors, emphasis will be put on what can set them apart from previous analyses; a way to go beyond to release their creativity from the idea of merely being advocates of violence. It will be suggested, however, that there are also other significant aspects in their respective analyses concerning “the utopian impulse” or the future to which Paine and Fanon’s revolution point. Specifically, there has been a widespread failure to appreciate the similarities between Paine and Fanon beyond their revolutionary claims. The “utopian promise” of a society without repression, domination, and misery, which is the other half of revolution, has been almost completely ignored in the existing literature on both thinkers.

The present paper attempts to clarify the affinities between the two intellectuals by demonstrating that important shifts in their thinking call into question advocating violence for the sake of violence. Without regard to both aspects, means emptying Paine and Fanon works of their essential content and meaning. It rather suggests the necessity for reinterpreting Paine and Fanon’s ideas from a new perspective and the matters at issue are to devolve into two main analytically distinct questions: the implications that Paine and Fanon worked for, hoped for, fought for, which it seems, have been swept aside by many of their reviewers. The key question for Paine and Fanon was how in the face of colonialism and imperialism, as humanistic as any intellectual awakener in the history of mankind, to create and strengthen the institutions of political, economic, and cultural democracy, which is still today’s crucial problem. To answer this call, I suggest interpreting the two authors’ works in terms of what can be called a “synthifunction”, by which I mean an approach as well as a discourse by which to analyse Paine and Fanon’s ideas beyond the limits of advocating violence. I propose to focus mainly on a synthesis of the two men’s

worth looking, by way of comparison, at the works of two intellectuals striving toward perfect equality and the subversive demanding that political conflicts, social injustices, and inequalities be addressed. As leaders inflamed by passion for a larger cause, they have mobilized people into the struggle against domination in supporting nationalist movements. From their pens rushed eloquent pieces that spoke for liberatory goals designed to nurture an embryonic working class-culture. They are namely, Thomas Paine (1737-1809) and Frantz Fanon (1925-1961) who, forced by history to confront the question of revolution, reflected on politics in order to decide how to step or sidestep the conflict, and whose writings illustrate how particular lines of thoughts open up a particular line of action. Issued from distinct social worlds, different periods and following divergent traditions, Paine and Fanon converged on a similar critique of colonialism and elaborated theoretical positions in advocating the necessity of violence to free people from the tyranny of colonialism. Both published their ideas in pamphlets, articles and books as thinkers whose ideas and commitment earned them worldwide respect and admiration and left public marks on the world. If an adamant self-certainty enables Paine to charge the monarchy with hypocrisy and self-delusion to fight at every turn the same credence allows Fanon to declare violence strategically necessary to overthrow the rule by violence, and psychologically useful to release the native from the somatic reflexes of subordination that are the outcome of the same rule.

While some critics have confined the study of Paine and Fanon's works in relation to their biographies or mainly their revolutionary aspects, others have overlooked the two authors' sensibilities as well as their humanist values. It is undeniable that there are certainly some significant points of agreement between Paine and Fanon concerning the necessity for the oppressed to renounce all compromise with their oppressors and to organize themselves to get rid of colonial injustice and repression through revolution. But both were thereby reduced to chapters in modern

Thomas Paine and Frantz Fanon Beyond Their Revolutionary Claims

GADA Said

Mouloud Mammeri University of Tizi-ouzou, Algeria.

Abstract

The present paper may provide something of interest for everyone interested in Thomas Paine and Frantz Fanon, not only the history makers and political figures, but also human beings with all their strengths and weaknesses. Both dreamed of freedom, justice, love, and peace; they struggled most of their lives to transform their dreams into realities and tried their best to make the world a better place. In spite of their high ideals they shared the vulnerabilities of their fellow human beings. Both rose above the dark side of their personalities to leave a positive legacy for our “global village” as their struggles transformed their personalities into powerful beacons guiding their communities in particular and humanity in general. As creative visionaries who chose to become involved in social and political movements, their life stories of revolutionaries who dared to challenge oppressive and exploitative traditions and systems in hope of creating peaceful and just societies have become a source of inspiration for future generations.

Key Words: Revolution, Utopia, Commitment, Humanist Values.

Nowadays, we live in a world of global rivalries, the impact of imperialism, mass struggles and revolution are very much at issue. The same world is experiencing a profound political social, and ideological breakdown where human beings individually and collectively are losing control and becoming violent because of grave miscarriages of justice and governments’ manifestly oppression. In sum, it is a world that is permanently threatened by self-destruction. In this context, it is